أنوار التنزيل وأسرار التأويل

للقاضي الإمام العلامة

ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر

البيضاوي

القسم الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، فتحدّى بأقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا، وأفحم من تصدّى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا أنهم سُحروا تسحيرا، ثم بيّن للناس ما نزّل إليهم حسب ما عنّ لهم من مصالحهم ليتدبروا آياته ويتذكر أولو الألباب تذكيرا، فكشف قناع الانغلاق عن آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وأُخر متشابهات هنّ رموز الخطاب تأويلا وتفسيرا، وأبرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق ليتجلّى لهم خفايا المُلك والملكوت وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا، ومهّد لهم قواعد الأحكام وأوضاعها من نصوص الآيات وألماعها ليُذهب عنهم الرجس ويطهّرهم تطهيرا، فمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد، ومن لم يرفع إليه رأسه وأطفأ نبراسه يعش ذميما ويصلى سعيرا، فيا واجب الوجود ويا فائض الجود ويا غاية كل مقصود صلّ عليه صلاة توازي غناءه وتجازي عناءه، وعلى من أعانه وقرّر تبيانه تقريرا، وأفض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلّم عليهم وعلينا تسليما كثيرا، وبعد فإنّ أعظم العلوم مقدارا وأرفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها ومبنى قواعد الشرع وأساسها لا يليق لتعاطيه والتصدّي للتكلّم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها وفاق في الصناعات العربية والفنون الأدبية بأنواعها، ولطالما أحدّث نفسي بأن أصنّف في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين، وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها أنا ومن قبلي من أفاضل المتأخرين وأماثل المحققين، ويعرب عن وجوه القراءات المشهورة المعزية إلى الأئمة الثمانية المشهورين والشواذّ المروية عن القرّاء المعتبرين، إلا أنّ قصور بضاعتي يثبّطني عن الإقدام ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام، حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمّم به عزمي على الشروع فيما أردته والإتيان بما قصدته ناويا أن أسمّيه بعد أن أتمّمه بأنوار التنزيل وأسرار التأويل، فها أنا الآن أشرع وبحسن توفيقه أقول وهو الموفّق لكل خير ومعطي كل سول.

سُورَةُ فَاتِحَةِ ٱلْكِتَابِ

مكّيّة وآيها سبع آيات

وتسمّى امّ القرآن لانّها مفتتحه ومبدأه فكانّها اصله ومنشأه ولذلك تسمّى اساسا او لانّها تشتمل على ما فيه من الثناء على اللّه والتعبّد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظريّة والاحكام العمليّة التى هى سلوك الطريق المستقيم والاطّلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب قراءتها او استحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله صلعم هى شفاء كلّ داء والسبع المثانى لانّها سبع آيات بالاتّفاق الّا انّ منهم من عدّ التسمية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنّى فى الصلوة او الانزال ان صحّ انّها نزلت بمكّة حين فرضت الصلوة وبالمدينة لمّا حوّلت القبلة وقد صحّ انّها مكّيّة لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى وهو مكّىّ بالنصّ

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من الفاتحة وعليه قرّاء مكّة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعىّ وخالفهم قرّاء المدينة والبصرة والشأم وفقهاؤها ومالك والاوزاعىّ ولم ينصّ ابو حنيفة فيه بشىء فظنّ انّها ليست من السورة عنده وسئل محمّد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفّتين كلام اللّه لنا احاديث كثيرة منها ما روى ابو هريرة انّه عم قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهنّ بسم اللّه الرحمن الرحيم وقول امّ سلمة قرأ رسول اللّه الفاتحة وعدّ بسم اللّه الرحمن الرحيم الحمد للّه ربّ العالمين آية ومن اجلهم اختلف فى انّها آية برأسها او بما بعدها والاجماع على انّ ما بين الدفّتين كلام اللّه والوفاق على اثباتها فى المصاحف مع المبالغة فى تجريد القرآن حتّى لم يكتب آمين ، والباء متعلّقة بمحذوف تقديره بسم اللّه اقرأ لانّ الّذى يتلوه مقروء وكذلك يضمر كلّ فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له وذلك اولى من ان يضمر ابدأ لعدم ما يطابقه ويدلّ عليه او ابتدائى لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا اوقع كما فى قوله بسم اللّه مجراها وقوله ايّاك نعبد لانّه اهمّ وادلّ على الاختصاص وادخل فى التعظيم واوفق للوجود فانّ اسمه تعالى متقدّم على القراءة كيف لا وقد جعل آلة لها من حيث انّ الفعل لا يتمّ ولا يعتدّ به شرعا ما لم يصدّر باسمه لقوله عم كلّ امر ذى بال لم يبدأ فيه باسم اللّه فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبرّكا باسم اللّه اقرأ وهذا وما بعده مقول على ألسنة العباد ليعلموا كيف يتبرّك باسمه ويحمد على نعمه ويسأل من فضله وانّما كسرت ومن حقّ الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفيّة والجرّ كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء ، والاسم عند اصحابنا البصريّين من الاسماء الّتى حذفت اعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت اوائلها على السكون وأدخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لانّ من دأبهم ان يبتدئوا بالمتحرّك ويقفوا على الساكن ويشهد

سورة فاتحة الكتاب

له تصريف في أسماء وأسامي وسُمَيّ وسمّيت ومجيء سُمًى كهُدًى لغة فيه قال.

والله أسماك سُمًى مباركا   آثرك الله به إيثاركا

والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لأنه رفعة للمسمّى وشعار له ومن السمة عند الكوفيين وأصله وِسْم حذفت الواو وعوض عنها همزة الوصل ليقلّ إعلاله وردّ بأنّ الهمزة لم تُعهد داخلة على ما حُذف صدره في كلامهم ومن لغاته سِمٌ وسُمٌ قال

باسم الذي في كل سورة سِمُهْ

والاسم إن أريد به اللفظ فغير المسمّى لأنه يتألف من أصوات متقطعة غير قارّة ويختلف باختلاف الأمم والأعصار ويتعدد تارة ويتحد أخرى والمسمّى لا يكون كذلك وإن أريد به ذات الشيء فهو المسمّى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله سبّح اسم ربك المراد به اللفظ لأنه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الألفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الأدب أو الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر

إلى الحَوْل ثمّ اسْمُ السلام عليكما

وإن أريد به الصفة كما هو رأي الشيخ أبي الحسن الأشعريّ انقسم انقسام الصفة عنده إلى ما هو نفس المسمّى وإلى ما هو غيره وإلى ما ليس هو ولا غيره وإنّما قال بسم الله ولم يقل بالله لأنّ التبرّك والاستعانة بذكر اسمه أو للفرق بين اليمين والتيمّن ولم تكتب الألف على ما هو وضع الخطّ لكثرة الاستعمال وطُوّلت الباء عوضا عنها، والله أصله إله فحذفت الهمزة وعوّض عنها الألف واللام ولذلك قيل يا ألله بالقطع إلّا أنّه مختصّ بالمعبود بالحقّ والإله في الأصل لكلّ معبود ثمّ غُلّب على المعبود بالحقّ واشتقاقه من أَلَهَ إلاهةً وأُلوهةً وألوهيةً بمعنى عَبَدَ ومنه تألّه واستأله وقيل من أَلِهَ إذا تحيّر إذ العقول تتحيّر في معرفته أو من ألِهْت إلى فلان أي سكنت إليه لأنّ القلوب تطمئنّ بذكره والأرواح تسكن إلى معرفته أو من أَلِه إذا فزع من أمرٍ نزل عليه وآلَهَهُ غيره أجاره إذ العائذ يفزع إليه وهو يُجيره حقيقة أو بزعمه أو من أَلِهَ الفصيل إذا وَلِعَ بأمّه إذ العباد مُولَعون بالتضرّع إليه في الشدائد أو من وَلِه إذا تحيّر وتخبّط عقله وكان أصله وِلاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمّة في وُجوه فقيل إلاه كإعاء وإشاح ويردّه الجمع على آلهة دون أَوْلِهة وقيل أصله لاه مصدر لاهَ يَليهُ لَيْها ولاهًا إذا احتجب وارتفع لأنّه تعالى محجوب عن إدراك الأبصار ومرتفع على كلّ شيء وعمّا لا يليق به ويشهد له قول الشاعر

كحَلْفَةٍ من أبي رَباحٍ   يَشْهَدُها لاهُهُ الكُبارُ

وقيل عَلَمٌ لذاته المخصوصة لأنّه يوصَف ولا يوصَف به ولأنّه لا بدّ له من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح له ممّا يطلق عليه سواه ولأنّه لو كان وصفا لم يكن قول لا إله إلّا الله توحيدا مثل لا إله إلّا الرحمن فإنّه لا يمنع الشركة والأظهر أنّه وصف في أصله لكنّه لمّا غُلّب عليه بحيث لا يستعمل في

غيره وصار كالعَلَم مثل الثريّا والصَّعِق أُجري مجراه في إجراء الاوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرّق احتمال الشركة اليه لانّ ذاته من حيث هو هو بلا اعتبار امرٍ آخَرَ حقيقيّ او غيره غيرُ معقول للبشر فلا يمكن ان يُدَلّ عليه بلفظ ولانّه لو دلّ على مجرّد ذاته المخصوصة لما افاد ظاهرُ قوله تعالى وهو اللّه في السموات معنى صحيحا ولانّ معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى
٥ والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانيّة فعرّب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله او انضمّ سُنّةٌ وقيل مطلقا وحذفُ الفه لحنٌ تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر

أَلَا لا بارَكَ اللّهُ في سُهَيْلٍ اذا ما اللّهُ بارك في الرجال ،

الرحمن الرحيم اسمان بُنيا للمبالغة من رَحِمَ كالغَضْبان من غَضِبَ والعَليم من عَلِمَ والرحمة في اللغة
١٠ رقّة القلب وانعطافٌ يقتضي التفضّل والاحسانَ ومنه الرَّحِمُ لانعطافها على ما فيها واسماء اللّه تعالى انّما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادئ التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لانّ زيادة البناء تدلّ على زيادة المعنى كما في قَطَعَ وقَطَّعَ وكُبار وكُبّار وذلك انّما يؤخذ تارةً باعتبار الكمّيّة واخرى باعتبار الكيفيّة فعلى الاوّل قيل يا رحمن الدنيا لانّه يعمّ المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانّه يخصّ المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لانّ النعم الاخرويّة كلّها
١٥ جسام واما النعم الدنيويّة فجليلة وحقيرة وانّما قدّم والقياس يقتضي الترقّي من الادنى الى الاعلى لتقدّم رحمة الدنيا ولانّه صار كالعَلَم من حيث انّه لا يوصف به غيره لانّ معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لانّ من عداه فهو مستعيضٌ بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء او مُزيحَ رِقّة الجِنسيّة او حُبّ المال عن القلب ثمّ انّه كالواسطة في ذلك لانّ ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكّن من الانتفاع بها والقوى
٢٠ التي بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خَلْقِه لا يقدر عليها احد غيره او لانّ الرحمن لمّا دلّ على جلائل النعم واصولها ذُكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمّة والرديف له او للمحافظة على رؤس الآي والاظهر انّه غير مصروف وانْ حُظِر اختصاصه باللّه أنْ يكون له مؤنّث على فَعلى او فَعلانة الحاقا له بالاغلب في بابه وتخصيص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف انّ المستحقّ لانْ يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقيّ الذي هو مولى النعم كلّها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها
٢٥ فيتوجّه بشراشره الى جناب القدس ويتمسّك بحبل التوفيق ويشغل سرّه بذكره والاستمداد به عن غيره (ا) اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الحمد هو الثناء على الجميل الاختياريّ من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حُسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال

افادتكم النعماء منّي ثلثة يدي ولساني والضمير المحجّبا

فهو أعمّ منهما من وجه وأخصّ من آخر ولمّا كان الحمد من شُعب الشكر أشيع للنعمة وأدلّ على
مكانها لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال جُعل رأس الشكر والعمدة فيه فقال عم الحمد
رأس الشكر ما شكر اللّه من لم يحمده والذمّ نقيض الحمد والكُفران نقيض الشكر ورَفْعه بالابتداء
وخبرُه للّه وأصله النصب وقد قرئ به وإنّما عدل عنه الى الرفع ليدلّ على عموم الحمد وثباته له دون
تجدّده وحدوثه وهو من المصادر التى تُنْصَب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه
للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرف كلّ احد أنّ الحمد ما هو او للاستغراق اذ الحمد فى الحقيقة كلّه
له اذ ما من خير إلّا وهو موليه بوسط او بغير وسط كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن اللّه وفيه
إشعار بانّه تعالى حيّ قادر مُريد عالم اذ الحمد لا يستحقّه الّا من كان هذا شأنه وقرئ الحمدِ لِله

بإتباع الدال اللامَ وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انّهما يستعملان معًا منزلة كلمة واحدة رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ
الربّ فى الاصل بمعنى التربية وهى تبليغ الشىء الى كماله شيئاً فشيئاً ثمّ وُصف به للمبالغة كالصَّوْم
والعَدْل وقيل هو نعت من ربّه يربّه فهو ربّ كقولك نمّ ينمّ فهو نمّ ثمّ سمّى به المالك لانّه يحفظ ما
يملكه ويربّيه ولا يطلق على غيره تعالى الّا مقيّدا كقوله تعالى ارجع الى ربّك والعالَم اسم لما يُعْلَم به
كالخاتَم والقالب غُلّب فيما يُعْلَم به الصانع تعالى وهو كلّ ما سواه من الجواهر والاعراض فانّها لإمكانها
وافتقارها الى مؤثّر واجب لذاته تدلّ على وجوده وانّما جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة
وغلّب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم وُضع لذوى العِلْم من الملائكة
والثقلَيْن وتناوُله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عنى به الناس ههنا فانّ كلّ واحد منهم عالَم
من حيث انّه يشتمل على نظائرِ ما فى العالم الكبير من الجواهر والاعراض يُعْلَم بها الصانع كما يعلم
بما ابدعه فى العالم الكبير ولذلك سوّى بين النظر فيهما وقال تعالى وفى انفسكم افلا تبصرون وقرئ
ربَّ العالمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الّذى دلّ عليه الحمد وفيه دليل على انّ المُمْكنات
كما هى مفتقرة الى المُحْدِث حال حدوثها فهى مفتقرة الى المُبْقى حال بقائها (٢) ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ كرّره
للتعليل على ما سنذكره (٣) مَالِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ قراءة عاصم والكسائىّ ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم
لا تملك نفس لنفس شيئًا والامر يومئذ للّه وقرأ الباقون مَلِكِ وهو المختار لانّه قراءة اهل الحرمَيْن ولقوله
تعالى لمن المُلْك اليوم ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرّف فى الأعيان المملوكة كيف يشاء من
المِلْك والمَلِك هو المتصرّف بالامر والنهى فى المأمورين من المُلْك وقرئ مَلْك بالتخفيف ومَلَكَ بلفظ
الفعل ومالكًا بالنصب على المدح او الحال ومالكٌ بالرفع منوّنا ومضافا على انّه خبر مبتدأ محذوف
ومَلِكُ مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تَدين تُدان وبيت الحماسة

ولم يَبْقَ سوى العُدْوا ... ن دِنّاهم كما دانوا

اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتّساع كقولهم يا سارقَ الليلة اهلَ الدار
ومعناه مالكَ الامور يومَ الدين على طريقة ونادَى اصحاب الجنّة او له المُلْك فى هذا اليوم على وجه

الاستمرار لتكون الاضافة حقيقيّة مُعدّة لوقوعه صفةً للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة
والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة إمّا لتعظيمه او لتفرّده تعالى بنفوذ الامر فيه ٭ واجراء
هذه الاوصاف على اللّه من كونه ربّا للعالمين مُوجِدًا لهم مُنعِما عليهم بالنعم كلّها ظاهرها وباطنها
عاجلها وآجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انّه الحقيق بالحمد لا احد احقّ به
٥ منه بل لا يستحقّه على الحقيقة سواه فانّ ترتّب الحكم على الوصف يُشعِر بعلّيّته له وللإشعار من طريق
المفهوم على انّ من لم يتّصف بتلك الصفات لا يستأهل لأنْ يُحْمَد فضلا عن ان يُعْبَد فيكون
دليلا على ما بعده فالوصف الاوّل لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثانى والثالث
للدلالة على انّه متفضّل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب عليه قضيّةً لسوابق
الاعمال حتّى يستحقّ به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانّه ممّا لا يَقْبَل الشركة فيه بوجه ما
١٠ وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمُعْرِضين (٤) إيَّاكَ نَعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعِينُ ثمّ انّه لمّا ذُكر الحقيق
بالحمد ووُصف بصفات عِظام تميّز بها عن سائر الذوات وتعلّق العِلْمُ بمعلوم معيّن خوطب بذلك اى
يا من هذا شأنه نخصّك بالعبادة والاستعانة ليكون ادلّ على الاختصاص والترقّى من البرهان الى العيان
والانتقال من الغيبة الى الشهود فكانّ المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهَدا والغيبة حضورا بنى اوّل الكلام
على ما هو مبادئ حال العارف من الذكر والفكر والتأمّل فى اسمائه والنظر فى آلائه والاستدلال بصنائعه
١٥ على عظيم شانه وباهر سلطانه ثمّ قفّى بما هو مُنتهى امره وهو ان يخوض لجّة الوصول ويصير من اهل
المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللّهمّ اجعلنا من الواصلين للعين دون السامعين للاثر ومن
عادة العرب التفنّن فى الكلام والعدول من اسلوب الى آخر تطريةً له وتنشيطا للسامع فيُعْدَل من الخطاب
الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلّم وبالعكس كقوله تعالى حتّى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم وقوله واللّه
الّذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسُقْناه وقول امرئ القيس

٢٠ تطاول ليلُكَ بالأَثْمُدِ ونام الخلىُّ ولم تَرْقُدِ

وبات وباتت له لَيْلَةٌ كلَيْلةِ ذى العائر الارمدِ

وذلك من نبإ جاءنى وخُبِّرْتُهُ عن ابى الاسودِ ٭

وإيّا ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروفٌ زيدت لبيان التكلّم والخطاب
والغيبة لا محلّ لها من الاعراب كالتاء فى انت والكاف فى أَرَأَيْتَكَ وقال الخليل ايّا مضاف اليها واحتجّ
٢٥ بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستّين فايّاه وايّا الشوابّ وهو شاذّ لا يُعْتمد عليه وقيل هى
الضمائر وايّا عُمْدة فانّها لمّا فُصلت عن العوامل تعذّر النطق بها مفردةً فضمّ اليها ايّا لتستقلّ به وقيل
الضمير هو المجموع وقرئ أَيَّاكَ بفتح الهمزة وهِيَّاكَ بقلبها هاء ٭ والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلّل
ومنه طريق معبّد اى مذلّل وثوب ذو عَبَدة اذا كان فى غاية الصفاقة. ولذلك لا تستعمل الّا فى الخضوع
للّه تعالى ٭ والاستعانة طلب المعونة وهى إمّا ضروريّة او غيرها والضروريّة ما لا يتأتّى الفعل دونه كاقتدار

الفاعل وتصوّره وحصول آلة ومادّة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصحّ ان يكلّف بالفعل وغير الضروريّة تحصيل ما يتيسّر به الفعل ويتسهّل كالراحلة فى السفر للقادر على المشى او يقرّب الفاعل الى الفعل ويحثّه عليه وهذا القسم لا يتوقّف عليه صحّة التكليف والمراد طلب المعونة فى المهمّات كلّها او فى اداء العبادات والضميرُ المستكنّ فى الفعلَيْن للقارئ ومن معه من الحَفَظة وحاضرى صلوة الجماعة او له ولسائر الموحّدين ادرج عبادته فى تضاعيف عباداتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلّها تُقْبَل ببركتها ويُجاب اليها ولهذا شُرِعت الجماعة وقدّم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عبّاس معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدّم فى الوجود والتنبيه على انّ العابد ينبغى ان يكون نظره الى المعبود اوّلا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انّها عبادة صدرت عنه بل من حيث انّها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحقّ فانّ العارف انّما يحقّ وصوله اذا استغرق فى ملاحظة جناب القدس وغاب عمّا عداه حتّى انّه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الّا من حيث انّها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فُضّل ما حكى اللّه عن حبيبه حين قال لا تحزن انّ اللّه معنا على ما حكاه عن كليمه حين قال انّ معى ربّى سيَهْدين وكرّر الضمير للتنصيص على انّه المستعان به لا غير وقدّمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤس الآى ويُعْلَم منه انّ تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادْعَى الى الاجابة واقول لمّا نسب المتكلّم العبادة الى نفسه أَوْهَمَ ذلك تبجّحا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقّبه بقوله وايّاك نستعين ليدلّ على انّ العبادة ايضا ممّا لا يتمّ ولا يستتبّ له الّا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهى لغة بنى تميم فانّهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضمّ ما بعدها (٥) ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ بيان للمعونة المطلوبة فكانّه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا او افرادٌ لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل فى الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على التهكّم ومنه الهديّة وهوادى الوحش لمقدّماتها والفعل منه هَدَى وأَصْله ان يعدَّى باللام او الى فعُومِلَ معاملةَ اختار فى قوله تعالى واختار موسى قومَه وهداية اللّه تتنوّع انواعا لا يحصيها عدٌّ لكنّها تنحصر فى اجناس مترتّبة الاوّل افاضة القوى الّتى بها يتمكّن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوّة العقليّة والحواسّ الباطنة والمشاعر الظاهرة والثانى نصب الدلائل الفارقة بين الحقّ والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه النَّجْدَيْن وقال وامّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرُسُل وانزال الكُتُب وايّاها عنى بقوله وجعلناهم ائمّة يهدون بامرنا وقوله انّ هذا القرآن يهدى للّتى هى اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويُريهم الاشياء كما هى بالوحى او الالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختصّ به الانبياء والاولياء وايّاه عنى بقوله اولئك الّذين هدى اللّه فبهداهم اقتده وقوله والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سُبلنا فالمطلوب إمّا زيادة ما مُنحوه من الهدى او الثبات عليه او حصول المراتب المرتّبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا طريق السَيْر فيك لتمحو عنّا ظلمات احوالنا وتميط غواشى ابداننا لنستضىء بنور قدسك فنراك بنورك والامر

والصاد يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفّل وقيل بالرتبة ، والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكانّه يسترط السابلة ولذلك سُمّى لَقَما لانّه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء فى الاطباق وقد يُشَمّ الصادُ صوتَ الزاى ليكون اقرب الى المُبْدَل عنه وقرأ ابن كثير برواية قُنْبل ورُوَيْس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت فى الامام وجمعه ٥ سُرُط كَكُتُب وهو كالطريق فى التذكير والتأنيث ، والمستقيم المستوى والمراد به طريق الحقّ وقيل ملّة الاسلام (٦) صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بدل من الاوّل بدل الكلّ من الكلّ وهو فى حكم تكرير العامل من حيث انّه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على انّ طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكَدِ وجهٍ وابلغه لانّه جعل كالتفسير والبيان له فكانّه من البيّن الّذى لا خفاء فيه انّ الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل الّذين انعمت عليهم الانبياء وقيل النبىّ صلعم ١٠ واصحابه وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ وقرئ صراطَ مَنْ انعمت عليهم والانعام ايصال النِعْمة وهى فى الاصل الحالة الّتى يستلذّها الانسان فاطلقت لما يستلذّه من النَعْمة وهى اللين ونِعَمُ اللّه وان كانت لا تحصى كما قال تعالى وان تعدّوا نعمت اللّه لا تحصوها تنحصر فى جنسَيْن دنيوىّ واخروىّ والاوّل قسمان موهبىّ وكسبىّ والموهبىّ قسمان روحانىّ كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسمانىّ كتخليق البدن ١٥ والقوى الحالّة فيه والهيئات العارضة له من الصحّة وكمال الاعضاء والكسبىّ تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنيّة والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثانى ان يغفر له ما فرط منه ويرضى عنه ويبوّئه فى اعلى علّيّين مع الملائكة المقرّبين ابد الآبدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وُصْلةً الى نيله من الآخر فانّ ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر (٧) غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ بدل من الّذين على معنى انّ المنعَم عليهم هم الّذين سلموا ٢٠ من الغضب والضلال او صفة له مبيّنة او مقيّدة على معنى انّهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهى نعمة الايمان وبين السلامة من الغضب والضلال وذلك انّما يصحّ باحدِ تأويلَيْن إجْرَاء الموصول مجرى النكرة اذ لم يقصد به معهود كالمحلّى فى قوله

ولقد أَمُرّ على اللئيم يَسُبّنى

وقولهم انّى لامرّ على الرَجُلِ مِثْلِك فيكرمنى وجَعْل غَيْر معرفةً بالاضافة لانّه اضيف الى ما له ضدٌّ واحدٌ ٢٥ وهو المنعم عليهم فيتعيّن تعيُّنَ الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور والعاملُ انعمت او باضمارِ اعنى او بالاستثناء ان فُسّر النعَم بما يعمّ القبيلين ، والغضب ثوران النفس ارادةَ الانتقام فاذا اسند الى اللّه اريد به المنتهى والغاية على ما مرّ ، وعَلَيْهِمْ فى محلّ الرفع لانّه نائب منابَ الفاعل بخلاف الاوّل ، ولا مزيدة لتأكيد ما فى غَيْر من معنى النفى فكانّه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالّين ولذلك جاز انا زيدا غَيْرُ ضاربٍ كما جاز انا زيدا لا ضاربٌ وان امتنع انا زيدا ٣٠ مِثْلُ ضاربٍ وقرئ وغَيْرِ الضالّين ، والضلال العدول عن الطريق السوىّ عمدا او خطأ وله عَرْض عريض

والتفاوت ما بين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله قد ضلّوا من قبل واضلّوا كثيرا وقد روى مرفوعا ويتّجه ان يقال المغضوب عليهم العُصاة والضالّين الجاهلون بالله لانّ المنعم عليه من وُفّق للجمع بين معرفة الحقّ لذاته والخير للعمل به فكانّ المقابل له من اختلّ احدى قوّتيه العاقلة والعاملة والمُخِلّ بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى فى القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخلّ بالعقل جاهل ضالّ لقوله تعالى فماذا بَعْدَ الحقّ الّا الضلال ٥ وقرئ ولا الضألّين بالهمز على لغة من جدّ فى الهرب من التقاء الساكنين آمين اسم الفعل الّذى هو استجبْ وعن ابن عبّاس رضه سألت رسول الله صلعم عن معناه فقال افعَلْ بُنى على الفتح كأيْنَ لالتقاء الساكنين وجاء مدّ الفه وقصرها قال

ويَرْحم الله عبدا قال آمينا

وقال أمين فزاد الله ما بيننا بُعْدا ١٠

وليس من القران وفاقًا لكن يُسَنّ ختم السورة به لقوله عم علّمنى جبريل امين عند فراغى من قراءة الفاتحة وقال انّه كالختم على الكتاب وفى معناه قول علىّ رضه امين خاتم ربّ العالمين خَتَمَ به دعاء عَبْده يقوله الامام ويجهَر به فى الجهريّة لما روى عن وائل بن حُجْر انّه عم كان اذا قرأ ولا الضالّين قال امين ورفع بها صوته وعن ابى حنيفة رحمه الله انّه لا يقوله والمشهور انّه يُخفيه كما رواه عبد الله بن مُغَفّل وانس والمأموم يؤمّن معه لقوله صلعم اذا قال الامام ولا الضالّين فقولوا امين فانّ الملائكة تقول امين فمن وافق ١٥ تأمينُه تأمينَ الملائكة غفر له ما تقدّم من ذنبه ، وعن ابى هُرَيْرة رضه انّ رسول الله قال لأُبَىّ ألّا اخبرك بسورة لم تنزل فى التورية والانجيل والقران مثلها قال قلت بلى يرسول الله قال فاتحة الكتاب انّها السبع المثانى والقرانِ العظيمِ الّذى اوتيتُه وعن ابن عبّاس رضه قال بَيْنَا رسول الله صلعم اذ اتاه مَلَكٌ فقال ابشرْ بنورَيْن أُوتيتَهما لم يُؤْتَهما نبىّ قبلك فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما الّا أُعطيتَه وعن حُذَيْفة بن اليمان رضه انّ رسول الله صلعم قال انّ القوم ليبعث الله عليهم ٢٠ العذاب حَتْمًا مقضيّا فيقرأ صبىّ من صبيانهم فى الكُتّاب الحمد لله ربّ العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذابَ اربعين سنة

سُورَةُ ٱلْبَقَرَةِ

مدنيّة وآيها مائتان وستّ وثمانون آية

بِسْــــــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢٥

جزء ١ ركوع ١ (١) آلٓمٓ وسائر الالفاظ الّتى يُتهجّى بها اسماءٌ مسمّياتُها الحروف الّتى ركّبت منها الكلم لدخولها فى حدّ الاسم واعتوارِ ما يختصّ به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحوِ ذلك عليها وبه صرّح الخليل وابو علىّ وما روى عن ابن مسعود رضه انّه عم قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة

بعشر امثالها لا اقول الٓمٓ حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذى جزء ١
اصطلح عليه فانّ تخصيصه به عُرْفٌ مجدَّدٌ بل المعنى اللغوى ولعلّه سمّاه باسم مدلوله ولمّا كانت ركوع
مسمّياتها حروفا وُحْدانا وهى مركّبة صُدِّرت بها لتكون تأديتها بالمسمّى اوّل ما يقرع السمع واستعيرت
الهمزة مكان الالف لتعذّر الابتداء بها وهى ما لم تَلِها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد
٥ موجبه ومقتضيه لكنّها قابلة ايّاه مُعَرَّضة له اذ لم تناسب مَبْنِىَّ الاصل ولذلك قيل صٓ وقٓ مجموعا
فيهما بين الساكنين ولم تعامَل معامَلة أَيْنَ وهؤلاء ثمّ انّ مسمّياتها لمّا كانت عنصر الكلام وبسائطه
الّتى يتركّب منها افتتحت السور بطائفة منها ايقاظا لمن تُحُدِّى بالقران وتنبيها على انّ المتلوّ عليهم
كلام منظوم ممّا ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير اللّه لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوّة
فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اوّل ما يقرع الاسماع مستقلّا بنوع من الاعجاز فانّ النطق
١٠ باسماء الحروف مختصّ بمن خطّ ودرس فامّا من الامّىّ الّذى لم يخالط الكُتّاب فمستبعَدٌ مستغرَبٌ
خارقٌ للعادة كالكتابة والتلاوة سيّما وقد راعى فى ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفائق فى فنّه وهو
انّه اورد فى هذه الفواتح اربعة عشر اسما هى نصف اسامى حروف المعجم ان لم يعدّ فيها الالف حرفا
برأسها فى تسع وعشرين سورة بعددها اذا عدّ فيها الالف مشتملة على انصاف أنواعها فذكر من
المهموسة وهو ما يَضْعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها سَتَشْحَثُكَ خَصَفَهْ نصفها الحاء والهاء والصاد
١٥ والسين والكاف ومن البواقى المجهورة نصفها يجمعه لَنْ يَقْطَعَ أَمْرٌ ومن الشديدة الثمانية المجموعة فى
أَجِدْتُ طَبَقَكَ اربعة يجمعها أَقْطَكَ ومن البواقى الرخوة عشرة يجمعها حُمْسٌ عَلَى نَصْرِهِ ومن المُطْبَقة الّتى
هى الصاد والطاء والضاد والظاء نصفها ومن البواقى المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهى حروف تضطرب
عند خروجها ويجمعها قَدْ طَبَجَ نصفها الاقلّ لقلّتها ومن اللّيّنتين الياء لانّها اقلّ ثقلا ومن المستعلية
وهى الّتى تتصعّد الصوت بها فى الحنك الاعلى وهى سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء
٢٠ نصفها الاقلّ ومن البواقى المنخفضة نصفها ومن حروف البَدَل وهى احد عشر على ما ذكره سيبويه
واختاره ابن جنّى ويجمعها أَجِدْ طَوَيْتُ مِنْهَا السنّة الشائعة المشهورة الّتى يجمعها أَهْطَمِين وقد زاد
بعضهم سبعة اخرى وهى اللام فى أُصَيْلال والصاد والزاى فى صراط وزراط والفاء فى أَجْداف والعين فى
أَعَنْ والثاء فى ثروغ الدلو والباء فى بَا اسْمُكَ حتّى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستّة
المذكورة واللام والصاد والعين وممّا يدغم فى مثله ولا يدغم فى المقارب وهى خمسة عشر الهمزة والهاء
٢٥ والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد والفاء والظاء والشين والزاى والواو نصفها الاقلّ
وممّا يدغم فيهما وهى الثلاثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين والنون
واللام لما فى الادغام من الخفّة والفصاحة ومن الاربعة الّتى لا تدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهى
الميم والزاى والسين والفاء نصفها ولمّا كانت الحروف الذَّلْقِيّة الّتى يعتمد عليها بذلق اللسان وهى
ستّة يجمعها رُبَّ مُنْفَلٍ والحلقية الّتى هى الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع فى
٣٠ الكلام ذكر ثُلُثَيْهِما ولمّا كانت ابنية المزيد لا تتجاوز عن السُباعية ذكر من الزوائد العشرة الّتى

جزء ١ يجمعها اليومَ تَنْسَاهُ سبعةَ احرف تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف
ركوع ١ المتروكة من كلّ جنس مكثورة بالمذكورة ثم انّه ذكرها مفردة وثنائيّة وثلاثيّة ورباعيّة وخماسيّة
ايذانا بانّ المتحدّى به مركّب من كلماتهم التى اصولها كلمات مفردة ومركّبة من حرفَيْن فصاعدا
الى الخمسة وذكر ثلاثَ مفردات فى ثلاث سور لانّها توجد فى الاقسام الثلاثة الاسم والفعل والحرف واربعَ
ثنائيّات لانّها تكون فى الحرف بلا حذف كبَلْ وفى الفعل بحذف كقُلْ وفى الاسم بغير حذف كمَنْ وبه ٥
كدَمْ فى تسع سور لوقوعها فى كلّ واحد من الاقسام الثلاثة على ثلاثة اوجه ففى الاسماء مَنْ واذْ وذُو
وفى الافعال قُلْ وبِعْ وخَفْ وفى الحروف مِنْ وأَنْ ومُذْ على لغة من جرّ بها وثلاثَ ثلاثيّات لمجيئها فى الاقسام
الثلاثة فى ثلاث عشرة سورة تنبيها على انّ اصول الابنية المستعملة ثلاثة عشر عشرة منها للاسماء وثلاثة
للافعال ورباعيّتَيْن وخماسيّتَيْن تنبيها على انّ لكلّ منهما أَصْلًا كجَعْفَر وسَفَرْجَل ومُلْحَقا كقَرْدَد
وجَحَنْفَل ولعلّها فُرِّقت على السور ولم تُعَدّ باجمعها فى اوّل القران لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة ١٠
التحدّى وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى انّ هذا المتحدّى به مؤلّف من جنس هذه الحروف او
المؤلّف منها كذا وقيل هى اسماء للسور وعليه اطباق الاكثر سمّيت بها اشعارا بانّها كلمات معروفة
التركيب فلو لم تكن وحيا من اللّه لم تتساقطْ مَقْدِرَتُهم دون معارضتها واستُدلّ عليه بانّها لو لم
تكن مُفْهِمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمُهْمَل والتكلّم بالزنجىّ مع العربىّ ولم يكن القران بأسره بيانا
وهُدًى ولما امكن التحدّى به وان كانت مُفْهِمة فامّا ان يراد بها السور التى هى مُسْتَهَلّها على انّها ١٥
القابها او غير ذلك والثانى باطل لانّه امّا ان يكون المُراد ما وُضِعَتْ له فى لغة العرب فظاهر انّه ليس
كذلك او غيره وهو باطل لانّ القران نُزّل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربىّ مبين فلا يحمل على ما
ليس فى لغتهم لا يقال لِمَ لا يجوز ان تكون مزيدةً للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستيناف آخر
كما قاله قطرب او اشارةً الى كلمات هى منها اقتصرت عليها اقتصارَ الشاعرِ فى قوله

قلت لها قِفِى فقالت قاف ٢٠

كما روى عن ابن عبّاس انّه قال الالف آلاء اللّه واللام لطفه والميم ملكه وعنه انّ الٓر وحٓم ونٓ مجموعها
الرحمن وعنه انّ الٓمٓ معناه انا اللّه اعلم ونحو ذلك فى سائر الفواتح وعنه انّ الالف من اللّه واللام من
جبريل والميم من محمّد اى القران منزل من اللّه بلسان جبريل على محمّد او الى مُدَدِ اقوام وآجال
بحساب الجُمّل كما قال ابو العالية متمسّكا بما روى انّه عم لمّا اتاه اليهود تلا عليهم الٓمٓ البقرة
فحسبوه فقالوا كيف ندخل فى دينٍ مُدّته احدى وسبعون سنة فتبسّم رسول اللّه صلعم فقالوا فهل ٢٥
غيره فقال الٓمٓصٓ والٓر والٓمٓر فقالوا خلّطتَ علينا فلا ندرى بايّها نأخذ فانّ تلاوته ايّاها بهذا الترتيب
عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليلٌ على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربيّة لكنّها لاشتهارها فيما
بين الناسِ حتّى العربِ تُلْحِقها بالمعرّبات كالمشكاة والسجّيل والقسطاس او دلالةً على الحروف المبسوطة
مُقْسَمًا بها لشرفها من حيث انّها بسائط اسماء اللّه تعالى ومادّة خطابه هذا وانّ القول بانّها اسماء
للسور يخرجها الى ما ليس فى لغة العرب لانّ التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستنكرة عندهم ويؤدّى الى ٣٠

اتّحاد الاسم والمسمّى ويستدعى تأخّر الجزء عن الكلّ من حيث انّ الاسم متأخّر عن المسمّى بالرتبة لانّا جزء ١
نقول انّ هذه الالفاظ لم تُعْهَد موردةً للتنبيه والدلالةِ على الانقطاع والاستيناف يَلْزَمُها وغيرَها من حيث ركوع ١
انّها فواتح السور ولا يقتضى ذلك ان لا يكون لها معنى فى حيّزها ولم تستعمَل للاختصار من كلمات
معيّنة فى لغتهم امّا الشعر فشاذّ وامّا قول ابن عبّاس رضه فتنبيهٌ على انّ هذه الحروف منبع الاسماء ومبادئ
٥ الخطاب وتمثيلٌ بامثلة حسنة ألَا ترى انّه عدّ كلّ حرف من كلمات متباينة لا تفسيرٌ وتخصيصٌ بهذه
المعانى دون غيرها اذ لا مخصِّصَ لفظا ومعنى ولا بحساب الجُمل فتلحقَ بالمعرّبات والحديثُ لا دليلَ
فيه لجوازِ انّه تبسّم تعجّبا من جهلهم وجعلُها مُقْسَما بها وان كان غير ممتنع لكنّه يُحْوِج الى اضمار
اشياء لا دليلَ عليها والتسمية بثلاثة اسماء انّما يمتنع اذا رُكّبت وجُعلت اسما واحدا على طريق بعلبكّ
فامّا اذا نُثِرت نَثْرَ اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبَويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة
١٠ من اسماء حروف المعجم والمسمّى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتّحادَ وهو مقدّم من حيث ذاته
ومؤخّر باعتبار كونه اسما فلا دورَ والوجه الاوّل اقربُ الى التحقيق واوفقُ للطائف التنزيل واسلمُ من
لزوم النقل ووقوع الاشتراك فى الأعلام من واضع واحد فانّه يعود بالنقض على ما هو مقصود العَلَميّة وقيل
انّها اسماء للقران ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقران وقيل انّها اسماء للّه تعالى ويدلّ عليه انّ عليّا
رضه كان يقول يا كهيعص ويا حم عسق ولعلّه اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ
١٥ المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهى آخرها جمع بينها ايماء الى انّ العبد
ينبغى ان يكون اوّل كلامه واوسطه وآخره ذكر اللّه تعالى وقيل انّه سرّ استأثر اللّه تعالى بعلمه وقد
روى عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلّهم ارادوا انّها اسرار بين اللّه تعالى ورسوله
صلعم ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يَبْعُد الخطاب بما لا يُفيد فان جعلتها اسماء للّه تعالى او
القران او السور كان لها حظٌّ من الاعراب امّا الرفعُ على الابتداء او الخبرِ او النصبُ بتقدير فعلِ القسم
٢٠ على طريقةِ اللّهَ لافعلنّ بالنصب او غيرِه كما ذُكر او الجرُّ على اضمار حرف القسم ويتأتّى الاعرابُ لفظا
والحكايةُ فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحمّ فانّه كهابيل والحكاية ليست الّا فيما عدا ذلك وسيعود
اليك ذكره مفصّلا ان شاء اللّه تعالى وان بقّيتها على معانيها فان قدّرت بالمؤلّف من هذه الحروف كان
فى حيّز الرفع بالابتداء او الخبر كما مرّ وان جعلتها مقسما بها يكون كلّ كلمة منها منصوبا او مجرورا
على اللغتين فى اللّهِ لافعلنّ ويكون جملةً قسميّةً بالفعل المقدّر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا
٢٥ منزّلةَ منزلةَ حروف التنبيه لم يكن لها محلّ من الاعراب كالجمل المبتدأة والمفردات المعدودة ويوقف عليها
وَقْفَ التمام اذا قدّرت بحيث لا يُحْتاج الى ما بعدها وليس شىء منها آية عند غير الكوفيّين وامّا
عندهم فالٓمٓ فى مواقعها والٓمٓصٓ وكٓهٰيٰعٓصٓ وطٰهٰ وطٰسٓمٓ وحٰمٓ ويٰسٓ آية وحٰمٓ عٓسٓقٓ آيتان والبواقى ليست
بآيات وهذا توقيف لا مجالَ للقياس فيه ذٰلِكَ ٱلْكِتَابُ ذلك اشارة الى الٓمٓ ان أُوّل بالمؤلّف من هذه
الحروف او فسّر بالسورة او القران فانّه لمّا تُكُلِّم به وتقضّى او وصل من المرسِل الى المرسَل اليه اشير اليه بما
٣٠ يشار الى البعيد وتذكيره متى اريد بالٓمٓ السورة لتذكير الكتاب فانّه خبره او صفته الّذى هو هو

جزء ١ او الى الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله بقوله تعالى انّا سنلقى عليك قولا ثقيلا ونحوه او
ركوع ١ فى الكتب المتقدّمة وهو مصدر سمّى به المفعول للمبالغة وقيل فعال بمعنى المفعول كاللباس ثمّ اطلق
على المنظوم عبارةً قبل ان يُكتب لانّه ممّا يكتب واصل الكَتْب الجمع ومنه الكتيبة لَا رَيْبَ فِيهِ
معناه انّه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح فى كونه وحيا بالغا حَدَّ الاعجاز
لا انّ احدا لا يرتاب فيه ألا ترى الى قوله تعالى وان كنتم فى ريب ممّا نزّلنا على عبدنا فاتوا بسورة من ٥
مثله فانّه ما ابعد عنهم الريب بل عرّفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا فى معارضة نجم من نجومه
فيبذلوا فيها غاية جهدهم حتّى اذا عجزوا عنها تحقّق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة
وقيل معناه لا ريب فيه للمتّقين وهُدًى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفةً للمنفىّ ،
والريب فى الاصل مصدرُ رابنى الشىء اذا حصّل فيك الرِيبة وهى قلق النفس واضطرابها سمّى به الشكّ
لانّه يُقلق النفس ويزيل الطمأنينة وفى الحديث دَعْ ما يريبك الى ما لا يريبك فانّ الشكّ ريبة والصدق ١٠
طمأنينة ومنه رَيْب الزمان لنوائبه هُدًى لِلْمُتَّقِينَ يهديهم الى الحقّ والهُدَى فى الاصل مصدر كالسُرَى
والتُقَى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانّه جُعل مُقابل الضلال فى قوله تعالى لَعَلَى
هُدًى او فى ضلال مبين ولانّه لا يقال مهدىّ الّا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصُه بالمتّقين لانّهم
المهتدون به المنتفعون بنَصْبه وان كانت دلالته عامّة لكلّ ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال
هُدًى للناس او لانّه لا ينتفع بالتأمّل فيه الّا من صقل العقل واستعمله فى تدبّر الآيات والنظر فى المعجزات ١٥
وتعرّف النبوّات لانّه كالغذاء الصالح لحفظ الصحّة فانّه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحّةُ حاصلةً واليه
اشار بقوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الّا خسارا ولا يقدح ما
فيه من المُجْمَل والمتشابه فى كونه هُدًى لمّا لم ينفكّ عن بيان يعيّن المراد منه ، والمتّقى اسم فاعل
من قولهم وَقَاهُ فاتّقى والوِقاية فرط الصِيانة وهو فى عُرْف الشرع اسم لمن يقى نفسه عمّا يضرّه فى الآخرة
وله ثلاث مراتب الاولى التوقّى عن العذاب المخلد بالتبرّى عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة ٢٠
التقوى والثانية التجنّب عن كلّ ما يؤثم مِنْ فِعْل او تَرْك حتّى الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوى
فى الشرع وهو المعنىّ بقوله تعالى ولو انّ اهل القرى آمنوا واتّقوا والثالثة أن يتنزّه عمّا يشغل سرّه عن
الحقّ ويتبتّل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقىّ المطلوب بقوله تعالى يا ايّها الّذين آمنوا اتّقوا اللّه حقّ
تقاته وقد فسّر المتّقون ههنا على الاوجه الثلاثة ، واعلمْ أنّ الآية تحتمل أَوْجُها من الإعراب أنْ يكونَ
آلمر مبتدأ على انّه اسم للقرآن او السورة او مقدّر بالمؤلّف منها وذلك خبره وان كان اخصّ من ٢٥
المؤلّف مطلقا والاصلُ أنّ الاخصّ لا يُحْمَل على الاعمّ لانّ المراد به المؤلَّف الكاملُ فى تأليفه البالغُ اقصى
درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وأنْ يكونَ آلمر خبر مبتدأ محذوف وذلك
خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته ولا ريب فى المشهورة مبنىّ لتضمّنه معنى مِنْ منصوبُ المحلّ على انّه
اسمُ لا النافيةِ للجنس العاملةِ عَمَلَ إنّ لانّها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومَها وفى قراءة ابى الشعثاء مرفوع
بلا الّتى بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدّم كما قدّم فى قوله لا فيها غَوْل لانّه لم يقصد تخصيص نفى ٣٠

الريب به من بين سائر الكتب كما قصد ثمّة او صفته وللمتّقين خبره وهدى نصب على الحال او الخبرُ جزء ١
محذوف كما فى لا ضَيْرَ فلذلك وُقف على لا ريب على انّ فيه خبر هدى قدّم عليه لتنكيره والتقديرُ لا ركوع ١
ريب فيه فيه هدى وأن يكونَ ذلك مبتدأ والكتاب خبره على معنى انّه الكتاب الكامل الّذى يستأهل
ان يسمّى كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة خبر آلم والأَوْلى ان يقال انّها اربع جُمَل متناسقة
٥ تُقرِّر اللاحقةُ منها السابقةَ ولذلك لم يدخل العاطف بينها فآلم جملة دلّت على انّ المتحدّى به هو
المؤلّف من جنس ما يركّبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقرّرة لجهة التحدّى ولا
ريب فيه ثالثة تشهد على كماله اذ لا كمال اعلى ممّا للحقّ واليقين وهدى للمتّقين بما يقدّر له
مبتدأ رابعةٌ تؤكّد كونه حقّا لا يحوم الشكّ حوله او تستتبع السابقةُ منها اللاحقةَ استتباعَ الدليل
للمدلول وبيانه انّه لمّا نبّه اوّلا على اعجاز المتحدّى به من حيث انّه من جنس كلامهم وقد عجزوا
١٠ عن معارضته استنتج منه انّه الكتاب البالغ حدّ الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبّث الريب باطرافه اذ
لا انقص ممّا يعتريه الشكّ والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتّقين وفى كلّ واحدة
منها نكتة ذات جزالة ففى الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفى الثانية فخامة التعريف وفى
الثالثة تأخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفى الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده
منكّرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتّقين باعتبار الغاية وتسمية المُشارف للتقوى متّقيا ايجازا
١٥ وتفخيما لشأنه (٢) ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ امّا موصولٌ بالمتّقين على انّه صفةٌ مجرورةٌ مقيّدةٌ له ان فسّر
التقوى بترك ما لا ينبغى مترتّبةٌ عليه ترتّبَ التَحْلية على التَخْلية والتصوير على التصقيل او موضحةٌ ان
فسّر بما يعمّ فِعْلَ الطاعة وتَرْكَ المعصية لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان
والصلوة والصدقة فانّها امّهات الاعمال النفسانيّة والعبادات البدنيّة والماليّة المستتبعة لسائر الطاعات
والتجنّب عن المعاصى غالبا الا ترى الى قوله تعالى انّ الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله صلعم
٢٠ الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مَسُوقةٌ للمدح بما تضمّنه المتّقين وتخصيص الايمان
بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر إظهارٌ لفضلها على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى او
على انّه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعنى او هم الّذين وامّا مفصولٌ عنه مرفوع بالابتداء وخبرُه
اولئك على هدى فيكون الوقف على متّقين تامّا ، والايمان فى اللغة التصديق مأخوذ من
الأَمْن كانّ المصدِّق آمَنَ المصدَّقَ من التكذيب والمخالفة وتعديتُه بالباء لتضمّنه معنى الاعتراف وقد
٢٥ يطلق بمعنى الوثوق من حيث انّ الواثق صار ذا أمْنٍ ومنه ما آمَنْتُ أَنْ أَجِدَ صحابةً وَكِلا الوجهين
حسن فى يؤمنون بالغيب وأمّا فى الشرع فالتصديق بما عُلم بالضرورة انّه من دين محمّد صلعم
كالتوحيد والنبوّة والبعث والجزاء ومجموعُ ثلاثة امور اعتقاد الحقّ والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور
المحدّثين والمعتزلة والخوارج فمَنْ اخلّ بالاعتقاد وحده فمنافقٌ ومَنْ اخلّ بالاقرار فكافرٌ ومَنْ اخلّ بالعمل
ففاسقٌ وِفاقا وكافرٌ عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل فى الكفر عند المعتزلة والّذى يدلّ
٣٠ على انّه التصديق وحده انّه سبحانه اضاف الايمان الى القلب فقال كتب فى قلوبهم الايمان وقلبه مطمئنّ

جزء ١ بالايمان ولم تؤمن قلوبهم ولمّا يدخل الايمان فى قلوبكم وعَطَفَ عليه العمل الصالح فى مواضع لا تُحصَى
ركوع ١ وقرنه بالمعاصى فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايّها الّذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى
القتلى الّذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلّة التغيير فانّه اقرب الى الاصل وهو متعيّن
الارادة فى الآية اذ المعدّى بالباء هو التصديق وفاقا ثمّ اختلف فى انّ مجرّد التصديق القلبىّ هل هو
كاف لانّه المقصود ام لا بدّ من انضمام الاقرار به للمتمكّن منه ولعلّ الحقّ هو الثانى لانّه تعالى ذمّ ٥
المُعاند اكثر من الجاهل المقصّر وللمانع أنْ يجعل الذمّ للانكار لا لعدم الاقرار ، والغيب مصدر
وُصف به للمبالغة كالشهادة فى قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمّى المطمئنّ من الارض
والخَمْصة الّتى تلى الكُلْيَة غَيْبا او فَيْعِل خُفِّف كقَيْل والمراد به الخفىّ الّذى لا يدركه الحسّ ولا تقتضيه
بديهة العقل وهو قِسْمان قسم لا دليل عليه وهو المعنىّ بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الّا
هو وقسم نُصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الآخر واحواله وهو المراد به فى الآية هذا اذا جعلته ١٠
صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغَيْبة
والخفاء والمعنى انّهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الّذين اذا لقوا الّذين آمنوا قالوا آمنّا واذا
خلوا الى شياطينهم قالوا انّا معكم اوعن المؤمَن به لما روى انّ ابن مسعود رضه قال والّذى لا اله
غيره ما آمن احدٌ افضل من ايمان بغيب ثمّ قرأ هذه الآية وقيل المراد بالغيب القلب لانّه مستور
والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم فالباء على الاوّل للتعدية وعلى ١٥
الثانى للمصاحبة وعلى الثالث للآلة وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ يعدّلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زَيْغ فى
افعالها من أقام العودَ اذا قوّمه او يواظبون عليها من قامت السوقُ اذا نفقت وأقمتها اذا جعلتها
نافقة قال

أقامت غَزالةُ سُوقَ الضِراب   لأهْل العراقَيْن حَوْلا قَميطا

فانّه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الّذى يُرْغَب فيه واذا ضُيّعت كانت كالكاسد المرغوب عنه او ٢٠
يتشمّرون لأدائها من غير فتور ولا توانٍ من قولهم قام بالامر واقامه اذا جدّ فيه وتجلّد وضدّه قعد
عن الامر وتقاعد او يؤدّونها عبّر عن ادائها بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبّر عنها بالقنوت والركوع
والسجود والتسبيح والاوّل اظهر لانّه أشْهَرُ والى الحقيقة أقْرَبُ وأفْيَدُ لتضمّنه التنبيه على انّ الحقيق بالمدح
مَنْ راعى حُدودَها الظاهرةَ من الفرائض والسنن وحُقوقَها الباطنةَ من الخشوع والاقبال بقلبه على اللّه لا
المصلّون الّذين هم عن صلاتهم ساهون ولذلك ذكر فى سياق المدح والمقيمين الصلوة وفى معرض ٢٥
الذمّ فويل للمصلّين ، والصلوة فَعَلَة من صلّى اذا دعا كالزكوة من زكّى كُتِبَتا بالواو على لفظ المفخّم
وانّما سُمّى الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلّى حرّك الصَلَوَيْن لانّ المصلّى يفعله فى
ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ فى المعنى الثانى مع عدم اشتهاره فى الاوّل لا يَقْدح فى نقله عنه وانّما
سمّى الداعى مصلّيا تشبيها له فى تخشّعه بالراكع الساجد وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ الرزق فى اللغة الحظّ
قال تعالى وتجعلون رزقكم أنّكم تكذّبون والعُرْف خصّصه بتخصيص الشىء بالحيوان وتمكينه من ٣٠

الانتفاع به واما المعتزلة لما استحالوا من الله ان يمكّن من الحرام لانّه منع من الانتفاع به وامر بالزجر
عنه قالوا الحرام ليس برزق الا ترى انّه تعالى اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانّهم ينفقون الحلال
الطلق فانّ انفاق الحرام لا يوجب المدح وذمّ المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله قل ارايتم
ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على
٥ الانفاق والذمّ لتحريم ما لم يحرّم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسّكوا لشمول الرزق له
بقوله صلعم في حديث عمرو بن قرّة لقد رزقك الله طيّبا فاخترت ما حرّم الله عليك من رزقه مكانَ ما
احلّ الله لك من حلاله وبانّه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذّى به طولَ عمره مرزوقا وليس كذلك
لقوله تعالى وما من دابّة في الارض الّا على الله رزقها ٭ وانفق الشيء وانفده اخوان ولو استقريتَ الالفاظ
وجدت كلّ ما يوافقه في الفاء والعين دالّا على معنى الذهاب والخروج والظاهرُ من هذا الانفاق صَرْف المال
١٠ في سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسّره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصلَ فيه او خصّصه بها
لاقترانه بما هو شقيقها ٭ وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤس الآى وادخال من التبعيضيّة عليه
للكفّ عن الاسراف المنهيّ عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التى منحهم الله تعالى
من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيّده قوله عم انّ علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال
وممّا خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ
١٥ هم مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون
معهم في جملة المتّقين دخولَ أخصّين تحت أعمّ اذ المراد باولئك الذين آمنوا عن شرك وانكار وبهؤلاء
مقابلوهم فكانت الآيتان تفصيلا للمتّقين وهو قول ابن عبّاس رضه او على المتّقين فكانّه قال هدًى
للمتّقين عن الشرك والذين آمنوا من اهل الملل ويحتمل ان يراد بهم الاوّلون باعيانهم ووُسّط العاطف
كما وسّط في قوله

٢٠ الى المَلِكِ القَرْمِ وابنِ الهُمام — وليثِ الكتيبة في المزدحم

وقوله

يا لَهْفَ زَيّابةَ للحارث الـ — ـصّابح فالغانم فالآيب

على معنى انّهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملةً والاتيان بما يصدّقه من العبادات البدنيّة
والماليّة وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرّر الموصول تنبيها على تغاير القبيلين وتباين
٢٥ السبيلين او طائفة منهم وهم مؤمنو اهل الكتاب ذكرهم مخصّصين عن الجملة كذكر جبريل
وميكائيل بعد الملائكة اشادةً بذكرهم وترغيبا لغيرهم ٭ والانزال نقل الشيء من اعلى الى اسفل وهو
انّما يلحق المعاني بتوسّط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعلّ نزول الكتب الالهيّة على الرسل بان يتلقّفه
الملك من الله تلقّفا روحانيّا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به فيلقّنه الرسولَ والمراد بما انزل اليك
القرآن بأسره والشريعة عن آخرها وانّما عبّر عنه بلفظ المضيّ وان كان بعضه مترقّبا تغليبا للموجود على
٣٠ ما لم يوجد او تنزيلا للمنتظر منزلةَ الواقع ونظيره قوله تعالى انّا سمعنا كتابا أُنزل من بعد موسى

جزء ١ فانّ الجنّ لم يسمعوا جميعه ولم يكن كلّه منزلا حـ وبما انزل من قبلك الكتبُ السابقة والايمان بهما
ركوع ١ جملةً فَرْضُ عين وبالاوّل دون الثانى تفصيلا من حيث انّا متعبّدون بتفاصيله فرضٌ ولكن على الكفاية
لانّ وجوبه على كلّ احد يوجب الحَرَجَ ويشوّش المعاش وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ اى يوقنون ايقانا زال
معه ما كانوا عليه من أنّ الجنّة لا يدخلها الّا من كان هودا او نصارى وانّ النار لن تمسّهم الّا ايّاما
معدودة واختلافهم فى نعيم الجنّة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره وفى دوامه وانقطاعه وفى تقديم ٥
الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب وبأنّ اعتقادهم فى امر الآخرة غيرُ
مطابق ولا صادرٌ عن ايقان ، واليقين اتّقان العلم بنفى الشكّ والشبهة عنه نظرا واستدلالا ولذلك لا
يوصف به العلم القديم ولا العلوم الضروريّة ، والآخرة تأنيث الآخِر صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك
الدار الآخرة فغُلّبت كالدنيا وعن نافع انّه خفّفها بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام ، وقرئ
يُؤْقِنون بقلب الواو همزةً لضمّ ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة فى وُجُوه ووُقّتت ونظيره ١٠

لَحَبُّ المُؤْقِدان الىّ مُؤْسَى وجَعْدَةُ اذ اضاءهما الوُقود

(٤) أُولٰئِكَ عَلَى هُدًى مِن رَبِّهِمْ الجملة فى محلّ الرفع إنْ جُعل احد الموصولين مفصولا عن المتّقين خبر له
وكانّه لمّا قيل هدى للمتّقين قيل ما بالهم خصّوا بذلك فأُجيبَ بقوله الّذين يؤمنون بالغيب الى آخر
الآيات والّا فاستينافٌ لا محلّ لها وكانّه نتيجة الاحكام والصفات المتقدّمة او جوابُ سائل قال ما
للموصوفين بهذه الصفات اختصّوا بالهدى ونظيره احسنتَ الى زيد صديقُك القديمُ حقيقٌ بالاحسان ١٥
فانّ اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان يستأنف باعادة الاسم وَحْدَه
لما فيه من بيان المقتضى وتلخيصه فانّ ترتّب الحكم على الوصف ايذانٌ بانّه الموجب له ، ومعنى الاستعلاء
فى على هدى تمثيلُ تمكّنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحالِ مَن اعتلى الشىء وركبه وقد صرّحوا به
فى قولهم امتطى الجهلَ والغَوى واقتعد غاربَ الهَوَى وذلك انّما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما
نصب من الحجج والمواظبة على محاسَبة النفس فى العمل ، ونكّر هُدًى للتعظيم فكانّه اريد به ضَرْبٌ لا ٢٠
يبالَغ كنهُه ولا يقادَر قَدْرُه ونظيره قول الهذلى

فلا وأبِى الطيرِ المُرِبَّةِ بالضحى على خالدٍ لقد وَقَعْتِ على لَحْمِ

واكّد تعظيمه بأنّ اللّه مانحه والموفّق له ، وقد ادغمت النون فى الراء بغنّة وبغير غنّة وَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ
كرّر فيه اسم الاشارة تنبيها على انّ اتّصافهم بتلك الصفات يقتضى كلَّ واحدة من الأُثْرتَيْن وانّ كلّا
منهما كافٍ فى تميّزهم بها عن غيرهم ووسّط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله اولئك ٢٥
كالانعام بل هم اضلّ اولئك هم الغافلون فانّ التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شىء واحد فكانت
الجملة الثانية مقرّرة للاولى فلا تناسب العطفَ ، وهُمْ فصلٌ يفصل الخبر عن الصفة ويؤكّد النسبة ويفيد
اختصاص المسنَد بالمسنَد اليه او مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك ، والمفلح بالحاء والجيم
الفائز بالمطلوب كانّه الّذى انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب وما يشاركه فى الفاء والعين

جزء ١ ركوع ١

نحو فلق وفلذ وفلى يدلّ على الشقّ والفتح   وتعريف المفلحين للدلالة على انّ المتّقين هم الناس الّذين بلغك انّهم المفلحون فى الآخرة او الاشارة الى ما يعرفه كلّ احد من حقيقة المفلحين وخصوصيّاتهم ، تنبيهٌ تأمّلْ كيف نبّه سبحانه على اختصاص المتّقين بنيل ما لا يناله كلّ احد من وجوه شتّى بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب فى اقتفاء اثرهم   وقد تشبّثت به الوعيديّة فى خلود الفسّاق من اهل القبلة فى العذاب وردّ بأنّ المراد بالمفلحين الكاملون فى الفلاح ويلزمه عدمُ كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدمُ الفلاح له رأسا (٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لمّا ذكر خاصّة عباده وخالصة اوليائه بصفاتهم الّتى اهّلتهم للهدى والفلاح عقّبهم اضدادهم العتاة المردة الّذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يغنى عنهم الآيات والنذر ولم يعطف قصّتهم على قصّة المؤمنين كما عطف فى قوله تعالى إنّ الابرار لفى نعيم وإنّ الفجّار لفى جحيم لتباينهما فى الغرض فانّ الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شأنه والاخرى مسوقة لشرح تمرّدهم وانهماكهم فى الضلال ، وإنّ من الحروف الّتى شابهت الفعل فى عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدّى خاصّة فى دخولها على اسمين ولذلك أُعملت عمله الفرعىّ وهو نصبُ الجزء الاوّل ورفعُ الثانى ايذانا بانّه فرعٌ فى العمل دخيلٌ فيه   وقال الكوفيّون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبريّة وهى بعدُ باقية مقتضية للرفع قضيّةَ الاستصحاب فلا يرفعه الحرف وأُجيب بانّ اقتضاء الخبريّة الرفعَ مشروطٌ بالتجرّد لتخلّفه عنها فى خبر كان وقد زال بدخولها فتعيّنَ إعمالُ الحرف   وفائدتها تأكيدُ النسبة وتحقيقها ولذلك يُتلقّى بها القسم ويصدّر بها الأجوبة وتذكر فى معرض الشكّ مثل ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انّا مكّنّا له فى الارض وقال موسى يا فرعون إنّى رسول من ربّ العالمين قال المبرّد قولك عبدُ الله قائمٌ إخبار عن قيامه وإنّ عبد الله قائم جوابُ سائلٍ عن قيامه وإنّ عبد الله لقائم جوابُ منكرٍ لقيامه ، وتعريف الموصول إمّا للعهد والمراد به ناسٌ بأعيانهم كابى لهب وابى جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود او للجنس متناولا من صمّم على الكفر وغيرَهم فخُصّ عنهم غيرُ المصرّين بما اسند اليه ، والكُفر لغةً سَتر النعمة واصله الكَفر بالفتح وهو السَتر ومنه قيل للزارع ولليل كافرٌ ولكِمام الثمرة كافور وفى الشرع انكار ما عُلم بالضرورة مجىء الرسول صلعم به وانّما عُدّ لُبْس الغيار وشدّ الزنّار ونحوُها كُفرا لانّها تدلّ على التكذيب فانّ من صدّق الرسول صلعم لا يجترئ عليها ظاهرا لا لانّها كفر فى انفسها   واحتجّت المعتزلة بما جاء فى القران بلفظ المضىّ على حدوثه لاستدعائه سابقةً مُخبَرٍ عنه واجيب بانّه مقتضى التعلّق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما فى العلم

سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ خبرُ إنّ وسَوَاءٌ اسم بمعنى الاستواء نُعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بانّه خبرُ إنّ وما بعده مرتفع به على الفاعليّة كانّه قيل إنّ الّذين كفروا مستوٍ عليهم إنذارك وعدمه او بانّه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سِيّانِ عليهم والفعل انّما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمامُ ما وُضع له أمّا لو اطلق واريد به اللفظ او مطلق الحدَث المدلول عليه ضِمْنًا على الاتّساع فهو كالاسم فى الاضافة والاسناد اليه كقوله تعالى واذا

جزء ١ قيل لهم آمنوا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من أن تراه وانّما عدل ههنا
ركوع ١ عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدّد وحسن دخول الهمزة وأم عليه لتقرير معنى الاستواء
وتأكيده فانّهما جُرّدتا عن معنى الاستفهام لمجرّد الاستواء كما جرّدت حرف النداء عن الطلب لمجرّد
التخصيص في قولهم اللّهمّ اغفر لنا أيّتها العصابة ، والانذار التخويف اريد التخويف من عقاب اللّه
تعالى وانّما اقتصر عليه دون البشارة لانّه اوقع في القلب واشدّ تأثيرا في النفس من حيث انّ دفع الضرّ ٥
اهمّ من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع أولى ، وقرئ أانذرتهم بتحقيق
الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها ألفا وهو لحن لانّ المتحرّكة لا تقلب ولانّه يؤدّي الى جمع
الساكنين على غير حدّه وبتوسيط ألف بينهما محقّقتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف
الاستفهاميّة وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لا يُؤمنون جملة مفسّرة لاجمال ما قبلها فيما
فيه الاستواء فلا محلّ لها او حال مؤكّدة او بدل عنه او خبر إنّ والجملة قبلها اعتراض بما هو علّة ١٠
الحكم ، والآية ممّا احتجّ به مَنْ جوّز تكليف ما لا يُطاق فانّه سبحانه اخبر عنهم بأنّهم لا يؤمنون
وامرهم بالايمان فلو آمنوا انقلب خبَرُه كذبا وشمل ايمانُهم الايمانَ بانّهم لا يؤمنون فيجتمع الضدّان
والحقّ انّ التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث انّ الأحكام لا تستدعي غرضا سيّما
الامتثال لكنّه غير واقع للاستقراء والإخبارُ بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى
عمّا يفعله هو او العبد باختياره وفائدة الانذار بعد العلم بانّه لا ينجع الزامُ الحجّة وحيازةُ الرسول ١٥
صلعم فضلَ الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعَبَدة الاصنام سواء عليكم
ادعَوْتموهم ام انتم صامتون ، وفي الآية إخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم

وهي من المعجزات (٦) خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ تعليل للحكم السابق
وبيان لما يقتضيه والخَتْمُ الكَتْمُ سمّى به الاستيثاقُ من الشيء بضرب الخاتم عليه لانّه كتمٌ له والبلوغُ
آخِرَه نظرا الى انّه آخِرُ فعلٍ يُفْعَل في إحرازه ، والغِشاوة فِعالة من غشّاه اذا غطّاه بُنيت لما يشتمل على ٢٠
الشيء كالعِصابة والعِمامة ، ولا خَتْمَ ولا تغشية على الحقيقة وانّما المراد بهما ان يُحْدِث اللّه في نفوسهم
هيئةً تُمرّنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيّهم وانهماكهم في التقليد
واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبَهم بحيث لا ينفذ فيها الحقّ واسماعَهم تعافُ استماعَه فتصير
كانّها مستوثَقٌ منها بالختم وأبصارَهم لا تجتلي الآياتِ المنصوبةَ في الانفس والآفاق كما تجتليها أعْيُنُ
المستبصرين وتصير كانّها غُطّي عليها وحِيلَ بينها وبين الابصار وسمّاه على الاستعارة ختما وتغشية او ٢٥
مثّل قلوبهم ومَشاعرهم المأوفَ بها باشياء ضُرِبَ حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبّر
عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى اولئك الّذين طبع اللّه على قلوبهم وسمعهم وابصارهم
وبالاغفال في قوله ولا تُطِعْ من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاقساء في قوله وجعلنا قلوبهم قاسية وهي
من حيث انّ المُمكنات بأسرها مستندةٌ الى اللّه تعالى واقعةٌ بقدرته أُسْندت اليه ومن حيث انّها
مسبّبة ممّا اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع اللّه عليها بكفرهم وقوله ذلك بانّهم آمنوا ثمّ كفروا فطبع ٣٠

على قلوبهم وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطرّت المعتزلة فيه فذكروا جزء ١
وجوها من التأويل الاوّل انّ القوم لمّا اعرضوا عن الحقّ وتمكّن ذلك فى قلوبهم حتّى صار كالطبيعة ركوع
لهم شُبّه بالوصف الخلقىّ المجبول عليه الثانى انّ المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم الّتى خلقها
اللّه تعالى خالية عن الفطن او قلوبٍ مقدّرٍ خَتْمُ اللّه عليها ونظيرُه سال به الوادى اذا هلك وطارت به
٥ العنقاء اذا طالت غيبته الثالث انّ ذلك فى الحقيقة فعْل الشيطان او الكافرِ لكن لمّا كان صدوره عنه
باقداره تعالى اياه أُسْنِد اليه اِسنادَ الفعل الى المسبّب الرابع انّ أعراقهم لمّا رسخت فى الكفر واستحكمت
بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سِوَى الالجاء والقَسْر ثمّ لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف
عبّر عن تركه بالختم فانّه سدٌّ لايمانهم وفيه اِشعار على ترامى امرهم فى الغىّ وتناهى انهماكهم فى الضلال
والبغى الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفّار يقولون مثل قلوبنا فى اكنّة ممّا تدعونا اليه وفى
١٠ آذاننا وقرٌ ومن بيننا وبينك حجابٌ تهكّما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الّذين كفروا من اهل
الكتاب والمشركين الآية السادس انّ ذلك فى الآخرة وانّما اخبر عنه بالماضى لتحقّقه وتيقّن وقوعه
ويشهد له قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصمّا السابع انّ المراد بالختم وَسْم
قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى
اللّه من طبع واِضلال ونحوهما ، وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وللوفاق
١٥ على الوقف عليه ولانّهما لمّا اشتركا فى الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما مِنْ خاصّ فعلهما
الختم الّذى يمنع من جميع الجهات وادراكُ الابصار لمّا اختصّ بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها
الغشاوة المختصّة بتلك الجهة وكرّر الجارّ ليكون ادلّ على شدّة الختم فى الموضعين واستقلالِ كلّ منهما
بالحكم ووحّد السمع للأمن من اللّبْس واعتبارِ الاصل فانّه مصدر فى اصله والمصادر لا تجمع او على
تقديرِ مضاف مثل وعلى حواسّ سمعهم ، والأبصار جمع بَصَر وهو اِدراك العين ويطلق مجازا على القوّة
٢٠ الباصرة والعضوِ وكذا السمع ولعلّ المراد بهما فى الآية العضو لانّه اشدّ مناسبة للختم والتغطية وبالقلب
ما هو محلّ العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما قال تعالى انّ فى ذلك لذِكْرَى لمن كان له
قلب وانّما جاز امالتها مع الصاد لانّ الراء المكسورة تَغْلِب المستعلية لما فيها من التكرير ، وغشاوة رفع
بالابتداء عند سيبويه وبالجارّ والمجرور عند الاخفش ويُؤيّده العطف على الجملة الفعليّة وقرئ بالنصب
على تقديرِ وجعل على ابصارهم غشاوةً او على حذف الجارّ وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى وختم على
٢٥ ابصارهم بغشاوة وبالضمّ والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغِشْوَةٌ بالكسر مرفوعةً وبالفتح مرفوعةً
ومنصوبةً وعَشاوة بالعين الغير المعجمة وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ وعيد وبيان لما يستحقّونه والعذاب كالنّكال
بناء ومعنى تقول أَعْذَبَ عن الشىء ونَكَلَ عنه اذا امسك ومنه الماء العَذْبُ لانّه يقمع العطش ويردعه
ولذلك سمّى نُقاخا وفُراتا ثمّ اتّسع فاطلق على كلّ الم فادح وان لم يكن نكالا اى عقابا يردع الجانى
عن المعاودة فهو اعمّ منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الّذى هو ازالة العَذْب كالتقذية والتمريض ،
٣٠ والعظيمُ نقيض الحقير والكبيرُ نقيض الصغير فكما انّ الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى

جزء ١ التوصيف به انّه اذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة اليه ؛ ومعنى التنكير فى الآية
ركوع ١ انّ على ابصارهم نوع غشاوة ليس ممّا يتعارفه الناس وهو التعامى عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع لا
ركوع ٢ يعلم كنهه الّا اللّه تعالى (٧) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللّٰهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ لمّا افتتح سبحانه بشرح
حال الكتاب وساق لبيانه ذِكْرَ المؤمنين الّذين اخلصوا دينهم للّه وواطأتْ فيه قلوبهم ألسنتَهم وثنّى
باضدادهم الّذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لِفْتَه رأسا ثلّث بالقسم الثالث المذبذب بين ٥
القسمَيْن وهم الّذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى
اللّه لانّهم موّهوا الكفر وخلطوا به خِداعا واستهزاء ولذلك طوّل فى بيان خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم
وتهكّم بافعالهم وسجّل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم انّ المنافقين فى الدرك
الاسفل من النار وقصّتهم عن آخرها معطوفة على قصّة المصرّين ؛ والناس اصله أُناس لقولهم إنسانٌ وإنْسٌ
وأَنَاسِيُّ فحذفت الهمزة حَذْفَها فى لُوقة وعوّض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يُجْمَع بينهما وقوله ١٠

انّ المنايا يَطَّلِعْــــــــــنَ على الأُناس الآمنينا

شاذٌّ وهو اسم جمع كرُخَال اذ لم يثبت فُعَال فى ابنية الجمع مأخوذ من أَنِسَ لانّهم يستأنسون بأمثالهم
او آنَسَ لانّهم ظاهرون مُبْصَرون ولذلك سُمّوا بَشَرا كمـــا سمّى الجنّ جنّا لاجتنانهم والللام فيه للجنس
ومَنْ موصوفة اذ لا عَهْدَ فكانّه قال ومن الناس ناسٌ يقولون وقيل للعهد والمعهود هم الّذين كفروا
ومَنْ موصولة مراد بها ابنُ أُبَىّ واصحابه ونظراؤه فانّهم من حيث انّهم صمّموا على النفاق دخلوا فى عداد ١٥
الكفّار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر لا يأبى دخولهم تحت هذا الجنس فانّ
الاجناس انّما تتنوّع بزيادات يختلف فيها أَبعاضها فعلى هذا تكون الآية تقسيما للقسم الثانى ؛
واختصاص الايمان باللّه واليوم الآخر بالذكر تخصيصٌ لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادّعاء بانّهم
احتازوا الايمان من جانبَيْه واحاطوا بقُطْرَيْه وايذانٌ بانّهم منافقون فيما يظنّون انّهم مخلصون فيه
فكيف بما يقصدون به النفاق لانّ القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون باللّه واليوم الآخر ايمانا كلا ٢٠
ايمانٍ لاعتقادهم التشبيهَ واتّخاذَ الولد وأنّ الجنّة لا يدخلها غيرهم وأنّ النار لن تمسّهم الّا ايّاما
معدودة وغيرَها ويُرون المؤمنين انّهم آمنوا مثل ايمانهم وبيانٌ لتضاعف خبثهم وافراطهم فى كفرهم لانّ
ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا فكيف وقد قالوه
تمويها على المسلمين وتهكّما بهم وفى تكرير الباء ادّعاء للايمان بكلّ واحد على الاصالة والاستحكام ؛
والقول هو التلفّظ بما يُفيد ويقال بمعنى المقول والمعنى المتصوَّرِ فى النفس المعبّر عنه باللفظ والرأي والمذهب ٢٥
مجازا ؛ والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهى او الى ان يدخل اهل الجنّة الجنّةَ واهل النار
النارَ لانّه آخر الاوقات المحدودة وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ انكارُ ما ادّعوه ونفىُ ما انتحلوا اثباتَه وكان اصله وما
آمنوا ليطابق قولَهم فى التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنّه عكس تأكيدا ومبالغة فى التكذيب
لانّ اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفى الايمان عنهم فى ماضى الزمان ولذلك اكّد النفى
بالباء واطلق الايمان على معنى انّهم ليسوا من الايمان فى شىء ويحتمل ان يقيَّد بما قيّدوا بــه لانّــه ٣٠

جوابه ، والآية تدلّ على انّ من ادّعى الايمان وخالف قلبُه لسانَه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لا أنّ مَنْ تفوّه جزء
بالشهادتين فارغَ القلب عمّا يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرّاميّة فى الثانى فلا تنتهض ركوع
حجّة عليهم (٨) يُخَادِعُونَ ٱللّٰهَ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا الخدع ان توهم غيرك خلافَ ما تُخْفيه من المكروه لتُنزِله
عمّا هو فيه او عمّا هو بصدده من قولهم خَدَعَ الضبُّ اذا توارى فى جُحْره وضبٌّ خادعٌ وخَدِعٌ اذا اوهم
٥ الحارشَ اقبالَه عليه ثمّ خرج من باب آخر واصله الاخفاء ومنه المُخْدَع للخزانة والأَخْدَعان لعِرْقَيْن
خفيّيْن فى العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخِداعُهم مع اللّه ليس على ظاهره لانّه تعالى لا يَخْفى
عليه خافيةٌ ولانّهم لم يقصدوا خديعته بل المراد امّا مخادعة رسوله على حذف المضاف او على انّ معاملة
الرسول معاملةُ اللّه تعالى من حيث انّه خليفته كما قال تعالى من يُطِع الرسول فقد اطاع اللّه انّ الّذين
يبايعونك انّما يبايعون اللّه وامّا أنّ صورة صنيعِهم مع اللّه تعالى من اظهار الايمان واستبطان الكفر
١٠ وصُنْعِ اللّه معهم باجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبثُ الكفّار واهلُ الدرك الاسفل من النار
استدراجا لهم وامتثالِ الرسول والمؤمنين امرَ اللّه فى إخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاةً لهم
مثل صنيعهم صورةُ صنيع المتخادعَيْن ويحتمل أن يراد بيخادعون يخدعون لانّه بيان ليقول او
استيناف بذكر ما هو الغرض منه الّا انّه اخرج فى زِنَةِ فاعلت للمبالغة فانّ الزنة لمّا كانت للمغالبة
والفعلُ متى غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلةِ مُعارِضٍ ومُبارٍ استصحبت ذلك ويَعْضده قراءةُ
١٥ مَنْ قرأ يَخْدَعُونَ وكان غرضهم فى ذلك أنْ يدفعوا عن انفسهم ما يُطْرَق به مَنْ سواهم من الكفرة
وأنْ يُفْعَل بهم ما يُفْعَل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وأنْ يختلطوا بالمسلمين فيطّلعوا على أسرارهم
ويُذيعوها الى مُنابِذيهم الى غير ذلك من الأغراض والمقاصد وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ قراءة نافع وابن
كثير وابى عمرو والمعنى انّ دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انّهم فى ذلك خدعوا انفسهم
لمّا غرّوها بذلك وخدعَتْهم انفسهم حيث حدّثَتْهم بالأمانىّ الفارغة وحملتهم على مخادعةِ مَنْ لا يخفى
٢٠ عليه خافية وقرأ الباقون وما يَخْدَعُونَ لانّ المخادعة لا تُتصوَّر الّا بين اثنين وقرئ ويُخَدِّعون
من خدّع ويَخْتَدِعُونَ بمعنى يختدعون ويُخْدَعُونَ ويُخادَعُونَ بالبناء للمفعول ونَصْبِ انفسهم
بنزع الخافض ، والنفس ذات الشىء وحقيقته ثمّ قيل للروح لانّ نفس الحىّ به وللقلب لانّه محلّ الروح
او متعلّقه وللدم لانّ قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه وللرأى فى قولهم فلان يؤامر نفسَه لانّه
ينبعث عنها او يشبه ذاتا تأمره وتشير عليه والمراد بالانفس ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم
٢٥ وآرائهم وَمَا يَشْعُرُونَ لا يُحِسّون لذلك لتمادى غفلتهم جُعِل لحوق وَبالِ الخداع ورجوعُ ضرره اليهم
فى الظهور كالمحسوس الّذى لا يخفى الّا على مَأوف الحواسّ والشعورُ الاحساس ومَشاعِرُ الانسان حواسّه
واصله الشِعْر ومنه الشِعار (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللّٰهُ مَرَضًا المرض حقيقةٌ فيما يَعْرِض البدنَ فيخرجه
عن الاعتدال الخاصّ به ويوجب الخلل فى افعاله ومجازٌ فى الأعراض النفسانيّة الّتى تُخِلّ بكمالها كالجهل
وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحبّ المعاصى لانّها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدّية الى زوال الحيوة
٣٠ الحقيقيّة الابديّة والآية تحتملهما فانّ قلوبهم كانت متألّمة تحرّقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا

جزء ١ على ما يرون من ثبات امر الرسول صلعم واستعلاء شأنه يوما فيوما فزاد الله غمّهم بما زاد في اعلاء امره
ركوع ٢ واشادة ذكره ونفوسهم كانت مألوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبيّ صلعم ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع او بازدياد التكليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انّه مسبّب من فعله واسنادها الى السورة في قوله تعالى فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله تعالى لهم ٥
بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله صلعم نصرة على الاعداء وتبسّطا في البلاد وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اى مؤلم يقال ألِمَ فهو اليم كوَجِعَ فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله

تحيّةُ بينِهم ضربٌ وجيعُ

على طريقة قولهم جَدَّ جِدُّه بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ قراءة عاصم وحمزة والكسائيّ والمعنى بسبب كذبهم او ببدله جزاء لهم وهو قولهم آمنّا وقرأ الباقون يُكَذِّبُونَ من كذّبه لانّهم كانوا يكذّبون الرسول عم ١٠
بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم او من كذّب الّذى هو للمبالغة او التكثير مثل بيّنَ الشيء وموّتت البهائمُ او من كذّب الوحشيُّ اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه فانّ المنافق متحيّر متردّد والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به وهو حرام كلّه لانّه عُلّل به استحقاق العذاب حيث رتّب عليه وما روى انّ ابرهيم عم كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لمّا شابه الكذبَ في صورته سمّي
به (١٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ عطف على يكذبون او يقول وما روى عن سلمان رضه انّ ١٥
اهل هذه الآية لم يأتوا بعدُ فلعلّه اراد به انّ اهله ليس الّذين كانوا فقط بل وسيكون مِنْ بعدُ مَنْ حاله حالهم لانّ الآية متّصلة بما قبلها بالضمير الّذى فيها ، والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاحُ ضدّه وكلاهما يعمّان كلّ ضارّ ونافع وكان من فسادهم في الارض هيْج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وممالأة الكفّار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فانّ ذلك يؤدّى الى فساد ما في الارض من الناس
والدوابّ والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فانّ الاخلال بالشرائع والاعراض عنها ممّا يوجب ٢٠
الهرج والمرج ويخلّ بنظام العالم ، والقائل هو الله تعالى او الرسول صلعم او بعض المؤمنين وقرأ الكسائيّ وهشام قيل باشمام الضمّ الاوّل قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ جوابٌ لاذا وردٌّ للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انّه لا يصحّ مخاطبتنا بذلك فانّ شأننا ليس الّا الاصلاح وانّ حالنا متمحّضة عن شوائب الفساد لانّ انّما يفيد قصْرَ ما دخله على ما بعْدَه مثلَ انّما زيدٌ منطلق وانّما ينطلق زيدٌ وانّما قالوا ذلك
لانّهم تصوّروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال تعالى افمن زُيّن له سوء عمله فرآه ٢٥
حسنا (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ردّ لما ادّعوه ابلغ ردّ للاستيناف به وتصديره بحرفَي التوكيد أَلَا المنبّهة على تحقّق ما بعدها فانّ همزة الاستفهام الّتى للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك بقادر ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعدها الّا مصدّرة بما يتلقّى به القسم واختُها أمَا الّتى هي من طلائع القسم وإنّ المقرّرة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لردّ ما في قولهم

انّما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون (١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا من تمام جزء ١
النصح والارشاد فانّ كمال الايمان بمجموع امرين الاعراض عمّا لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا ركوع ٢
والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا كَمَا آمَنَ ٱلنَّاسُ في حيّز النصب على المصدر ، وما مصدريّة
او كافّة مثلها في ربّما ، واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الانسانيّة العاملون بقضيّة العقل
٥ فانّ اسم الجنس كما يُستعمل لمُسمّاه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه
ولذلك يُسْلَب عن غيره فيقال زيدٌ ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صمّ بكم ونحوه وقد
جمعهما الشاعر في قوله

إذ آلناسُ ناسٌ والزمانُ زمانُ

او للعهد والمرادُ به الرسول صلعم ومَنْ معه او مَنْ آمن مِنْ اهلِ جِلْدَتهم كابن سلام واصحابه والمعنى
١٠ آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحّصا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم ، واستُدلّ به على قبول توبة
الزنديق وأنّ الاقرار باللسان ايمانٌ والّا لم يُفِد التقييدُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ ٱلسُّفَهَاءُ الهمزة فيه
للانكار ، واللامُ مُشار بها الى الناس او الجنس بأسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانّما سفّهوهم
لاعتقادهم فسادَ رأيهم او لتحقير شأنهم فانّ اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم مَوالٍ كصُهَيب وبلال او
للتجلّد وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان فسّر الناس بعبد الله بن سلام وأشياعه ، والسَفَه خفّةٌ وسخافةُ
١٥ رأي يقتضيهما نقصانُ العقل والحِلْمُ يقابله أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَاءُ وَلَٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ردّ ومبالغة في
تجهيلهم فانّ الجاهلَ بجهله الجازمَ على خلافِ ما هو الواقع اعظمُ ضلالةً واتمّ جهالةً من المتوقّف
المعترف بجهله فانّه ربّما يُعْذَر وتنفعه الآياتُ والنُذُر وانّما فُصِّلت الآية بلا يعلمون والّتي قبلها بلا
يشعرون لأنّه اكثرُ طباقا لذكر السفه ولأنّ الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحقّ والباطل ممّا يفتقر
الى نظر وفكر وأمّا النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانّما يُدْرَك بأدنى تفطّن وتأمّل فيما يشاهَد من
٢٠ اقوالهم وافعالهم (١٣) وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا بيان لمعاملتهم المؤمنين والكفّار وما صُدّرت
به القصّة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيدِ نفاقهم فليس بتكرير روى انّ ابن أُبَيّ واصحابه استقبلهم نفرٌ
من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف أَرُدّ هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر رضه فقال مرحبا
بالصدّيق سيّد بني تَيْمٍ وشيخِ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسَه ومالَه لرسول الله ثمّ اخذ
بيد عُمَر رضه فقال مرحبا بسيّد بني عديّ الفاروق القويّ في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله ثمّ
٢٥ اخذ بيد عليّ رضه فقال مرحبا بابن عمّ رسول الله وختنه سيّد بني هاشم ما خلا رسول الله فنزلت ،
واللقاء المصادفة يقال لَقِيته ولاقَيْته اذا صادفته واستقبلته ومنه أَلْقيته اذا طرحته فانّك بطرحه جعلته
بحيث يُلْقَى وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذمٌّ اى
عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا سَخِرتَ منه وعُدّي بالى لتضمّن معنى
الانتهاء ، والمراد بشياطينهم الّذين ماثلوا الشياطين في تمرّدهم وهم المُظْهِرون كفرهم واضافتهم اليهم

جزء ١ للمشاركة فى الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انّه من
ركوع ٢ شَطَنَ اذا بَعُدَ فانّه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم شَيْطَنَ واخرى زائدةً على انّه من شَاطَ اذا بَطَلَ
ومن اسمائه الباطلُ قَالُوا اِنَّا مَعَكُمْ اى فى الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعليّة والشياطين
بالجملة الاسميّة المؤكّدة بانّ لانّهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما
كانوا عليه ولانّه لم يكن لهم باعثٌ من عقيدة وصدقِ رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقُّع رواج ٥
ادّعاء الكمال فى الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفّار اِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ
تأكيدٌ لما قبله لانّ المستهزئ بالشيء المستخفّ به مُصِرّ على خلافه او بدلٌ منه لانّ من حقّر الاسلام
فقد عظّم الكفر او استئنافٌ فكانّ الشياطين قالوا لهم لمّا قالوا انّا معكم اِن صحّ ذلك فما بالكم
توافقون المؤمنين وتدّعون الايمان فاجابوا بذلك ، والاستهزاء السخريّة والاستخفاف يقال هزأت
واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفّة من الهَزْء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات ١٠
على مكانه وناقته تهزأ به اى تسرع وتخفّ (١٤) اَللّٰهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ يجازيهم على استهزائهم سمّى
جزاء الاستهزاء باسمه كما سمّى جزاء السيّئة سيّئة امّا لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له فى القدْر
او يُرْجِع وبالَ الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الّذى هو لازم
الاستهزاء او الغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ امّا فى الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم
واستدراجهم بالامهال والزيادة فى النعمة على التمادى فى الطغيان وامّا فى الآخرة فبأن يفتح لهم وهم فى ١٥
النار بابا الى الجنّة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سدّ عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الّذين
آمنوا من الكفّار يضحكون وانّما استؤنف به ولم يعطف ليدلّ على انّ اللّه تعالى تولّى مجازاتهم ولم
يُحْوِج المؤمنين ان يعارضوهم وانّ استهزاءهم لا يُؤْبَه به فى مقابلة ما يفعل اللّه تعالى بهم ولعلّه لم يقل
اللّه مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بانّ الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدّد حينا بعد حين
وهكذا كانت نكايات اللّه فيهم كما قال تعالى اَوَلا يرون انّهم يُفْتنون فى كلّ عام مرّة او مرّتين ٢٠
وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ من مدّ الجيش وأمدّه اذا زاده وقوّاه ومنه مددت السراجَ والارضَ اذا
اصلحتهما بالزيت والسماد لا من المدّ فى العمر فانّه يعدّى باللام كأملى له ويدلّ عليه قراءة ابن كثير
ويُمِدُّهُمْ والمعتزلة لمّا تعذّر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لمّا منعهم اللّهُ ألطافه الّتى يمنحها
المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدّهم طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رَيْنا
وظلمةً تزايُدَ قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكّن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك ٢٥
الى اللّه تعالى اسنادَ الفعل الى المسبّب واضاف الطغيان اليهم لئلّا يُتوهّم انّ اسناد الفعل اليه على الحقيقة
ومصداقُ ذلك انّه لمّا اسند المدّ الى الشيطان اطلق الغيّ وقال واخوانهم يمدّونهم فى الغيّ او اصله
يَمُدُّ لهم بمعنى يُمْلى لهم ويمدّ فى اعمارهم كى يتنبّهوا ويطيعوا فما ازدادوا الّا طغيانا وعمها فحذفت
اللام وعدّى الفعل بنفسه كما فى قوله تعالى واختار موسى قومَه او التقديرُ يمدّهم استصلاحا وهم مع

ذلك يعمهون فى طغيانهم ، والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحدّ فى العصيان والغلوّ فى جزء ١ الكفر واصله تجاوز الشىء عن مكانه قال تعالى انّا لمّا طغى الماء حملناكم ، والعَمَهُ فى البصيرة كالعَمَى ركوع فى البصر وهو التحيّر فى الامر يقال رجلٌ عامِهٌ وعَمِهٌ وارض عَمْهاء لا منارَ بها قال

أَعْمَى ٱلْهُدَى بِالجاهلين العُمَّهِ ،

٥ (١٥) أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلضَّلَالَةَ بِٱلْهُدَى اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يُطْلَب من الأَعْيان فان كان احد العِوَضَيْن ناضًّا تعَيَّنَ من حيث انّه لا يطلب لعينه أَنْ يكون ثمنا وبَذْلُه اشتراء والّا فأىّ العوضين تصوّرته بصورة الثمن فباذِلُه مشترٍ وآخِذُه بائعٌ ولذلك عُدّت الكلمتان من الأَضْداد ثمّ استعير للاعراض عمّا فى يده محصّلا به غيرَه سواءٌ كان من المعانى او الاعيان ومنه

اخذتُ بالجُمّة رأسا أَزْعَرا وبالثنايا الواضحات الدُّرْدُرا
١٠ وبالطويلِ العُمْرِ عُمْرا جَيْذَرا كما ٱشْتَرَى ٱلْمُسْلِمُ اذ تَنَصّرا

ثمّ آتّسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشىء طمعا فى غيره والمعنى انّهم اخلّوا بالهدى الّذى جُعِل لهم بالفِطْرة الّتى فَطَر النّاس عليها محصّلين الضلالة الّتى ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة واستحبّوها على الهدى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ ترشيح للمجاز لمّا استعمل الاشتراء فى معاملتهم أَتْبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارتهم ونحوه

١٥ ولمّا رأيتُ النَّسْرَ عَزَّ ٱبْنَ دَأْيَةٍ وعشّش فى وَكْرَيْهِ جاش له صدرى

والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء ، والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمّى شفّا واسناده الى التجارة وهو لأربابها على الاتّساع لتلبّسها بالفاعل او لمشابهتها ايّاه من حيث انّها سبب الربح والخسران وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ لطُرق التجارة فانّ المقصود منها سلامةُ رأس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطِّلْبَتَيْنِ لانّ رأس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصِّرْف فلمّا اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختلّ ٢٠ عقلهم ولم يبق لهم رأس مال يتوسّلون به الى درك الحقّ ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدين للاصل (١٦) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا لمّا جاء بحقيقة حالهم عقّبها بضرب المثل زيادةً فى التوضيح والتقرير فانّه اوقع فى القلب واقمعُ للخصم الألدّ لانّه يُريك المتخيَّل متحقّقا والمعقولَ محسوسا ولأَمْرٍ مّا اكثر اللّه تعالى فى كُتُبه الامثالَ وفشَتْ فى كلام الانبياء والحكماء والمَثَل فى الاصل بمعنى النظير يقال مِثْلٌ ومَثَلٌ ومَثِيلٌ كشِبْه وشَبَه وشَبِيه ثمّ قيل للقول السائر المُمَثَّلِ مَضْرِبُهُ بمَوْرِدِه ولا يضرب الّا ما ٢٥ فيه غرابةٌ ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثمّ استعير لكلّ حالٍ او قصّة او صفة لها شأنٌ وفيها غرابةٌ مثل قوله تعالى مَثَلُ الجنّة الّتى وُعِد المتّقون وقوله ولله المَثَل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشأن كحال من استوقد نارا ، والّذى بمعنى الّذين كما فى قوله تعالى وخضتم كالّذى خاضوا ان جُعِل مَرْجِعَ الضمير فى بنورهم وانّما جاز ذلك ولم يجز وَضْع القائم موضع القائمين لانّه غير مقصود بالوصف

جزء ۱ بل الجملة الّتى فى صلته وهو وصْلةٌ الى وصف المعرفة بها ولانّه ليس باسم تامّ بل هو كالجزء منه فحقّهُ ان لا
ركوع ۲ يجمع كما لا تجمع اخواتها ويستوى فيه الواحد والجمع وليس ٱلّذِينَ جَمْعَهُ المصحّحَ بل ذو زيادة
زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة الّتى عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته
استحقّ التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثمّ كسْرته ثمّ اقتصر على اللام فى اسماء الفاعلين
والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الّذى استوقد ، والاستيقاد طلب الوُقود والسعى ۵
فى تحصيله وهو سطوعُ النار وارتفاعُ لهبها ، واشتقاق النار من نار ينور نَوْرا اذا نفر لانّ فيها حركة واضطرابا
فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ اى النارُ ما حول المستوقد ان جعلتها متعدّية والّا امكن ان تكون مستندة الى
ما والتأنيث لانّ ما حوله اشياء واماكن او الى ضمير النار وما موصولةٌ فى معنى الامكنة نصب على الظرف
او مزيدةٌ وحوله ظرفٌ ، وتأليف الحول للدوران وقيل للعام حَوْل لانّه يدور ذَهَبَ ٱللّٰهُ بِنُورِهِمْ جوابُ
لمّا والضميرُ للّذى وجمعُه للحمل على المعنى وعلى هذا انّما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانّه المراد ۱۰
من ايقادها او استيناف أُجيب به اعتراضُ سائل يقول ما بالُهم شُبّهتْ حالُهم بحالِ مستوقد انطفأتْ
نارُه او بدلٌ من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهَيْن للمنافقين والجوابُ محذوفٌ
كما فى قوله تعالى فلمّا ذهبوا به للايجاز وأَمْنِ الالْباس وإسناد الاذْهاب الى اللّه تعالى امّا لانّ الكلّ بفعله
او لانّ الاِنْطفاء حصل بسببٍ خفيٍّ او امرٍ سماويٍّ كريحٍ او مطرٍ او للمبالغة ولذلك عدّى الفعل بالباء
دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه ۱۵
اللّه وامسكه فلا مُرْسِل له ولذلك عدل عن الضوء الّذى هو مقتضى اللفظ الى النور فانّه لو قيل ذهب
اللّه بضوئهم آحْتُمل ذهابُه بما فى الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمّى نورا والغرضُ إزالةُ النور عنهم رأسا
الا ترى كيف قرّر ذلك واكد بقوله وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ فذكر الظلمة الّتى هى عدم النور
وانطماسُه بالكلّيّة وجَمَعَها ونكّرها ووصفها بانّها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شَبَحان ، وترك فى الاصل
بمعنى طرح وخلّى وله مفعول واحد فضُمّن معنى صيّر فجرى مجرى أَفْعال القلوب كقوله تعالى وتركهم فى ۲۰
ظلمات وقولِ الشاعر

فتركْنَه جَزَرَ السباعِ يَنُشْنَه يَقْضَمْنَ حُسْنَ بَنانِه والمِعْصَمِ ،

والظلمة مأخوذ من قولهم ما ظَلَمَك أَنْ تفعل كذا اى ما منعك لانّها تَسُدّ البصر وتمنع الرؤية وظلماتُهم
ظلمةُ الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيامة يومَ ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورُهم بين ايديهم
وبأيمانهم او ظلمةُ الضلال وظلمة سخط اللّه تعالى وظلمة العقاب السرمد او ظلمةٌ شديدةٌ كانّها ۲۵
ظلمات متراكمة ، ومفعولُ لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكانّ الفعل غير متعدّ ، والآية مثلٌ ضَرَبَه
اللّه تعالى لمن آتاه ضَرْبا من الهدى فأضاعه ولم يتوصّل به الى نعيم الابد فبقى متحيّرا متحسّرا تقريرا
وتوضيحا لما تضمّنته الآية الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانّهم اضاعوا ما نطقت به
أَلسنتُهم من الحقّ باستبطان الكفر واظهارِه حين خلوا الى شياطينهم ومَنْ آثر الضلالةَ على الهدى
المجعولِ له بالفطرة او ارتدّ عن دينه بعد ما آمن ومَنْ صحّ له احوالُ الإرادة فادّعى احوال المحبّة فأذهب ۳۰

الله عنه ما اشرق عليه من نور الارادة او مثل لايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء جزء ١
وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين فى المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره ركوع ٢
وانطماس نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب نورها (١٧) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ لمّا
سدّوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويتبصّروا الآيات بابصارهم جُعلوا كانّما
٥ ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله

صُمٌّ اذا سمعوا خيرا ذُكرتُ به وانْ ذُكرتُ بسوء عندهم أَذنوا

وقوله

أَصَمُّ عن الشىء الّذى لا أُريده وأَسْمَعُ خَلْقِ اللّه حين أُريدُ

واطلاقها عليهم على سبيل التمثيل لا الاستعارة اذ منْ شرطها ان يُطْوَى ذِكْرُ المستعار له بحيث يُمْكن
١٠ حَمْلُ الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير

لَدَى أَسَدٍ شاكِى السِلاحِ مقذَّفٍ له لِبَدٌ أَظْفارُه لم تُقَلَّمِ

ومنْ ثَمّ ترى المُفْلقين السَحَرة يَضْربون عن توهّم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام

ويَصْعَدُ حتّى لَظَنَّ الجَهُولُ بانّ له حاجةً فى السماء

وههنا وان طُوى ذكره بحذف المبتدأ لكنّه فى حُكْم المنطوق به ونظيره

١٥ أَسَدٌ علىّ وفى الحُروب نَعامةٌ فَتْخاءُ تَنْفِرُ من صَفِيرِ الصافرِ

هذا اذا جعلتَ الضمير للمنافقين على انّ الآية فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهى
على حقيقتها والمعنى انّهم لمّا اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات هائلة أدْهشتهم بحيث
اختلّت حواسّهم وانتقصت قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم ، والصَمَم
اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حَجَرٌ أَصَمُّ وقناةٌ صمّاء وصِمامُ القارورة سُمّى به فقدان حاسّة
٢٠ السمع لانّ سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه فيشتمل على هواء يَسْمع الصوت
بتموّجه ، والبَكَم الخرس ، والعَمَى عدم البصر عمّا منْ شأنه ان يُبْصر وقد يقال لعدم البصيرة
فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ لا يعودون الى الهدى الّذى باعوه وضيّعوه او عن الضلالة الّتى اشتروها او هم
متحيّرون لا يدرون ايتقدّمون ام يتأخّرون والى حيث ابتدؤا منه كيف يرجعون ، والفاء للدلالة
على انّ اتصافهم بالاحكام السابقة سببٌ لتحيّرهم واحتباسهم (١٨) أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَآءِ عطف على
٢٥ الّذى استوقد اى كمثل ذوى صيّب لقوله يجعلون اصابعهم ، وأوْ فى الاصل للتساوى فى الشكّ ثمّ اتّسع
فيها فاطلقت للتساوى من غير شكّ مثل جالِسِ الحسنَ او ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما
او كفورا فانّه يفيد التساوى فى حُسْن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله تعالى او كصيّب
ومعناه انّ قصّة المنافقين مشبّهة بهاتين القصّتين وانّهما سواء فى صحّة التشبيه بهما وانت مخيّر فى التمثيل
بهما او بأيّهما شئت ، والصيّب فَيْعِل من الصوب وهو النزول يقال للمطر والسحاب قال الشماخ
٣٠ وأَسْحَمَ دانٍ صادِقِ الرَعْدِ صَيِّبِ

جزء ١ وفي الآية يحتملهما وتنكيره لانّه اريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على انّ الغمام
ركوع ٢ مطبق آخذ بآفاق السماء كلّها فانّ كلّ افق منها يسمّى سماء كما انّ كلّ طبقة منها سماء قال

ومن بُعْد ارض بيننا وسماء

أُمِدّ به ما في صيّب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام
لتعريف الماهيّة فيه ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ان اريد بالصيّب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة ٥
غمامه مع ظلمة الليل وجَعْلُه مكانا للرعد والبرق لانّهما في اعلاه ومنحدَره ملتبسَيْن به وان اريد به
السحاب فظلماته سُحْمَتُه وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانّه معتمد على موصوف ،
والرعد صوت يُسْمع من السحاب والمشهور انّ سببه اضطراب أجرام السحاب واصطكاكها اذا حَدَتْها
الريح من الارتعاد ، والبرق ما يلمع من السحاب من بَرَق الشيء بريقا وكلاهما في الاصل مصدر
ولذلك لم يُجْمَعا يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ الضمير لاصحاب الصيّب وهو وان حذف لفظه وأُقيم الصيّب ١٠
مقامه لكن معناه باقٍ فيجوز ان يعوَّل عليه كما عوّل حسّان في قوله

يَسْقُون مَنْ ورد البَرِيصَ عليهم   بَرَدَى يصفّق بالرحيق السَّلْسَلِ

حيث ذكّر الضمير لانّ المعنى ماء بَرَدَى والجملة استيناف فكانّه لمّا ذكر ما يؤذن بالشدّة والهول قيل
فكيف حالهم مع مثل ذلك فاجيب بها وانّما اطلق الاصابع موضعَ الانامل للمبالغة مِنَ ٱلصَّوَاعِقِ
متعلّق بيجعلون اى من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من العَيْمة ، والصاعقة قَصْفة رعد هائل معها ١٥
نار لا تمرّ بشيء الّا اتت عليه من الصَّعَق وهو شدّة الصوت وقد تطلق على كلّ هائل مسموع او
مشاهَد ويقال صَعَقَتْه الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدّة الصوت وقرئ من الصَّوَاقع وهو ليس بقلب
من الصواعق لاستواء كلا البنائين في التصرّف فيقال صَقَعَ الديكُ وخطيبٌ مِصْقَعٌ وصَقَعَتْه الصاقعة وهي
في الاصل إمّا صفة لقَصْفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة
حَذَرَ ٱلْمَوْتِ نصب على العلّة كقوله ٢٠

وأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الكريمِ ٱدّخارَهُ   وأُصْفِحُ عن شَتْمِ اللئيمِ تكرُّمَا ،

والموت زوال الحيوة وقيل عَرَضٌ يضادّها لقوله تعالى خَلَقَ الموت والحيوة ورُدّ بانّ الخلق بمعنى التقدير
والأَعْدَامُ مقدَّرة وَٱللّٰهُ مُحِيطٌ بِٱلْكَافِرِينَ لا يفوتونه كما لا يفوت المُحاطُ به المُحِيطَ لا يخلّصهم الخِداع
والحِيَل والجملة اعتراضيّة لا محلّ لها (١٩) يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ استيناف ثانٍ كانّه جواب لمن
يقول ما حالهم مع تلك الصواعق ، وكَادَ من افعال المقاربة وُضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعُروض ٢٥
سببه لكنّه لم يوجد إمّا لفقد شرط او لوجود مانع وعَسَى موضوعة لرجائه فهي خبرٌ محضٌ ولذلك
جاءت متصرّفة بخلاف عَسَى وخبرُها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انّه المقصود بالقرب
من غير أَنْ لتوكيد القرب بالدلالة على الحال وقد تدخل عليه حملا لها على عَسَى كما تحمل عليها
بالحذف عن خبرها لمشاركتهما في اصلِ معنى المقاربة ، والخَطْف الاخذ بسرعة وقرئ يَخْطِف بكسر

جزء ١ الطاء ويَخَطِّفُ على انّه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثمّ ادغمت فى الطاء ويِخِطِّفُ بكسر الخاء

ركوع ٢ لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها ويُخَطِّفُ ويَتَخَطَّفُ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا استيناف ثالث كانّه قيل ما يفعلون فى تارتَىْ خفوق البرق وخفيته فاجيب بذلك ، واضاء امّا متعدّ والمفعول محذوف بمعنى كلّما نوّر لهم مَمْشَى اخذوه او لازمٌ بمعنى كلّما لمع لهم مشوا فى مَطْرَحِ نوره

٥ وكذلك أَظْلَمَ فانّه جاء متعدّيا منقولا من ظَلِمَ الليلُ ويشهد له قراءة أُظْلِمَ على البناء للمفعول وقولُ ابى تمّام

هما أَظْلَمَا حالَىَّ ثُمَّتَ أَجْلَيَا ظَلامَيْهما عن وجه أَمْرَدَ أَشْيَبِ

فانّه وإن كان من المُحْدَثين لكنّه من علماء العربيّة فلا يَبْعُد ان يُجْعَل ما يقوله بمنزلة ما يَرْويه ، وانّما قال مع الاضاءة كُلَّمَا ومع الاظلام إِذَا لانّهم حراص على المشى فكلّما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك

١٠ التوقّف ، ومعنى قَامُوا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء اذا جمد وَلَوْ شَاءَ ٱللّٰهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ اى ولو شاء اللّه ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفُه فى شاء وأَرادَ حتّى لا يكاد يُذْكَر الّا فى الشىء المستغرَب كقوله

فلو شئتُ ان أَبْكِى دما لَبَكَيْتُه ،

١٥ ولَوْ من حروف الشرط وظاهرُها الدلالة على انتفاء الاوّل لانتفاء الثانى ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء اللازم ، وقرئ لَأَذْهَبَ بِأَسْمَاعِهِمْ بزيادة الباء كقوله تعالى ولا تُلْقُوا بِأَيْدِيكم الى التهلكة ، وفائدة هذه الشرطيّة ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيهُ على انّ تأثير الاسباب فى مسبّباتها مشروط بمشيئته تعالى وانّ وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرته وقولهُ إِنَّ ٱللّٰهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ كالتصريح به والتقرير له ، والشَّىْء يختصّ بالموجود لانّه فى الاصل مصدرُ شاء اطلق بمعنى شاءٍ تارة

٢٠ وحينئذ يتناول البارئَ تعالى كما قال تعالى قل اىّ شىء اكبر شهادة قل اللّه شهيد وبمعنى مَشِىءٍ اخرى اى مشىءٍ وجودُه وما شاء اللّهُ وجودَه فهو موجود فى الجملة وعليه قوله تعالى انّ اللّه على كلّ شىء قدير اللّه خالق كلّ شىء فهما على عمومهما بلا مثنويّة والمعتزلة لمّا قالوا الشىء ما يصحّ ان يوجَد وهو يعمّ الواجب والمُمْكِن او ما يصحّ ان يُعْلَم ويُخْبَر عنه فيعمّ الممتنع ايضا لَزِمَهم التخصيصُ بالممكن فى الموضعين بدليل العقل ، والقُدْرَة هو التمكّن من ايجاد الشىء وقيل صفةٌ تقتضى التمكّنَ وقيل

٢٥ قدرة الانسان هيئة بها يتمكّن من الفعل وقدرة اللّه عبارة عن نفى العجز عنه والقادر هو الّذى ان شاء فعلَ وإن شاء لم يفعل والقدير الفعّال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قلّما يوصف به غيرُ البارئ تعالى واشتقاقُ القُدْرة من القَدْر لانّ القادر يُوقع الفعل على مقدار قوّته او على مقدار ما يقتضيه مشيئته وفيه دليل على انّ الحادث حالَ حدوثه والممكنَ حالَ بقائه مقدوران وانّ مقدور العبد مقدور للّه تعالى لانّه شىءٌ وكلّ شىء مقدور ، والظاهر انّ التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلّفة وهو ان تشبّه كيفيّة

جزء ١ منتزعةً من مجموع تضامّت اجزاؤه وتلاصقت حتّى صارت شيئاً واحداً باخرى مثلها كقوله تعالى مَثَل
ركوع ٢ الّذين حُمّلوا التورية ثمّ لم يَحْمِلوها الآية فانّه تشبيهُ حال اليهود فى جهلهم بما معهم من التورية
بحال الحمار فى جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرضُ منهما تمثيلُ حال المنافقين من الحيرة والشدّة
بما يكابد مَنْ طَفِئَتْ نارُهُ بعد ايقادها فى ظلمة او بحالِ من اخذته السماء فى ليلة مُظْلِمة مع رعد
قاصف وبرقٍ خاطف وخوف من الصواعق ويُمْكِن جعلهما من قبيل التمثيل المُفْرَد وهو ان تأخذ ٥
اشياء فُرادى فتشبّهها بأمثالها كقوله تعالى وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظلّ
ولا الحَرور وقولِ امرئِ القيس

كأنّ قلوب الطير رَطْبا ويابسا لدى وَكْرِها العُنّابُ والحَشَفُ البالى

بأنْ يشبّه فى الاوّل ذواتُ المنافقين بالمستوقدين واظهارُهم الايمانَ باستيقاد النار وما انتفعوا به من حَقْنِ
الدماء وسلامةِ الاموال والاولاد وغيرِ ذلك باضاءة النار ما حول المستوقدين وزوالُ ذلك عنهم على القرب ١٠
باهلاكهم او بافشاء حالهم وابقائهم فى الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم
وفى الثانى انفسُهم باصحاب الصيّب وايمانُهم المخالط للكفر والخداع بصيّبٍ فيه ظلمات ورعد وبرق من
حيث انّه وإن كان نافعا فى نفسه لكنّه لمّا وُجد فى هذه الصورة عاد نفعُه ضرّاً ونفاقُهم حذرا عن
نكايات المؤمنين وما يَطْرقون به مَنْ سواهم من الكفرة بجعل الاصابع فى الآذان من الصواعق حذرَ
الموتِ من حيث انّه لا يَرُدّ مِنْ قَدَر الله تعالى شيئا ولا يخلّص ممّا يريد بهم من المضارّ وتحيُّرهم لشدّة ١٥
الامر وجهلَهم بما يأتون ويَذَرون بانّهم كلّما صادفوا من البرق خَفْقةً انتهزوها فرصةً مع خوفِ ان
تختطف ابصارهم فخطَوْا خُطًى يسيرة ثمّ اذا خَفِىَ وفتر لمعانُه بقوا متقيّدين لا حَراكَ بهم وقيل شبّه
الايمانُ والقرانُ وسائرُ ما اوتى الانسان من المعارف الّتى هى سبب الحيوة الابديّة بالصيّب الّذى به حيوة
الارض وما ارتبكت بها من الشُبَه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشكّكة بالظلمات وما فيها من
الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة بالبرق وتصامُّهم عمّا يسمعون من الوعيد بحالِ مَنْ ٢٠
يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسدّ اذنيه عنها مع انّه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله والله محيط
بالكافرين واهتزازُهم لما يلمع لهم من رُشْدٍ يدركونه او رِفْدٍ تطمح اليه ابصارهم بمشيهم فى مطرح ضوء
البرق كلّما اضاء لهم وتحيّرُهم وتوقّفهم فى الامر حين تعرض لهم شبهة او تَعِنّ لهم مصيبة بتوقّفهم اذا اظلم
عليهم ، ونبّه سبحانه بقوله ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انّه تعالى جعل لهم السمع والابصار
ليتوسّلوا بها الى الهدى والفلاح ثمّ انّهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدّوها عن الفوائد الآجلة ولو ٢٥
شاء الله تعالى لجعلهم بالحالة الّتى يجعلونها لانفسهم فانّه على ما يشاء قدير يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا رَبَّكُمُ
لمّا عدّد فِرَق المكلّفين وذكر خواصّهم ومَصارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزّا
للسامع وتنشيطا له واهتماما بأمر العبادة وتفخيما لشأنها وجبرا لكلفة العبادة بلذّة المخاطبة ، ويا
حرفٌ وُضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد امّا لعظمته كقول الداعى يا ربّ
ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعوّ له وزيادة الحثّ عليه ٣٠

جوء ١ وهو مع المنادى جملة مفيدة لانّه نائب مناب فعل ، وأيّ جُعل وصلة الى نداء المعرَّف باللام فانّ ادخال
ركوع ٣ يا عليه متعذّر لتعذّر الجمع بين حرفي التعريف فانّهما كمثلين وأُعطِى حُكْمَ المنادى وأُجْرِى عليه
المقصودُ بالنداء وَصْفًا مُوضِحًا له والتزم رَفْعه اشعارا بانّه المقصود واقحمت بينهما هاء التنبيه تأكيدا
وتعويضا عمّا يستحقّه أيّ من المضاف اليه وانّما كثر النداء على هذه الطريقة في القران لاستقلاله بأوْجُه
٥ من التأكيد وكلُّ ما نادى اللّه له عِباده من حيث انّها امور عظام مِنْ حقّها ان يتيقّظوا لها ويُقبلوا
بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيقٌ بأن ينادى له بالآكد الابلغ ، والجموع واسماؤها المحلّاة
باللام للعموم حيث لا عَهْدَ ويدلّ عليه صحّةُ الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العمومَ كقوله تعالى
فسجد الملائكة كلّهم اجمعون واستدلالُ الصحابة بعمومها شائعا ذائعا فالناس يعمّ الموجودين وقت
النزول لفظا ومن سيوجد لِما تَواتر من دينه عم انّ مقتضَى خطابه وأحكامه شاملٌ للقبيلين ثابتٌ الى
١٠ قيام الساعة الّا ما خصّه الدليل وما روى عن علقمة والحسن انّ كلّ شىء نزل فيه يا ايّها الناس فمكّىّ
ويا ايّها الّذينَ آمنوا فمدنىٌّ إنْ صحّ رَفْعه فلا يوجب تخصيصَه بالكفّار ولا أَمْرَهم بالعبادة فانّ المأمور
به هو القدر المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوبُ من الكفّار هو الشروعُ فيها
بعد الاتيان بما يجب تقديمُه من المعرفة والإقرار بالصانع فانّ من لوازم وجوب الشىء وجوبَ ما لا يتمّ
الّا به وكما انّ الحَدَث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها
١٥ عقيبَه ومن المؤمنين ازديادُهم وثباتهم عليها وانّما قال ربّكم تنبيها على انّ الموجب للعبادة هى الربّيّة
ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح ان خُصّ الخطاب بالمشركين
واريد بالربّ اعمُّ من الربّ الحقيقىّ والآلهة الّتى يسمّونها اربابا ، والخَلْق ايجاد الشىء على تقدير واستواء
واصله التقدير يقال خَلَقَ النَّعْلَ اذا قدّرها وسوّاها بالمقياس وَٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ متناول كلّ ما يتقدّم
الانسان بالذات او الزمان منصوبٌ معطوفٌ على الضمير المنصوب فى خلقكم ، والجملة أُخرِجت مُخْرَجَ المقرّر
٢٠ عندهم إمّا لاعترافهم به كما قال اللّه تعالى ولئن سألتهم مَنْ خلقهم ليقولُنّ اللّه او لتمكّنهم من العلم
به بأدْنَى نظر ، وقرئ مَنْ قَبْلَكُمْ على اقحام الموصول الثانى بين الاوّل وصِلته تأكيدا كما اقحم جرير
فى قوله

يا تَيْمَ تَيْمَ عَدِيٍّ لا أبا لكُمُ

تيمَ الثانى بين الاوّل وما اضيف اليه لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ حال من الضمير فى اعبدوا كانّه قال اعبدوا ربّكم
٢٥ راجين ان تنخرطوا فى سِلْك المتّقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين جوارَ اللّه تعالى نبّه به على أنّ
التقوى منتهَى درجات السالكين وهو التبرّىّ عن كلّ شىء سوى اللّه الى اللّه وأنّ العابد ينبغى ان لا
يغترّ بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربّهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون
عذابه او مِنْ مفعولِ خَلَقَكم والمعطوفِ عليه على معنى انّه خلقكم ومَنْ قبلكم فى صورة مَنْ يُرْجَى منه
التقوى لترجُّح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعى اليه وغلّب المخاطَبين على الغائبين فى اللفظ والمعنى

جزء ١ على ارادتهم جميعا وقيل تعليلٌ للخلق اى خلقكم لكى تتّقوا كما ﷻ تعالى وما خلقت الجنّ
ركوع ٣ والانس الّا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت فى اللغة مثله ، والآية تدلّ على أنّ الطريق الى معرفة اللّه
تعالى والعلم بوحدانيّته واستحقاقه العبادةَ النظرُ فى صنعه والاستدلالُ بأفعاله وأنّ العبد لا يستحقّ
بعبادته عليه ثوابا فانّها لمّا وجبت عليه شكرا لما عدّده عليه من النعم السابقة فهو كأجير اخذ الأجر
قبل العمل (٢٠) ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَاشًا صفةٌ ثانية او مدحٌ منصوب او مرفوع او مبتدأٌ خبرُه فلا ٥
تجعلوا ، وجَعَلَ من الافعال العامّة يجيء على ثلاثة اوجُه بمعنى صار وطفق فلا يتعدّى كقوله

وقد جَعَلَتْ قلوصُ بنى سُهَيْلٍ من الأكْوار مَرْتَعُها قريبُ

وبمعنى اوجد فيتعدّى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صيّر فيتعدّى الى
مفعولين كقوله جعل لكم الارض فراشا والتصييرُ يكون بالفعل تارةً وبالقول او العقد اخرى ومعنى
جعلها فراشا أنْ جعل بعض جوانبها بارزا ظاهرا عن الماء مع ما فى طبعه من الاحاطة بها وصيّرها متوسّطة ١٠
بين الصلابة واللطافة حتّى صارت مهيّئة لان يقعدوا وينام‍وا عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعى
كونها مسطّحة لانّ كُرِيّة شكلها مع عظم حجْمها واتّساع جِرْمها لا تأبى الافتراش عليها وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً قُبّة
مضروبة عليكم ، والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدّد كالدنيا والدرهم وقيل جمع سماءة ،
والبناء مصدر سُمّى به المبنىّ بيتا كان او قُبّة او خِباء ومنه بنى على امرأته لانّهم كانوا اذا تزوّجوا ضربوا
عليها خباء جديدا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ عطف على جَعَلَ ، وخروج ١٥
الثمار بقدرة اللّه ومشيّته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا فى اخراجها ومادّةً لها كالنطفة للحيوان
بأن اجرى عادته بافاضة صُوَرها و كيفيّاتها على المادّة الممتزجة منهما او اودع فى الماء قوّةً فاعلةً وفى الارض
قوّةً قابلةً يتولّد من اجتماعهما انواعُ الثمار وهو قادر على ان يُوجِد الاشياء كلّها بلا اسباب وموادّ كما
ابدع نفوس الاسباب والموادّ ولكن له فى انشائها مُدَرِّجًا من حال الى حال صنائعُ وحِكَمٌ يجدّد فيها
لأُولى البصائر عِبَرًا وسُكونا الى عظيم قدرته ليست فى ايجادها دفعةً ، ومِن الاولى للابتداء سواء اريد ٢٠
بالسماء السحابُ فانّ ما علاك سماءٌ او الفَلَكُ فانّ المطر يبتدئ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض
على ما دلّت عليه الظواهرُ او من اسباب سماويّة تُثير الاجزاء الرطبة من أعماق الارض الى جوّ الهواء
فتنعقد سحابا ماطرا ، ومِن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات واكتناف المنكّرين
له اعنى ماء ورزقا كانّه قال وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم
وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كلّه ولا اخرج بالمطر كلّ الثمار ولا جعل كلّ المرزوق ثمارا او ٢٥
للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا ، وانّما ساغ الثمرات والموضعُ موضعُ
الكثرة لانّه اراد بالثمرات جماعة الثمرة الّتى فى قولك أَدْرَكَتْ ثمرةُ بستانه ويؤيّده قراءةُ من قرأ من الثمرة
على التوحيد او لانّ الجموع يتعاور بعضُها موقعَ بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنّات وعيون وقوله
تعالى ثلثة قُرُوء او لانّ الثمرات لمّا كانت محلّاة باللام خرجت عن حدّ القلّة ، ولَكُمْ صفة رزقا إن

اريد به المرزوق ومفعولًا ان اريد به المصدر كانّه قيل رزقا ايّاكم فَلَا تَجْعَلُوا لِلّٰهِ أَنْدَادًا متعلّق جزء ١
باعبدوا على انّه نهيٌ معطوفٌ عليه او نفيٌ منصوبٌ باضمارِ أنْ جوابٌ له او بلعلّ على انّ نصب ركوع ٣
تجعلوا نصبُ فاطّلعَ فى قوله تعالى لعلّى ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطّلعَ الحاقا لها بالاشياء الستّة
لاشتراكها فى انّها غير مُوجِبة والمعنى ان تتّقوا لا تجعلوا له اندادا او بالّذى جعل ان استانفت به
٥ على انّه نهيٌ وقع خبرا على تأويلِ مقولٌ فيه لا تجعلوا والفاء للسببيّة أُدخلت عليه لتضمُّن المبتدا معنى
الشرط والمعنى مَن حقكم بهذه النعم الجِسام والآيات العِظام ينبغى ان لا يُشْرَك به ، والنِدّ المِثل المُناوِى
قال جرير

أَتَيْمًا تجعلون الىّ نِدًّا وما تيمٌ لِذِى حَسَبٍ نَدِيدُ

من نَدّ يَنِدّ نُدودا اذا نفر ونادَدْتُ الرجلَ خالفته خصّ بالمخالف المماثل فى الذات كما خصّ المساوى
١٠ بالمماثل فى القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون اللّه اندادا وما زعموا انّها تُساويه فى ذاته
وصفاته ولا انّها تُخالفه فى أفعاله لانّهم لمّا تركوا عبادته الى عبادتها وسمّوها آلهة شابهت حالُهم حال
من يعتقد انّها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم بأس اللّه وتمنحهم ما لم يُرِد اللّه بهم
من خير فتهكّم بهم وشنّع عليهم بأن جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون له نِدٌّ ولهذا قال موحّد
الجاهليّة زيد بن عمرو بن نفيل

١٥ أَرَبًّا واحدا ام أَلْفَ ربٍّ أَدِينُ اذا تقسّمتِ الأُمورُ
تركتُ ٱللّاتَ والعُزّى جميعا كذلك يَفْعَلُ الرجلُ البصيرُ

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ حال من ضميرِ فلا تجعلوا ، ومفعولُ تعلمون مطروح اى وحالُكم انّكم من اهل العلم
والنظرِ واصابةِ الرأى فلو تأمّلتم ادنى تأمّلٍ اضطرّ عقلُكم الى اثبات موجِد للممكنات منفرِد بوجوب الذات
متعالٍ عن مشابهة المخلوقات او منوىٌّ وهو انّها لا تُماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله تعالى
٢٠ هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريبُ لا تقييدُ
الحكم وقَصْرُه عليه فانّ العالم والجاهل المتمكّن من العلم سواء فى التكليف ، واعلمْ انّ مضمون الآيتين
هو الامرُ بعبادة اللّه تعالى والنهىُ عن الاشراك به والاشارةُ الى ما هو العلّة والمقتضى وبيانه انّه رتّب الامر
بالعبادة على صفة الربوبيّة اشعارا بانّها العلّة لوجوبها ثمّ بيّن ربوبيّته بانّه خالقُهم وخالق اصولهم وما
يحتاجون اليه فى معاشهم من المُقِلّة والمُظِلّة والمَطاعم والمَلابس فانّ الثمرةَ اعمّ من المطعوم والرزقَ
٢٥ اعمّ من المأكول والمشروب ثمّ لمّا كانت هذه امورا لا يقدر عليها غيرُه شاهدةً على وحدانيّته رتّب
عليها النهىَ عن الاشراك به ولعلّه سبحانه اراد من الآية الاخيرةِ مع ما دلّ عليه الظاهرُ وسيق فيه
الكلامُ الاشارةَ الى تفصيل خَلْق الانسان وما افاض عليه من المعانى والصفات على طريقة التمثيل فمثّل
البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل العمليّة والنظريّة المحصّلة بواسطة
استعمال العقل للحواسّ وازدواجِ القُوَى النفسانيّة والبدنيّة بالثمرات المتولّدة من ازدواج القوى السماويّة الفاعلة

جزء ١ والارضيّة المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فانّ لكلّ آية ظَهرًا وبَطنًا ولكلّ حدّ مُطَّلعًا (٢١) وَإِنْ كُنْتُمْ فِى
ركوع ٣ رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ لمّا قرّر وحدانيّته تعالى وبيّن الطريق المُوصِل الى العلم بها ذكر
عقيبه ما هو الحاجّة على نبوّة محمّد صلعم وهو القرانُ المعجِزُ بفصاحته الّتى بذّت فصاحة كلّ منطيقٍ
والحامه مَنْ تُولِب بمعارضته مِنْ مَصاقع الخُطَباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم فى المضادّة والمضارّة
وتهالكهم على المعازّة والمعارّة وعرّف ما يُتعرّف به اعجازه ويُتيقّن انّه من عند اللّه كما يدّعيه ، وانّما قال
ممّا نزّلنا لانّ نزوله نَجْمًا فنجمًا بحسب الوقائع على ما ترى عليه اهلَ الشِعْر والخطابة ممّا يَريبهم كما
حكى اللّه عنهم فقال وقال الّذين كفروا لولا نُزّل عليه القران جملةً واحدةً فكان الواجب تحدّيهم
على هذا الوجه ازاحةً للشبهة والزاما للحجّة ، واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انّه
مختصّ به منقادٌ لحُكْمه وقرئ عِبَادِنَا يريد محمّدا وامّته ، والسُورَة الطائفة من القران المُتَرْجَمة الّتى
اقلّها ثلاثُ آيات وهى إن جُعلتْ واوُها اصليّةً منقولةٌ من سُور المدينة لانّها محيطةٌ بطائفة من القران ١٠
مُفْرَزةٍ مَحُوزةٍ عَلَى حِيَالِها او محتويةٌ على انواع من العلم احتواءَ سورِ المدينة على ما فيها او من السُورة
الّتى هى الرتبة قال النابغة

ولِرَهْطِ حَرّابٍ وقدٍّ سُورةٌ ... فى المجد ليس غرابُها بمُطارِ

لانّ السُوَر كالمنازل والمراتب يترقّى فيها القارئ او لها مراتب فى الطول والقصر والفضل والشرف وثواب
القراءة وان جُعلتْ مبدلةً من الهمزة فمن السُؤْرة الّتى هى البقيّة والقطعة من الشىء والحكمةُ فى ١٥
تقطيع القران سُوَرا افرادُ الانواع وتلاحقُ الأشكال وتجاوبُ النظم وتنشيطُ القارئ وتسهيلُ الحفظ
والترغيبُ فيه فانّه اذا ختم سورةً نَفّس ذلك منه كالمسافر اذا علم انّه قطع ميلا او طوى بَرِيدًا والحافظ
متى حَذَقَها اعتقد انّه اخذ من القران حظًّا تامًّا وفاز بطائفة محدودة مستقلّة بنفسها فعَظُمَ ذلك عنده
وابتهج به الى غيرها من الفوائد مِنْ مِثْلِهِ صفةُ سورة اى بسورة كائنة من مثله والضميرُ لما نزّلنا ومِنْ
للتبعيض او التبيين وزائدةٌ عند الاخفش اى بسورة مماثلة للقران فى البلاغة وحُسْن النظم او لعبدنا ٢٠
ومِنْ للابتداء اى بسورة كائنة ممّن هو على حاله من كونه بشرا أُمّيًّا لم يقرأ الكتب ولم يتعلّم العلوم او
صلةُ فأتوا والضميرُ للعبد والردّ الى المنزّل أَوْجَهُ لانّه المطابِق لقوله تعالى فأتوا بسورةٍ مثله ولسائر آيات
التحدّى ولانّ الكلام فيه لا فى المنزّل عليه فحقّه ان لا ينفكّ عنه ليتّسق الترتيبُ والنظمُ ولانّ مخاطبة
الجمّ الغفير بأن يأتوا بمثل ما اتى به واحدٌ من أبناء جِلْدتهم ابلغُ فى التحدّى مِنْ ان يقال لهم ليأتِ
بنحوِ ما اتى به هذا آخَرُ مثلُه ولانّه مُعْجِز فى نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس ٢٥
والجنّ على ان يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون بمثله ولانّ ردّه الى عبدنا يُوهِم إمكانَ صدوره ممّن لم
يكن على صفته ولا يلائمه قوله وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ فانّه امرٌ بأن يستعينوا بكلّ من ينصرهم
ويُعينهم ، والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضرِ او القائم بالشهادة او الناصرِ او الامامِ وكانّه سمّى به
لانّه يحضر النوادى ويُبْرَم بمحضره الامورُ اذ التركيب للحضور امّا بالذات او بالتصوّر ومنه قيل

للمقتول فى سبيل اللّه شهيد لانّه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ، ومعنى دُون أَدْنَى مكانٍ من جزء ١
الشىء ومنه تدوين الكُتُب لانّه ادناء البعض من البعض ودُونَكَ هذا اى خُذْه من ادنى مكان منك ركوع ٣
ثمّ استُعير للرُتَب فقيل زيد دونَ عمرو اى فى الشرف ومنه الشىء الدونُ ثمّ اتُّسع فيه فاستعمل فى
كلّ تجاوُز حدّ الى حدّ وتخطّى امر الى آخر قال تعالى لا يتّخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون
٥ المؤمنين اى لا يتجاوزوا وَلايةَ المؤمنين الى وَلاية الكافرين قال أُمَيّة

يا نَفْسُ ما لكِ دون اللّه مِنْ واقِ

اى اذا تجاوزتِ وِقاية اللّه فلا يَقيكِ غيرُه ومِنْ متعلّقة بادعوا والمعنى وادعوا للمعارضة مَن حضركم
او رجوتم معونته من انسكم وجنّكم وآلهتكم غيرَ اللّه تعالى فانّه لا يقدر على ان يأتى بمثله الّا اللّه تعالى
او وادعوا من دون اللّه شهداء يشهدون لكم بانّ ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا باللّه فانّه من دَيْدَن
١٠ المبهوت العاجز عن اقامة الحجّة او بشهدائكم اى الّذين اتّخذتموهم من دون اللّه اولياء وآلهة
وزعمتم انّها تشهد لكم يوم القيامة او الّذين يشهدون لكم بين يدى اللّه تعالى على زعمكم من قول
الاعشى

تُريك القَذَى مِنْ دونها وَهْىَ دونَه

ليُعينوكم وفى أمرهم ان يستظهروا بالجماد فى معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون
١٥ اللّه اى من دون اوليائه يعنى فصحاء العرب ووجوهَ المَشاهِد ليشهدوا لكم انّ ما اتيتم به مثله فانّ
العاقل لا يَرْضَى لنفسه ان يشهد بصحّة ما اتّضح فساده وبانَ اختلاله اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ انّه من كلام
البشر وجوابه محذوف دلّ عليه ما قبلَه ، والصِدْق الاخبار المُطابِق وقيل مع اعتقاد المُخبِر انّه كذلك
عن دلالة او أمارة لانّه تعالى كذّب المنافقين فى قولهم انّك لَرسول اللّه لمّا لم يعتقدوا مطابقته ورُدّ
بصرف التكذيب الى قولهم نَشْهَدُ لانّ الشهادة اِخبار عمّا علمه وهم ما كانوا عالمين به (٢٢) فانْ لَمْ

---

٢٠ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَٱتَّقُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ لمّا بيّن لهم ما يتعرّفون به امرَ الرسول صلعم
وما جاء به وميّز لهم الحقّ عن الباطل رتّب عليه ما هو كالفذلكة له وهو انّكم اذا اجتهدتم فى
معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انّه معجز والتصديق به واجب فآمنوا
به واتّقوا العذاب المُعَدّ لمن كذّب فعبّر عن الاتيان المكيِّف بالفعل الّذى يعمّ الاتيان وغيره ايجازا
ونزّل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكنّى عنه وتهويلا لشأن العناد وتصريحا بالوعيد مع
٢٥ الايجاز وصدّر الشرطيّة بانْ الّذى للشكّ والحال يقتضى اِذا الّذى للوجوب فانّ القائل سبحانه وتعالى
لم يكن شاكّا فى عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكّما بهم وخطابا معهم
على حسب ظنّهم فانّ العجز قبل التأمّل لم يكن محقّقا عندهم ، وتفعلوا جزم بلَمْ لانّها واجبة الاعمال
مختصّة بالمضارع متّصلة بالمعمول ولانّها لمّا صيّرتْه ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على
المجموع فكانّه قال فانْ تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ، ولَنْ كلا فى نفى المستقبل غير انّه ابلغ

جزء ١ وهو حرفٌ مُقْتضَبٌ عند سيبويه والخليل في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى اصله لا أَنْ وعند
ركوع ٣ الفرّاء لا أُبْدلت الفها نونا ، والوقود بالفتح ما يوقد به النارُ وبالضمّ مصدر وقد جاء المصدر بالفتح
قال سيبويه سمعنا من يقول وَقَدَتِ النارُ وَقودا عاليا والاسم بالضمّ ولعلّه مصدر سُمّى به كما قيل فلان
فَخْرُ قومه وزَيْنُ بلده وقد قرئ به والظاهرُ انّ المراد به الاسم وان اريد المصدر فعلى حذف مضاف اى
وُقودُها احتراق الناس والحجارة ، وهى جمع حجر كجِمالة جمع جمل وهو قليل غير مُنْقاس والمراد بها ٥
الاصنام الّتى نحتوها وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا فى شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضارّ بمكانتهم
ويدلّ عليه قوله تعالى انّكم وما تعبدون من دون اللّه حَصَبُ جهنّم عُذّبوا بما هو مَنْشأُ جُرْمهم كما
عذّب الكانزون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا يتوقّعون زيادةً فى تحسّرهم وقيل الذهب والفضّة الّتى
كانوا يكنزونها ويغترّون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفّار
وجهٌ وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيصٌ بغير دليل وابطالٌ للمقصود اذ الغرض تهويل شأنها وتفاقُم ١٠
لهبها بحيث تتّقد بما لا يتّقد به غيرُها والكبريتُ يتّقد به كلّ نار وان ضعفت فان صحّ هذا عن
ابن عبّاس فلعلّه عنى به انّ الاحجار كلّها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ، ولمّا كانت الآية
مدنيّة نزلت بعد ما نزل بمكّة قوله تعالى فى سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صحّ
تعريفُ النار ووقوعُ الجملة صلةً بازائها فانّها يجب ان تكون قصّة معلومة أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ هُيّئت لهم
وجُعلت عُدّة لعذابهم وقرئ أُعْتِدَتْ من العَتاد بمعنى العُدّة ، والجملة استيناف او حال باضمار قد ١٥
من النار لا الضمير الّذى فى وقودها وان جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر ، وفى الآيتين ما يدلّ على
النبوّة من وُجوه الاوّل ما فيهما من التحدّى والتحريض على الجدّ وبَذْل الوُسْع فى المعارضة بالتقريع
والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصرَ سورة من سُور القران ثمّ انّهم مع كثرتهم
واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادّة لم يتصدّوا لمعارضته والتجأوا الى جلاء الوطن وبذل المُهَج
والثانى انّهما يتضمّنان الاخبار عن الغيب على ما هو به فانّهم لو عارضوه بشىء لامتنع خفاؤُه عادةً سيّما ٢٠
والطاعنون فيه اكثر من الذابّين عنه فى كلّ عصر والثالث انّه عم لو شكّ فى امره لمّا دعاهم الى
المعارضة بهذه المبالغة مخافةَ ان يعارَض فتُدْحَض حجّته ، وقوله تعالى اعدّت للكافرين دلّ على انّ النار
مخلوقةٌ مُعَدّةٌ لهم الآن (٢٣) وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ عطفٌ على الجملة السابقة
والمقصودُ عطفُ حالِ مَنْ آمن بالقران ووَصْفِ ثوابه على حالِ مَنْ كفر به وكيفيّة عقابه على ما جرت به
العادة الالهيّة من ان يُشْفَع الترغيبُ بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما يُنْجى وتثبيطا عن اقتراف ما ٢٥
يُرْدى لا عطفُ الفعل نفسه حتّى يجب ان يطلَب له ما يشاكله من امر او نهى فيُعْطَف عليه او على
فاتّقوا لانّهم اذا لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدّى ظهرَ اعجازه واذا ظهر ذلك فمَنْ كفر به استوجب
العقاب ومَنْ آمن به استحقّ الثواب وذلك يستدعى ان يخوّف هؤلاء ويبشّر هؤلاء وانّما أُمر الرسولُ عم
او عالمُ كلّ عصر او كلّ احد يقدر على البشارة بأن يبشّرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة
تفخيما لشأنهم وايذانا بانّهم احقّاء بأن يبشّروا ويهنّأوا بما أُعدّ لهم وقرئ وَبُشِّرَ على البناء للمفعول ٣٠

عطفا على اعدّت فيكون استينافا والبشارة الخبر السارّ فانّه يظهر اثر السرور فى البشرة ولذلك قال جزء ١
الفقهاء البشارة هو الخبر الاوّل حتّى لو قال الرجل لعبيده من بشرنى بقدوم ولدى فهو حُرّ فأخبروه فرادى ركوع ٣
عتق اوّلهم ولو قال من اخبرنى عتقوا جميعا وامّا قوله تعالى فبشّرهم بعذاب اليم فعلى التهكّم او على
طريقة قوله

٥ تحيّةُ بينهم ضربٌ وجيعُ ،

والصالحات جمع صالحة وهى من الصفات الغالبة الّتى تجرى مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة

كيف الهجاء وما تنفكّ صالحةٌ من آل لأمٍ بظهر الغيب تأتينى

وهى من الأعمال ما سوّغه الشرع وحسّنه وتأنيثها على تأويل الخصلة او الخلّة واللام فيها للجنس ،
وعطفَ العمل على الايمان مرتّبا للحكم عليهما إشعارا بانّ السبب فى استحقاق هذه البشارة مجموعُ
١٠ الامرين والجمعُ بين الوصفين فانّ الايمان الّذى هو عبارة عن التحقيق والتصديق أسٌّ والعمل الصالح
كالبناء عليه ولا غَناء بأسّ لا بناء عليه ولذلك قلّما ذُكرا منفردَين وفيه دليل على انّها خارجة عن
مسمّى الايمان اذ الاصل أنّ الشىء لا يُعطف على نفسه وما هو داخل فيه ، أنّ لَهُمْ منصوبٌ بنزع
الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرورٌ باضماره مثل اللّهِ لأفعلنّ ، والجنّة المرّة من الجنّ وهو مصدرُ جَنَّهُ اذا
ستره ومَدارُ التركيب على الستر سمّى بها الشجر المظلّل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانّه يستر ما تحته
١٥ سترةً واحدةً قال زهير

كأنّ عينىّ فى غَرْبَىْ مقتّلةٍ من النواضح تَسْقِى جَنّةً سُحُقا

اى نخلا طِوالا ثمّ البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظلّلة ثمّ دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل
سمّيت بذلك لانّه سُتر فى الدنيا ما أُعدّ فيها للبشر من أفنان النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفسٌ ما
أُخفِىَ لهم الآية وجمعها وتنكيرها لانّ الجنان على ما ذكره ابن عبّاس رضى اللّه عنهما سبعٌ جنّةُ
٢٠ الفردوس وجنّة عَدْن وجنّة النعيم ودار الخُلد وجنّة المأوى ودار السلام وعلّيّون وفى كلّ
واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعُمّال ، واللام تدلّ على استحقاقهم
ايّاها لاجل ما ترتّب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانّه لا يكافىء النعم السابقة فضلا عن ان
يقتضى ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط أنْ
يستمرّ عليه حتّى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى من يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت
٢٥ اعمالهم وقوله تعالى لنبيّه عم لئن اشركتَ لَيَحْبطنّ عملك واشباه ذلك ولعلّه سبحانه لم يقيّد ههنا

استغناء بها تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ اى من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة
على شواطئها وعن مسروق أنهارُ الجنّة تجرى فى غير أُخدود ، واللام فى الانهار للجنس كما فى قولك
لفلانٍ بستانٌ فيه الماء الجارى او للعهد والمعهودُ هى الانهار المذكورة فى قوله تعالى فيها انهار من ماء
غيرِ آسن الآية ، والنَّهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات

جزء ١ والتركيبُ للسعة والمرادُ بها ماؤها على الاضمار او المجاز او المجارى انفسُها واسناد الجرى اليها مجازٌ كما
ركوع ٣ فى قوله تعالى واخرجت الارضُ أثقالها الآية كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا صفةٌ ثانية
للجنّات او خبرُ مبتدأ محذوف او جملةٌ مستأنفة كانّه لمّا قيل انّ لهم جنّات وقع فى خَلَد السّامع
أثمارُها مثلُ ثمار الدنيا او أجناسٌ أُخَرُ فأُزيح بذلك ، وكُلَّمَا نصب على الظرف ، ورِزْقًا مفعول به ، ومِن
٥ الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال واصلُ الكلام ومعناه كلَّ حينٍ رُزقوا مرزوقا مبتدئا من
الجنّات مبتدئا من ثمرة قيّد الرزق بكونه مبتدئا من الجنّات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحبُ
الحال الاولى رزقا وصاحبُ الحال الثانية ضميره المستكنّ فى الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدّم
كما فى قولك رأيت منك اسدا ، وهٰذا اشارة الى نوعِ ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهرٍ جارٍ هذا الماء لا
ينقطع فانّك لا تعنى به العين المشاهَدة منه بل النوعَ المعلوم المستمرّ بتعاقب جريانه وإن كانت الاشارةُ
١٠ الى عينه فالمعنى هذا مِثْلُ الّذى ولكن لمّا استحكم الشبه بينهما جُعل ذاتُه ذاتَه كقولك ابو يوسف
ابو حنيفةَ مِنْ قَبْلُ اى من قبل هذا فى الدنيا جعل ثمر الجنّة من جنس ثمر الدنيا لتميلَ النفسُ اليه
اوّلَ ما تُرى فانّ الطباع مائلة الى المألوف متنفّرة عن غيره وتتبيّنَ لها مَزِيّته وكنهُ النعمة فيه اذ لو كان
جنسا لم يُعْهَد ظُنّ انّه لا يكون الّا كذلك او فى الجنّة لانّ طعامها متشابهُ الصورة كما حكى ابن
كثير عن الحسن انّ احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثمّ يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك
١٥ فيقول الملك كُلْ فاللون واحد والطعم مختلف او كما روى انّه عم قال والّذى نَفْسُ محمّد بيده إنّ
الرجل من اهل الجنّة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هى بواصلة الى فيه حتّى يبدل اللّه مكانها مثلها
فلعلّهم اذا رأوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاوّل اظهرُ لمحافظته على عمومِ كلّما فانّه يدلّ على ترديدهم
هذا القولَ كلَّ مرّةٍ رزقوا والداعى لهم الى ذلك فرطُ استغرابهم وتبجّحهم بما وجدوا من التفاوت
العظيم فى اللذّة والتشابهِ البليغ فى الصورة وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا اعتراض يقرّر ذلك والضميرُ على الاوّل
٢٠ راجع الى ما رُزقوا فى الدارَيْن فانّه مدلول عليه بقوله هٰذا ٱلَّذى رزقنا من قبل ونظيرُه قوله تعالى ان
يكن غنيّا او فقيرا فاللّه اولى بهما اى بجنسَيِ الغنىّ والفقير وعلى الثانى الى الرزق فان قيل التشابهُ
هو التماثل فى الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عبّاس ليس فى الجنّة من اطعمة
الدنيا الّا الاسماء قلتُ التشابهُ حاصل بينهما فى الصورة الّتى هى مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو
كاف فى اطلاق التشابه هذا وإنّ للآية محملا آخرَ وهو أنّ مستلذّات اهل الجنّة فى مقابلة ما رُزقوا فى
٢٥ الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتةٌ فى اللذّة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد مِنْ هذا الّذى
رزقنا انّه ثوابه ومِنْ تشابههما تماثُلَهما فى الشرفِ والمزيّة وعلوِّ الطبقة فيكون هذا فى الوعد نظيرَ قوله
ذوقوا ما كنتم تعملون فى الوعيد وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ممّا يُستقذر من النساء ويُذمّ من احوالهنّ
كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فانّ التطهير يستعمل فى الاجسام والاخلاق والافعال ،
وقرئ مُطَهَّرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلتْ وفعلْنَ وهُنّ فاعلة وفواعل قال

واذا العذارى بالدخان تقنعت . واستعجلت نصب القدور فملّت جزء ۱

فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة ومُطَّهَرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومُطَهَّرة ركوع ۳
ابلغ من طاهرة ومطهّرة للاشعار بانّ مطهرا طهّرهنّ وليس هو الّا اللّه تعالى ، والزوج يقال للذكر والانثى
وهو فى الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخفّ ، فان قيل فائدة المطعوم هو التغذّى ودفع ضرر الجوع
۵ وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهى مستغنى عنها فى الجنّة قلت مطاعم الجنّة ومنا كحها وسائر
احوالها انّما تشارك نظائرها الدنيويّة فى بعض الصفات والاعتبارات وتسمّى باسمائها على سبيل الاستعارة
والتمثيل ولا تشاركها فى تمام حقيقتها حتّى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
دائمون والخُلْد والخلود فى الاصل الثبات المديد دام ام لم يدم ولذلك قيل للاثافى والاحجار خوالد
وللجزء الّذى يبقى من الانسان على حاله ما دام حيّا خَلَد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد
۱۰ بالتأبيد فى قوله خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلّد يوجب اشتراكا
او مجازا والاصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعمّ منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على
الانسان مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به ههنا الدوام عند الجمهور لما
يشهد له من الآيات والسنن فان قيل الابدان مركّبة من اجزاء متضادّة الكيفيّة معرّضة للاستحالات
المؤدّية الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها فى الجنان قلت انّه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها
۱۵ الاستحالة بأن يجعل اجزاءها مثلا متقاومة فى الكيفيّة متساوية فى القوّة لا يقوى شىء منها على احالة
الآخر متعانقة متلازمة لا ينفكّ بعضها عن بعض كما يشاهد فى بعض المعادن هذا وانّ قياس ذلك
العالم واحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انّه لمّا كان معظم
اللذّات الحسّيّة مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دلّ عليه الاستقراء كان ملاك ذلك كلّه
الثبات والدوام فانّ كلّ نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغّصة غير صافية من شوائب الالم
۲۰ بشّر المؤمنين بها ومثّل ما اعدّ لهم فى الآخرة بأبهى ما يستلذّ به منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد
الخلود ليدلّ على كمالهم فى التنعّم والسرور (۲۴) إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً لمّا
كانت الآيات السابقة متضمّنة لانواع من التمثيل عقّب ذلك ببيان حسنه وما هو الحقّ له والشرط فيه
وهو أن يكون على وفق الممثّل له من الجهة الّتى تعلّق بها التمثيل فى العظم والصغر والخسّة والشرف
دون الممثّل فانّ التمثيل انّما يصار اليه لكشف المعنى الممثّل له ورفع الحجاب عنه وابرازه فى صورة
۲۵ المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فانّ المعنى الصرف انّما يدركه العقل مع
منازعة من الوهم لانّ من طبعه الميل الى الحسّ وحبّ المحاكاة ولذلك شاعت الامثال فى الكتب
الالهيّة وفشت فى عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثّل الحقير بالحقير كما يمثّل العظيم بالعظيم وان
كان الممثّل اعظم من كلّ عظيم كما مثّل فى الانجيل غلّ الصدور بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة
ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير وجاء فى كلام العرب أسمع من قراد وأطيش من فراشة وأعزّ من مخّ
۳۰ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفّار لمّا مثّل اللّه حال المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيّب

جزء ١ ركوع ٣

وعبادةَ الاصنام فى الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجَعْلَها اقلّ من الذباب واخسّ قدرا منه اللّهُ اعلى واجلّ من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا لمّا ارشدهم الى ما يدلّ على انّ المتحدّى به وحىٌ منزلٌ ورتّب عليه وعيدَ من كفر ووَعْدَ من آمن بعد ظهور امره شرَعَ فى جوابِ ما طعنوا به فيه فقال انّ اللّه لا يستحيى اى لا يترك ضرب المثل بالبعوضة تَرْكَ من يستحيى ان يمثّل بها لحقارتها ، والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافةَ الذمّ وهو الوسط بين الوقاحة الّتى هى الجرأة على القبائح وعدمُ المبالاة بها والخجلِ الّذى هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحيوة فانّه انكسار يعترى القوّة الحيوانيّة فيردّها عن افعالها فقيل حَيِىَ الرجلُ كما قيل نَسِىَ وحَشِىَ اذا اعتلّت نَساه وحَشاه واذا وُصف به البارئُ تعالى كما جاء فى الحديث انّ اللّه يستحيى من ذى الشَّيْبة المُسْلِم ان يعذّبه انّ اللّه حيىٌّ كريم يستحيى اذا رفع العبد يديه ان يردّهما صِفْرا حتّى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما انّ المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمَيْن لمعنيَيْهما ونظيرُه قولُ من يصف ابلا

اذاما ٱسْتَحَيْنَ الماءَ يَعْرِضُ نفسَه كَرَعْنَ بِسِبْتٍ فى اناء من الوَرْدِ

وانّما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل الآيةُ خاصّةً ان يكون مجيئُه على المقابلة لما وقع فى كلام الكفرة ، وضَرْبُ المثل اعتماله من ضَرْب الخاتم واصله وَقْع شىء على آخر ، وأنْ بصلتها مخفوضُ المحلّ عند الخليل باضمارِ مِنْ منصوبٌ بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه ، ومَا ابهاميّةٌ تزيد النكرةَ ابهاما وشِياعا وتسدّ عنها طُرُقَ التقييد كقولك أَعْطِنى كتابًا مّا اى أىَّ كتاب كان او مزيدةٌ للتأكيد كالّتى فى قوله تعالى فبما رحمة ولا نعنى بالمزيد اللغوَ الضائع فانّ القران كلّه هُدًى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانّما وُضعت لأن تُذْكَر مع غيرها فتُفيد له وثاقةً وقوّةً وهو زيادة فى الهدى غير قادح فيه ، وبَعُوضَةً عطف بيان لمثلا او مفعولٌ ليضرب ومثلا حالٌ تقدّمت عليه لانّه نكرة او هما مفعولاه لتضمّنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انّه خبر مبتدأ محذوف وعلى هذا يحتمل مَا وجوها أُخَرَ أَنْ تكون موصولةً حُذف صدرُ صلتها كما حذف فى قوله تعالى تماما على الّذى أَحْسَنُ وموصوفةً بصفة كذلك ومحلُّها النصب بالبدليّة على الوجهين واستفهاميّةً هى المبتدأ كانّه لمّا ردّ استبعادَهم ضَرْبَ اللّه الامثالَ قال بعده ما البعوضةُ فما فوقها حتّى لا يضرب به المثلَ بل له ان يمثّل بما هو احقر من ذلك ونظيرُه فلان لا يبالى ما يهب ما دينارٌ ودينارانِ والبَعُوض فَعُول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غُلّب على هذا النوع كالخَمُوش فَمَا فَوْقَهَا عطف على بعوضة او ما إنْ جُعل اسما ومعناه ما زاد عليها فى الجُثّة كالذباب والعنكبوت كانّه قصد به ردّ ما استنكروه والمعنى انّه لا يستحيى ضَرْبَ المثل بالبعوض فضلا عمّا هو اكبر منه او فى المعنى الّذى جُعلتْ فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانّه عم ضربه مثلا للدنيا ونظيرُه فى الاحتمالين ما روى انّ رجلا بمِنًى خرّ على طُنُبِ فُسْطاط فقالت عائشة رضها سمعت رسول اللّه صلعم قال ما مِنْ مُسْلم يُشاك شوكةً فما فوقها الّا كُتِبت له بها درجةٌ ومُحيت عنه بها خطيئةٌ فانّه يحتمل ما تجاوز الشوكة فى الالم كالخُرور وما زاد عليها فى القلّة

كنخبة النملة لقوله عم ما اصاب المؤمنَ من مكروه فهو كفّارة لخطاياه حتّى نخبة النملة فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ أَمّا حرفٌ يفصّل ما أُجْمِل ويؤكّد ما به صُدّر ويتضمّن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه أَمّا زيدٌ فذاهبٌ معناه مهما يكن من شىء فزيد ذاهب اى هو ذاهب لا محالة وانّه منه عزيمةٌ وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانّها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرفَ الشرط فادخلوها على الخبر وعوّضوا المبتدأ عن الشرط لفظا وفى تصدير الجملتين به احمادٌ لامر المؤمنين واعتدادٌ بعلمهم وذمٌّ بليغ للكافرين على قولهم ، والضمير فى أنّه للمثل او لأن يضرب ، والحقّ الثابت الّذى لا يسوغ انكاره يعمّ الاعيانَ الثابتة والافعالَ الصائبة والاقوالَ الصادقة من قولهم حقّ الامرُ اذا ثبت ومنه ثوبٌ محقّقٌ محكَمُ النسج وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ كان من حقّه وامّا الّذين كفروا فلا يعلمون ليطابقَ قرينَه ويقابلَ قسيمَه لكن لمّا كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل

١٠ الكناية ليكون كالبرهان عليه مَاذَا أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يحتمل وجهين أن يكون ما استفهاميّة وذا بمعنى الّذى وما بعده صلته والمجموعُ خبرما وأن يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اىّ شىء منصوب المحلّ على المفعوليّة مثل ما اراد اللّه والاحسنُ فى جوابه الرفعُ على الاوّل والنصبُ على الثانى ليطابق الجوابُ السؤالَ ، والإرادة نزوعُ النفس وميلُها الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوّة الّتى هى مبدأ النزوع والاوّل مع الفعل والثانى قبله وكلا المعنيين غيرُ متصوَّر اتّصافُ البارئ تعالى به ولذلك اختلف فى معنى

١٥ ارادته فقيل ارادته لأفعاله انّه غير ساهٍ ولا مُكْرَه ولأفعالِ غيره امرُه بها فعلى هذا لم يكن المعاصى بارادته وقيل علْمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانّه يدعو القادرَ الى تحصيله والحقُّ انّه ترجيحُ احدِ مقدورَيْه على الآخر وتخصيصُه بوجه دون وجه او معنًى يُوجب هذا الترجيحَ وهى اعمّ من الاختيار فانّه ميل مع تفضيل ، وفى هٰذا استحقارٌ واسترذالٌ ، ومَثَلًا نصب على التمييز او الحال كقوله تعالى هذه ناقةُ اللّه لكم آيةً يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِ كَثِيرًا جوابُ ما ذا اى اضلال كثير واهداء كثير

٢٠ وضع الفعل موضعَ المصدر للاشعار بالحدوث والتجدّد او بيانٌ للجملتين المصدّرتين بأمّا وتسجيلٌ بانّ العلم بكونه حقّا هدًى وبيانٌ وانّ الجهلَ بوجه ايراده والانكارَ لحسن مَوْرده ضلالٌ وفسوقٌ وكثرةُ كلّ واحد من القبيلين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فانّ المهديّين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال كما قال تعالى وقليل ما هم وقليل من عبادى الشكور ويحتمل ان يكون كثرةُ الضالّين من حيث العدد وكثرةُ المهديّين باعتبار الفضل والشرف كما قال

٢٥ قليلٌ اذا عُدّوا كثيرٌ اذا شَدّوا

وقال

إنّ الكرام كثيرٌ فى البلاد وإنْ قلّوا كما غيرُهم قلٌّ وإنْ كثُروا

وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا ٱلْفَاسِقِينَ الخارجين عن حدّ الايمان كقوله تعالى انّ المنافقين هم الفاسقون من قولهم فسقت الرُّطَبةُ عن قشرها اذا خرجت واصلُ الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة

فواسقا عن قصدها جوائرا

ركوع ۳ والفاسق فى الشرع الخارج عن امر اللّٰه بارتكاب الكبيرة وله درجاتٌ ثلاث الاولى التغابى وهو أن يرتكبها
أحيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو أن يَعْتاد ارتكابها غير مبالٍ بها والثالثة الجحود وهو أن
يرتكبها مستَصْوِبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطّى خِطَطَهُ خلع رِبْقة الايمان من عنقه ولابَس
الكفر وما دام هو فى درجة التغابى والانهماك فلا يُسْلَب عنه اسمُ المؤمن لاتّصافه بالتصديق الّذى هو ۵
مسمّى الايمان ولقوله تعالى وإنْ طائفتان من المؤمنين الآية والمعتزلة لمّا قالوا الايمان عبارة عن مجموع
التصديق والإقرار والعمل والكفرُ تكذيب الحقّ وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتى المؤمن والكافر
لمشاركته كلَّ واحد منهما فى بعض الاحكام وتخصيصُ الاضلال بهم مرتّبا على صفة الفسق يدلّ على
انه الّذى اعدّهم للاضلال وادّى بهم الى الضلال وذلك لانّ كفرهم وعدولهم عن الحقّ واصرارهم بالباطل
صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المَثل الى حقارة الممثَّل به حتّى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم ۱۰
فانكروه واستهزؤا به ٭ وقرئ يُضَلُّ بالبناء للمفعول وٱلْفَاسِقُونَ بالرفع (۲۵) ٱلَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ ٱللّٰهِ صفة
الفاسقين للذمّ وتقرير الفسق ٭ والنَّقض فسخ التركيب واصله فى طاقات الحبل واستعماله فى ابطال العهد
من حيث انّ العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهِدَيْن بالآخر فان أُطْلِق مع لفظ
الحبل كان ترشيحا للمجاز وإن ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو انّ العهد حبل فى
ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس فانّ فيه تنبيها على ۱۵
انّه اسدٌ فى شجاعته بحرٌ بالنظر الى افادته ٭ والعَهْد المَوْثِق ووَضْعُه لما من شأنه ان يراعَى ويتعهّد كالوصيّة
واليمين ويقال للدار من حيث انّها تراعَى بالرجوع اليها والتأريخ لانّه يحفظ وهذا العهد إمّا العهد
المأخوذ بالعقل وهو الحجّة القائمة على عباده الدالّة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه
أُوِّل قوله تعالى وأشْهَدَهم على انفسهم او المأخوذ بالرسل على الأُمم بانّهم اذا بُعث اليهم رسولٌ مصدَّق
بالمعجزات صدّقوه واتّبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله تعالى واذ اخذ اللّٰه ۲۰
ميثاق الّذين اوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود اللّٰه تعالى ثلاثة عهدٌ اخذه على جميع ذرّيّة آدم
بأن يُقرّوا بربوبيّته وعهدٌ اخذه على النبيّين بأن يُقيموا الدين ولا يتفرّقوا فيه وعهدٌ اخذه على العلماء
بأن يبيّنوا الحقّ ولا يكتموه مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ الضمير للعهد ٭ والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهى الاستحكام
والمراد به ما وثّق اللّٰه به عهده من الآيات والكتب او ما وثّقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون
بمعنى المصدر ٭ ومِنْ للابتداء فانّ ابتداء النقض بعد الميثاق وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ ٱللّٰهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ يحتمل ۲۵
كلَّ قطيعة لا يرضاها اللّٰه تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم
السلام والكتب فى التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رَفْضُ خيرٍ او تعاطى شرٍّ فانّه يقطع
الوصلة بين اللّٰه وبين العبد المقصودةَ بالذات من كلّ وصلٍ وفصلٍ ٭ والأَمْر هو القول الطالب للفعل وقيل
مع العلوّ وقيل مع الاستعلاء وبه سمّى الامر الّذى هو واحد الامور تسميةً للمفعول به بالمصدر فانّه ممّا
يؤمر به كما قيل له شَأْنٌ وهو الطلب والقصد يقال شأنت شأنه اذا قصدت قصده ٭ وأَنْ يُوصَلَ يحتمل ۳۰

النصب والخفض على انّه بدل من مَا او ضميره والثانى احسنُ لفظا ومعنى وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بالمنع عن
الايمان والاستهزاء بالحقّ وقطعِ الوُصَل الّتى بها نظامُ العالم وصلاحُه أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ الّذين خسروا
باهمالِ العقل عن النظر واقتناص ما يُفيدهم الحيوة الابديّة واستبدالِ الانكار والطعن فى الآيات بالايمان
بها والنظر فى حقائقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب
٥ (٢٦) كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ استخبارٌ فيه انكارٌ وتعجيبٌ لكفرهم بانكار الحال الّتى يقع عليها على الطريق
البرهانىّ فانّ صدوره لا ينفكّ عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزمَ ذلك
انكارَ وجوده فهو ابلغ واقوى فى انكار الكفر من أتكفرون واوفق لما بعده من الحال ، والخطاب مع الّذين
كفروا لمّا وصفهم بالكفر وسوء المقال وخُبْث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبّخهم على كفرهم مع
علمهم بحالهم المقتضية خلافَ ذلك والمعنى أخْبِرونى على ايّ حال تكفرون وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا اى اجسادا
١٠ لا حيوة لها عناصرَ واغذيةً وأخلاطا ونُطَفا ومُضَغا مخلّقة وغير مخلّقة فَأَحْيَٰكُمْ بخلق الارواح ونفخها
فيكم وانّما عطفه بالفاء لانّه متّصل بما عطف عليه غير متراخٍ عنه بخلاف البواقى ثُمَّ يُمِيتُكُمْ عند
تقضّى آجالكم ثُمَّ يُحْيِيكُمْ بالنشور يومَ يُنفخ فى الصور او للسؤال فى القبور ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ بعد
الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما أعْجَبَ كفرَكم مع علمكم
بحالكم هذه فان قيل إن علموا انّهم كانوا امواتا فاحياهم ثمّ يميتهم لم يعلموا انّه يحييهم ثمّ
١٥ اليه يرجعون قلتُ تمكّنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزّلٌ منزلةَ علمهم فى ازاحة
العُذر سيّما وفى الآية تنبيهٌ على ما يدلّ على صحّتهما وهو انّه تعالى لمّا قدر أنْ أحياهم اوّلا قدر أن
يُحْييهم ثانيا فانّ بدء الخلق ليس بأهون عليه من اعادته او مع القبيلَيْن فانّه سبحانه وتعالى لمّا
بيّن دلائل التوحيد والنبوّة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكّد ذلك بأن عدّد عليهم
النعم العامّة والخاصّة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فانّ عظمَ
٢٠ النعمة يوجب عظمَ معصية المُنْعم فان قيل كيف يعدّ الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلتُ
لمّا كانت وُصْلة الى الحيوة الثانية الّتى هى الحيوة الحقيقيّة كما قال تعالى وإنّ الدار الآخرة لهى الحَيَوان
كانت من النعم العظيمة مع انّ المعدود عليهم نعمةً هو المعنى المنتزع من القصّة باسرها كما انّ الواقع
حالا هو العلم بها لا كلّ واحدة من الجُمَل فانّ بعضها ماضٍ وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصحّ ان يقع
حالا او مع المؤمنين خاصّةً لتقرير المنّة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يُتصوّر منكم الكفر
٢٥ وكنتم امواتا اى جهّالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثمّ يميتكم الموتَ المعروفَ ثمّ يحييكم
الحيوة الحقيقيّة ثمّ اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ،
والحَيوة حقيقةٌ فى القوّة الحسّاسة او ما يقتضيها وبها سمّى الحَيَوان حَيَوانا مجازٌ فى القوّة النامية لانّها من
طلائعها ومقدّماتها وفيما يخصّ الانسان من الفضائل كالعقل والعلم والايمان من حيث انّها كمالها
وغايتها والمَوْت بازائها يقال على ما يقابلها فى كلّ مرتبة قال تعالى قل اللّه يحييكم ثمّ يميتكم وقال

جزء ١ اعلموا انّ اللّه يحيي الارض بعد موتها وقال أَوَمَنْ كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في
ركوع ٣ الناس واذا وُصف بها البارئ تعالى اريد بها صحّةُ اتّصافه بالعلم والقدرة اللازمةُ لهذه القوّة فينا او معنى
قائمٌ بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة ، وقرأ يعقوب تَرْجِعون بفتح التاء في جميع القران (٢٧) هُوَ ٱلَّذِى
خَلَقَ لَكُم مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا بيان نعمة اخرى مرتّبة على الاولى فانّها خَلْقهم أحياء قادرين مرّةً بعد
اخرى وهذه خَلْقُ ما يتوقّف عليه بقاؤهم ويتمّ به معاشهم ، ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم ٥
باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسطٍ او غيرِ وسطٍ ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرّف لما
يلائمها من لذّات الآخرة وآلامها لا على وجه الغرض فانّ الفاعل لغرض مستكملٌ به بل على انّه كالغرض
من حيث انّه عاقبة الفعل ومؤدّاه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض
لاسباب عارضة فانّه يدلّ على انّ الكلّ للكلّ لا انّ كلّ واحد لكلّ واحد ، وما يعمّ كلّ ما في الارض لا
الارضَ الّا اذا اريد به جهة السُفْل كما يراد بالسماء جهة العُلْو ، وجَمِيعًا حال عن الموصول الثاني ١٠
ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا
من غير ان يلوي على شيء واصلُ الاستواء طلب السواء واطلاقُه على الاعتدال لما فيه من تسوية وَضْع
الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانّه من خواصّ الاجسام وقيل استوى استولى وملك قال

قد ٱستوى بِشْرٌ على العِراقِ مِنْ غيرِ سَيْفٍ ودمٍ مُهْراقِ

والاوّل اوفق للاصل والصلةِ المعدّى بها والتسويةِ المرتّبة عليه بالفاء ، والمراد بالسماء هذه الأجرام العُلْويّة ١٥
او جهاتُ العُلْو ، وثُمّ لعلّه لتفاوُت ما بين الخَلْقَيْن وفضلِ خلق السماء على خلق الارض كقوله تعالى ثمّ
كان من الّذين آمنوا لا للتراخي في الوقت فانّه يخالف ظاهرَ قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فانّه
يدلّ على تأخّر دَحْو الارض المتقدّم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الّا أن تستأنف
بدحاها مقدّرا لنصب الارض فِعْلًا آخر دلّ عليه أأنتم اشدّ خلقا مثل تعرِفُ الارضَ وتدبّرُ امرَها بعد
ذلك لكنّه خِلاف الظاهر فَسَوَّاهُنَّ عدّلهنّ وخلقهنّ مصونةً من العِوَج والفطور ، وهنّ ضمير السماء إن ٢٠
فسّرت بالاجرام لانّه جمع او في معنى الجمع والّا فمبهم يفسّره ما بعده كقولهم ربّه رجلًا سَبْعَ سَمٰوٰتٍ بدل
او تفسير فان قيل اليس انّ اصحاب الأرصاد اثبتوا تسعة افلاك قلتُ فيما ذكروه شكوك وإن صحّ
فليس في الآية نفي الزائد مع انّه إن ضُمّ اليها العرش والكرسيّ لم يَبْقَ خلافٌ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ فيه
تعليلٌ كانّه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلّها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع
واستدلالٌ بانّ من كان فعلُه على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فانّ إتقان الافعال ٢٥
واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يُتصوّر الّا من عالم حكيم رحيم وإزاحةٌ لما يختلج في
صدورهم منْ أنّ الأبدان بعد ما تفتّتت وتبدّدت اجزاؤها واتّصلت بما يشاكلها كيف تُجمَع اجزاء
كلّ بدن مرّةً ثانية بحيث لا يشذّ منها شيء ولا ينضمّ اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان
ونظيرُه قوله تعالى وهو بكلّ خلق عليم ، واعلمْ انّ صحّة الحشر مبنيّة على ثلاث مقدّمات وقد برهن

عليها في هاتين الآيتين أمّا الاولى فهي انّ موادّ الابدان قابلة للجمع والحيوة واشار الى البرهان عليها جزء ١
بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثمّ يميتكم فانّ تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها يدلّ ركوع ٣
على انّها قابلة لها بذاتها وما بالذات يأبى ان يزول ويتغيّر وأمّا الثانية والثالثة فانّه عزّ وجلّ عالم بها
ومواقعها قادر على جمعها واحيائها واشار الى وجه اثباتهما بانّه تعالى قادر على ابدائها وابداء ما هو اعظم
خَلْقا واعجبُ صُنْعا فكان أقْدَرَ على اعادتهم واحيائهم وأنّه خلق ما خلق خلقا مستويا مُحْكَما من
غير تفاوت واختلال مُراعًى فيه مَصالحُهم وسَدُّ حاجاتهم وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته
جلّت قدرته ودقّت حكمته ، وقد سكّن نافع وابو عمرو والكسائيّ الهاء من نحوِ فَهْوَ ووَهْوَ تشبيها له

(٢٨) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً تعدادٌ لنعمة ثالثة تعمّ الناس كلّهم فانّ ركوع ٤
خلق آدم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان امرهم بالسجود له انعامٌ يعمّ ذرّيّته ، واذْ ظرفٌ وضع
١٠ لزمانِ نسبةٍ ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك يجب
اضافتهما الى الجُمَل كحَيْثُ في المكان وبُنِيَتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلّهما
النصب ابدًا بالظرفيّة فانّهما من الظروف الغير المتصرّفة لما ذكرناه وامّا قوله تعالى واذكرْ اخا عاد اذ
انذر قومه بالاحقاف ونحوه فعلى تأويل اذكر الحادثَ اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه
وعاملُه في الآية قالوا او اذكرْ على التأويل المذكور لانّه جاء معمولا له صريحا في القرآن كثيرا او مضمرٌ
١٥ دلّ عليه مضمون الآية المتقدّمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفةٌ على خلق لكم
داخلةٌ في حكم الصلة وعن مَعْمَر انّه مزيد ، والمَلائِكة جمع مَلْأَك على الاصل كالشمائل جمع شَمْأَل
والتاء لتأنيث الجمع وهو مقلوب مَأْلَك من الألوكة وهي الرسالة لانّهم وسائط بين الله تعالى وبين الناس
فهم رسل الله تعالى او كالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتّفاقهم على انّها ذوات موجودة
قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انّها اجسام لطيفة قادرة على التشكّل باشكال مختلفة مستدلّين
٢٠ بانّ الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشريّة المفارقة
للابدان وزعم الحكماء انّهم جواهر مجرّدة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة الى قسمَيْن قسم
شأنهم الاستغراق في معرفة الحقّ جلّ جلاله والتنزّه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في مُحْكَم تنزيله فقال
تعالى يسبّحون الليل والنهار لا يفترون وهم العلّيّون والملائكة المقرّبون وقسم يدبّر الامرَ من السماء الى
الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهيّ لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم
٢٥ المدبّرات امرا فمنهم سماويّة ومنهم ارضيّة على تفصيل اثبتّه في كتاب الطوالع والمقول لهم الملائكة
كلّهم لعموم اللفظ وعدم المخصّص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجنّ
فانّه تعالى اسكنهم في الارض اوّلا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جُنْد من الملائكة فدمّرهم
وفرّقهم في الجزائر والجبال ، وجاعل من جَعَلَ الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة اعمل فيهما لانّه
بمعنى الاستقبال ومعتمد على مُسْنَد اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق ، والخليفة من يخلف غيره
٣٠ وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم عم لانّه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كلّ نبيّ

جزء ۱ استخلفه فى عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تعالى الى من
ركوع ۴ ينوبه بل لقصور المستخلَف عليه عن قبول فيضه وتلقّى امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما
قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا ترى انّ الانبياء لمّا فاقت قوّتهم واشتعلت قريحتهم
بحيث يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نارٌ ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى رتبةً كلّمه
۵ بلا واسطة كما كلّم موسى عم فى الميقات ومحمّدا صلعم ليلةَ المعراج ونظيرُ ذلك فى الطبيعة انّ العظم
لمّا عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل البارئ تعالى بحكمته بينهما الغضروف
المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطى ذلك او خليفةً من سكن الارض قبله او هو وذرّيّته لانّهم
يخلفون مَنْ قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ امّا للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما
استغنى بذكر ابى القبيلة فى قولهم مُضَر وهاشم او على تأويل من يخلفكم او خَلْقا يخلفكم
۱۰ وفائدةُ قوله تعالى هذا للملائكة تعليمُ المشاورة وتعظيمُ شأن المجعول بأنْ بشّر عزّ وجلّ بوجوده سُكّانَ
ملكوته ولقّبه بالخليفة قبل خلقه واظهارُ فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيانُ
أنّ الحكمة تقتضى ايجادَ ما يَغْلِب خيرُه فانّ ترك الخير الكثير لاجل الشرّ القليل شرٌّ كثيرٌ الى غير ذلك

قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ تعجّبٌ من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من
يفسد فيها او يستخلف مكانَ اهل الطاعة اهل المعصية واستكشافٌ عمّا خفى عليهم من الحكمة التى
۱۵ بَهَرَتْ تلك المفاسد وألْغَتها واستخبارٌ عمّا يُرْشدهم ويُزيح شبهتهم كسؤال المتعلّم معلّمَه عمّا يختلج فى
صدره وليس باعتراض على اللّه جلّت قدرته ولا طَعْن فى بنى آدم على وجه الغيبة فانّهم اعلى من ان
يُظَنّ بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مُكْرَمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانّما عرفوا ذلك
باخبار من اللّه او تلقّ من اللوح او استنباطٍ عمّا رُكِز فى عقولهم أنّ العِصْمة من خواصّهم او قياسٍ
لاحد الثقلَيْن على الآخر ، والسَّفْك والسَّبْك والسفْح والشَّنّ انواع من الصبّ فالسفك يقال فى الدم
۲۰ والدمع والسبك فى الجواهر المذابة والسفح فى الصبّ من اعلى والشنّ فى الصبّ من فم القِرْبة ونحوها
وكذلك السنّ وقرئ يُسْفَك على البناء للمفعول فيكون الراجع الى مَنْ سواء جُعل موصولا او موصوفا
محذوفا اى يُسْفَك الدماء فيهم وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ حال مقرّرة لجهة الاشكال كقولك
أتُحْسِن الى اعدائك وانا الصديق المحتاج والمعنى انستخلف عُصاةً ونحن معصومون احقّاء بذلك والمقصودُ
منه الاستفسارُ عمّا رجّحهم مع ما هو متوقَّعٌ منهم على الملائكة المعصومين فى الاستخلاف لا العُجْب
۲۵ والتفاخر وكأنّهم علموا انّ المجعول خليفةً ذو ثلاث قُوًى عليها مدارُ امره شهويّة وغضبيّة تؤدّيان به
الى الفساد وسفك الدماء وعقليّة تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردةً وقالوا ما الحكمة فى
استخلافه وهو باعتبار تَيْنك القوّتين لا يقتضى الحكمةُ ايجادَه فضلا عن استخلافه وأمّا باعتبار القوّة
العقليّة فنحن نقيم ما يُتوقّع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كلّ واحدة من
القوّتين اذا صارت مهذّبةً مِطْواعةً للعقل متمرّنةً على الخير كالعفّة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف
۳۰ ولم يعلموا انّ التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحادُ كالاحاطة بالجزئيّات واستنباطِ الصناعات واستخراج

جزء ١ منافع الكائنات من القوّة الى الفعل الّذى هو المقصود من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالا بقوله
ركوع ۴ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ والتسبيح تبعيد اللّه تعالى عن السوء وكذلك التقديس من سَبَحَ فى
الارض والماء وقَدَسَ فى الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدّس اذا طهر لانّ مطهّر الشىء مبعّده عن
الاقذار ، بِحَمْدِكَ فى موضع الحال اى ملتبسين بحمدك على ما أَلْهَمْتَنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا
٥ به ما أَوْهَمَ اسنادُ التسبيح الى انفسهم ، ونقدّس لك نطهّر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانّهم قابلوا
الفسادَ المفسَّر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسَفْكَ الدماء الّذى هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفوس
عن الآثام وقيل نقدّسك واللامُ مزيدة (٢٩) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا إمّا بخلق علمٍ ضروريّ بها فيه او
القاء فى رُوعه ولا يفتقر الى سابقةِ اصطلاحٍ لِيَتسلسل ، والتعليم فِعْلٌ يترتّب عليه العلم غالبا ولذلك يقال
علّمته فلم يتعلّم ، وآدمُ اسم اعجمىّ كآزر وشالَح واشتقاقُه من الأُدْمة او الأَدَمة بالفتح بمعنى الأُسْوة او
١٠ من اديم الارض لما روى عنه عم انّه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سَهْلِها وحَزْنِها فخلق منها آدم
فلذلك يأتى بنوه أَخْيافا او من الأَدْم او الأُدْمة بمعنى الأُلْفة تعسُّفٌ كاشتقاق ادريسَ من الدرس ويعقوبَ
من العَقْب وابليسَ من الابلاس ، والِاسْمُ باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشىء ودليلا يرفعه الى
الذهن من الالفاظ والصفاتِ والافعال واستعمالُه عُرْفا فى اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركّبا او مُفْرَدا
مُخْبَرا عنه او خبرا او رابطةً بينهما واصطلاحا فى المفرد الدالّ على معنى فى نفسه غيرَ مقترن باحد الازمنة
١٥ الثلاثة والمراد فى الآية امّا الاوّل او الثانى وهو يستلزم الاوّل لانّ العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقّف
على العلم بالمعانى والمعنى انّه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقُوى متباينة مستعدّا لادراك انواع المُدْرَكات
من المعقولات والمحسوسات والمتخيّلات والموهومات وأَلْهمه معرفةَ ذوات الاشياء وخواصِّها واسمائها واصولِ
العلوم وقوانينِ الصناعات وكيفيّةِ آلاتها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ الضمير فيه للمسمّيات المدلولِ عليها
ضمْنا اذ التقدير اسماء المسمّيات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوّض عنه اللام كقوله تعالى
٢٠ واشتعل الرأس شيبا لانّ العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيّما إن
اريد به الالفاظ والمرادُ به ذواتُ الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكيرُه لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء
وقرئ عَرَضَهُنَّ وعَرَضَهَا على معنى عرض مسمّياتهنّ او مسمّياتها فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ تبكيت لهم
وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فانّ التصرّف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقّق المعرفة والوقوف على
مراتب الاستعدادات وقدرِ الحقوق مُحالٌ وليس بتكليفٍ ليكون من باب التكليف بالمُحال ، والانْباء
٢٥ اخبار فيه اعلام ولذلك يجرى مجرى كلّ واحد منهما إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى زعمكم انّكم احقّاء بالخلافة
لعصمتكم أَو انّ خَلْقَهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا تليق بالحكيم وهو وإن لم يصرّحوا به لكنّه لازمُ
مقالهم والتصديق كما يتطرّق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرّق اليه بغرض ما يَلْزَم مدلولَه من
الاخبار وبهذا الاعتبار يعترى الانشاءاتِ (٣٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا اعترافٌ بالعجز
والقصور واشعارٌ بأنّ سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانّه قد بان لهم ما خفى عليهم من

جزء ١ فضل الانسان والحكمة فى خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرّفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب
ركوع ٤ بتفويض العلم كلّه اليه ، وسُبْحَان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الّا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ
اللّه وقد أُجْرى عَلَما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ فى قوله

سُبْحَانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الفاخر

وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عم ٥
سبحانك تبت اليك وقال يونس عم سبحانك انّى كنت من الظالمين إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَلِيمُ الّذى لا يخفى
عليه خافية ٱلْحَكِيمُ المُحْكِمُ لمُبْدَعاته الّذى لا يفعل الّا ما فيه حكمة بالغة ، وأَنْتَ فصل وقيل
تأكيد للكاف كما فى قولك مررتُ بك انت وإن لم يجز مررت بأنت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ
فى المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ خبرُه ما بعده والجملة خبرُ
إنّ (٣١) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ اى أَعْلِمْهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما ١٠

فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ
استحضار لقوله تعالى انّى اعلم ما لا تعلمون لكنّه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجّة عليه فانّه
تعالى لمّا علم ما خفى عليهم من امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة عَلِمَ
ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الأَوْلى وهو أن يتوقّفوا مترصّدين لأن يبيّن لهم وقيل ما
تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم انّهم احقّاء بالخلافة وانّه تعالى لا ١٥
يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسرّ ابليس منهم من المعصية ، والهمزة للانكار
دخلت حرفَ الجحد فافادت الاثبات والتقرير ، واعلمْ انّ هذه الآيات تدلّ على شرف الانسان ومزيّة
العلم وفضله على العبادة وانّه شرط فى الخلافة بل العمدة فيها وأنّ التعليم يصحّ اسناده الى اللّه تعالى
وان لم يصحّ اطلاق المعلّم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وأنّ اللغات توقيفيّة فانّ الاسماء تدلّ على
الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهرٌ فى القائها على المتعلّم مبيّنا له معانيها وذلك يستدعى سابقة ٢٠
وضع والاصلُ ينفى ان يكون ذلك الوضع ممّن كان قبل آدم فيكون من اللّه تعالى وأنّ مفهوم الحكمة
زائد على مفهوم العلم والّا لتكرّر قوله تعالى انّك انت العليم الحكيم وأنّ علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل
الزيادة والحكماء منعوا ذلك فى الطبقة الاعلى منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منّا الّا له مقام معلوم وأنّ
آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانّه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى هل يستوى الّذين يعلمون والّذين
لا يعلمون وانّه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها (٣٢) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ لمّا انبأهم بأسمائهم ٢٥
وعلّمهم ما لم يعلموا أَمَرَهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقّه واعتذارا عمّا قالوا فيه وقيل امرهم
به قبل ان يسوّى خلقه لقوله تعالى فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين امتحانا لهم
واظهارا لفضله ، والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق إن نصبته بمضمر والّا عطفه بما يقدّر عاملا
فيه على الجملة المتقدّمة بل القصّة باسرها على القصّة الاخرى وهى نعمة رابعة عدّدها عليهم ، والسجود

في الأصل تذلّل مع تطامن قال الشاعر

ترى الأُكْمَ فيه سُجَّدًا للحوافر

وقال

وقُلْنَ له أَسْجِدْ لِلَيْلَى فأَسْجَدا

٥ يعني البعير اذا طأطأ رأسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمورُ به إمّا المعنى
الشرعيّ فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قِبْلةً لسجودهم تفخيما لشأنه او سببا
لوجوبه وكأنّه تعالى لمّا خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدَعات كلّها بل الموجودات بأسرها ونسخةً لما
في العالم الروحانيّ والجسمانيّ وذريعةً للملائكة الى استيفاء ما قُدّر لهم من الكمالات ووُصْلةً الى ظهورِ ما
تباينوا فيه من المراتب والدرجات أَمَرَهم بالسجود تذلّلا لما رأوا فيه من عظيم قدرته وباهرِ آياته وشكرا
١٠ لما انعم عليهم بواسطته فاللامُ فيه كاللام في قول حسّان

اليس اوّلَ مَنْ صلّى لِقِبْلتكم وأَعْرَفَ الناسِ بالقرآن والسُّنَنِ

او في قوله تعالى أَقِمِ الصلوة لِدُلوك الشمس وإمّا المعنى اللغويّ وهو التواضع لآدم تحيّةً وتعظيما له
كسجود اخوة يوسف له او التذلّل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتمّ به كمالهم
والكلامُ في أنّ المأمورين بالسجود الملائكة كلّهم او طائفةٌ منهم ما سبق فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ
١٥ امتنع عمّا امر به استكبارا من ان يتّخذه وُصْلة في عبادة ربّه او يعظّمه ويتلقّاه بالتحيّة او يخدمه
ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه ، والإباء امتناع باختيار ، والتكبّرُ أن يرى الرجل نفسه اكبر من غيره
والاستكبارُ طلب ذلك بالتشبّع وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ اى في علم الله تعالى او صار منهم باستقباحه أَمْرَ
الله تعالى ايّاه بالسجود لآدم اعتقادا بانّه افضل منه والافضلُ لا يحسن ان يؤمر بالتخضّع للمفضول
والتوسّلِ به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيديّ
٢٠ أَستكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده ، والآية تدلّ على أنّ آدم عم افضل من الملائكة
المأمورين بالسجود له ولو من وَجْهٍ وأنّ ابليس كان من الملائكة والّا لم يتناوله امرُهم ولم يصحّ
استثناؤُه منهم ولا يَرِدُ على ذلك قولُه تعالى الّا ابليس كان من الجنّ لجوازِ أن يقال انّه كان من الجنّ
فعلا ومن الملائكة نوعا ولأنّ ابن عبّاس رضى الله عنهما روى انّ من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم
الجنّ ومنهم ابليس ولمن زعم انّه لم يكن من الملائكة أنْ يقول انّه كان جنّيّا نشأ بين اظهر الملائكة
٢٥ وكان مغمورا بالالوف منهم فغُلّبوا عليه او الجنّ ايضا كانوا مأمورين مع الملائكة لكنّه استغنى بذكر
الملائكة عن ذكرهم فانّه اذا عُلِم انّ الاكابر مأمورون بالتذلّل لاحد والتوسّلِ به عُلِم انّ الاصاغر ايضا
مأمورون به والضميرُ في فسجدوا راجع الى القبيلين كأنّه قال فسجد المأمورون بالسجود الّا ابليس
وأنّ من الملائكة من ليس بمعصوم وإن كان الغالبُ فيهم العِصْمةَ كما أنّ من الانس معصومين والغالبُ
فيهم عدم العصمة ولعلّ ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانّما يخالفهم بالعوارض

جزء ١ والصفات كالمَرّة والفسقة من الانس والجنّ يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قاله ابن
ركوع ٤ عبّاس فلذلك صحّ عليه التغيّر عن حاله والهبوط من محلّه كما اشار اليه بقوله تعالى الّا ابليس كان من
الجنّ ففسق عن امر ربّه لا يقال كيف يصحّ ذلك والملائكة خُلقت من نور والجنّ من نار لما روت
عائشة رضها انّه عم قال خُلقت الملائكة من النور وخُلق الجنّ من مارج من نار لانّه كالتمثيل لما
ذكرنا فانّ المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك غير انّ ضوءها مكدّر مغمور بالدخان محذور عنه
بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذّبة مصفّاة كانت محض نور ومتى نكصت
عادت الحالة الاولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب
واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله تعالى ٬ ومن فوائد الآية استقباح الاستكبار وانّه قد
يُفضي بصاحبه الى الكفر والحثّ على الائتمار لامره وترك الخوض في سرّه وانّ الامر للوجوب وانّ الذى
عَلِمَ اللّهُ تعالى مِنْ حاله انّه يُتوفّى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتم وان كان بحكم الحال ١٠
مومنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا ابى الحسن الاشعرىّ رحمه الله تعالى (٣٣) وَقُلْنَا يَا آدَمُ ٱسْكُنْ أَنْتَ
وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ السُّكْنى من السكون لانّها استقرار ولبث ٬ وأَنْتَ تأكيد اكّد به المستكنّ ليصحّ العطف
عليه وانّما لم يخاطبهما اوّلا تنبيها على انّه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبعٌ له ٬ والجنّة دار الثواب
لانّ اللام للعهد ولا معهودَ غيرها ومن زعم انّها لم تُخلَق بعدُ قال انّه بستان كان بارض فلسطين او
بين فارسَ وكِرْمانَ خلقه الله امتحانا لآدم وحَمَلَ الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله ١٥
تعالى اهبطوا مصرا وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا واسعا رافها صفةُ مصدر محذوف حَيْثُ شِئْتُمَا اىّ مكانٍ من الجنّة
شئتما وسّع الامر عليهما إزاحةً للعلّة والعُذْرِ في التناول من الشجرة المنهيّ عنها من بين اشجارها الفائتة
للحصر وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّالِمِينَ فيه مبالغاتٌ تعليق النهى بالقرب الّذى هو من
مقدّمات التناول مبالغةً في تحريمه ووجوبِ الاجتناب عنه وتنبيها على انّ القرب من الشيء يورث داعية
وميلا يأخذ بمجامع القلب ويُلهيه عمّا هو مقتضى العقل والشرع كما روى حُبُّك الشيءَ يُعْمِى ويُصِمّ ٢٠
فينبغى ان لا يحوما حول ما حُرِّم عليهما مخافةَ ان يقعا فيه وجعلُه سببا لان يكونا من الظالمين الّذين
ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصى او بنقص حظّهما بالاتيان بما يُخِلّ بالكرامة والنعيم فانّ الفاء تفيد
السببيّة سواء جُعلت للعطف على النهى او الجوابِ له ٬ والشجرة هى الحنطة او الكرمة او التينة او
شجرةٌ مَنْ اكل منها أَحْدَثَ والأَوْلى ان لا تُعيَّن من غير قاطع كما لم تعيَّن في الآية لعدم توقّف ما هو
المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتِقْرَبا بكسر التاء وهٰذِى بالياء (٣٤) فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَانُ عَنْهَا اصدر ٢٥
زلّتهما عن الشجرة وحملهما على الزلّة بسببها ونظيرة عَنْ هذه في قوله تعالى وما فعلته عن امرى او
ازلّهما عن الجنّة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فَأَزَالَهُمَا وهما متقاربان في المعنى غير انّ ازلّ يقتضى
عثرة مع الزوال وإزلالُه قوله هل ادلّك على شجرة الخلد ومُلك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربّكما عن هذه
الشجرة الّا ان تكونا مَلَكَيْنِ او تكونا من الخالدين ومقاسمته ايّاهما بقوله انّى لكما لمن الناصحين واختلف

جزء ١ ركوع ٤

فى أنّه تمثّل لهما فتناولهما بخلك او ألقاه اليهما على سبيل الوسوسة وأنّه كيف توصّل الى إزلالهما بعد ما قيل له اخرج منها فانّك رجيم فقيل مُنع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يُمنَع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحوّاء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثّل بصورة دابّة فدخل ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل فى فم الحيّة حتّى دخلتْ به وقيل ارسل بعض أتباعه فأزلّهما

٥ والعِلْمُ عند اللّه تعالى فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ اى من الكرامة والنعيم وَقُلْنَا اهْبِطُوا خطاب لآدم وحوّاء لقوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لأنّهما أصْلا الجنس فكأنّهما الانس كلّهم او هما وابليس وابليس أُخْرِجَ منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقةً او من السماء بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ حال استغنى فيها عن الواو بالضمير والمعنى مُتَعادين يبغى بعضكم على بعض بتضليله وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ موضعُ استقرارٍ او استقرارٌ وَمَتَاعٌ تمتّع إِلَى حِينٍ يريد به وقت الموت او القيامة (٣٥) فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ

١٠ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ استقبلها بالاخذ والقبولِ والعملِ بها حين عُلِّمها وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات على انّها استقبلته وبلغته وهى قوله ربّنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللّهمّ وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدّك لا اله الّا انت ظلمت نفسى فاغفر لى انّه لا يغفر الذنوب الّا انت وعن ابن عبّاس رضى اللّه عنهما قال يا ربّ الم تخلقنى بيدك قال بلى قال يا ربّ الم تنفخ فىّ الروح من روحك قال بلى قال يا ربّ الم تسبق رحمتُك غضبك قال بلى قال الم تسكنّى جنّتك قال بلى قال يا ربّ إن تبت واصلحت

١٥ أراجِعِى انت الى الجنّة قال نعم، واصل الكلمة الكَلْم وهو التأثير المُدْرَك باحدى الحاسّتين السمع والبصر كالكلام والجراحة فَتَابَ عَلَيْهِ رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانّما رتّبه بالفاء على تلقّى الكلمات لتضمّنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم لانّ حوّاء كانت تبعًا له فى الحكم ولذلك طُوِى ذكر النساء فى اكثر القران والسنن إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّجّاع على عِباده بالمغفرة او الّذى يُكْثِر إعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وُصف بها العبد كان

٢٠ رجوعا عن المعصية واذا وصف بها البارىُ تعالى اريد به الرجوع عن العقوبة الى المغفرة الرَّحِيمُ المبالغ فى الرحمة وفى الجمع بين الوصفين وعدٌ للتائب بالاحسان مع العفو (٣٦) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا كرّر للتأكيد او لاختلاف المقصود فانّ الاوّل دلّ على انّ هبوطهم الى دار بليّة يتعادون فيها ولا يخلدون والثانى اشعر بانّهم أُهْبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضلّه هلك والتنبيه على انّ مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم أن تَعُوقه عن مخالفة حكم اللّه تعالى فكيف بالمقترن بهما

٢٥ ولكنّه نسى ولم نجد له عزما وأنّ كلّ واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذّكّر وقيل الاوّل من الجنّة الى السماء الدنيا والثانى منها الى الارض وهو كما ترى، وجَميعًا حال فى اللفظ تأكيد فى المعنى كانّه قيل اهبطوا انتم اجمعون، ولذلك لا يستدعى اجتماعهم على الهبوط فى زمان واحد كقولك جاؤا جميعا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الشرط الثانى مع جوابه

جزء ١ جوابُ الشرط الاوّل وما مزيدة أُكِّدَتْ بها إنْ ولذلك حَسُن تأكيدُ الفعل بالنون وإن لم يكن فيه
ركوع ٤ معنى الطلب والمعنى ان يأتينّكم منّى هدى بانزال او ارسال فمَنْ تبعه منكم نجا وفاز وانّما جىء
بحرف الشكّ واتيانُ الهدى كائنٌ لانّه محتملٌ فى نفسه غيرُ واجب عقلا ، وكرّر لفظ الهدى ولم يضمر
لانّه اراد بالثانى اعمّ من الاوّل وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل اى فمن تبع ما اتاه مُراعيا فيه ما يشهد
٥ به العقل فلا خوف عليهم فضلا عن أن يحلّ بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف
على المتوقّع والحزنُ على الواقع نفى عنهم العقاب واثبت لهم الثواب على آكد وجه وابلغه ، وقرئ هُدَىَّ

على لغة هذيل ولا خَوْفَ بالفتح (٣٧) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
عطفٌ على فمن تبع الى آخره قسيمٌ له كانّه قال ومن لم يتبع بل كفروا باللّه وكذّبوا بآياته او كفروا
بالآيات جَنانا وكذّبوا بها لِسانا فيكون الفعلان متوجّهين الى الجارّ والمجرور ، والآية فى الاصل العلامة
١٠ الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث انّها تدلّ على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكلّ طائفة من كلمات
القرآن المتميّزة عن غيرها بفصل واشتقاقُها مِنْ أَيّ لانّها تبيّن أيّا من أيّ او مِنْ أَوَى اليه واصلُها أَيَّةٌ
او أَوَيَةٌ كتَمَرة فأُبْدِلت عينها على غير قياس او أَيِيَةٌ او أَوِيَةٌ كرَمَكة فأُعِلّت او آيِيَة كقائلة فحُذِفت الهمزة
تخفيفا والمراد بآياتنا الآيات المنزلة او ما يعمّها والمعقولةَ ، وقد تمسّكت الحشويّة بهذه القصّة على
عدمِ عِصْمة الانبياء عليهم السلام من وجوه الاوّل انّ آدم عم كان نبيّا وارتكب المنهىّ عنه والمرتكبُ له
١٥ عاصٍ والثانى انّه جُعل بارتكابه من الظالمين والظالمُ ملعون لقوله تعالى الا لعنة اللّه على الظالمين
والثالث انّه تعالى اسند اليه العصيان والغىّ قال وعصى آدم ربّه فغوى والرابع انّه تعالى لقّنه التوبة وهى
الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بانّه خاسر لولا مغفرة اللّه ايّاه بقوله وان لم تغفر لنا
وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين والخاسرُ من يكون ذا كبيرة والسادس انّه لو لم يُذْنِب لم يَجْرِ عليه ما
جرى والجوابُ من وجوه الاوّل انّه لم يكن نبيّا حينئذ والمدّعى مطالَبٌ بالبيان الثانى انّ النهى
٢٠ للتنزيه وانّما سمّى ظالما وخاسرا لانّه ظلم نفسه وخسر حَظّه بترك الأَوْلى له وامّا اسناد الغىّ والعصيان
اليه فسيأتى الجواب عنه فى موضعه ان شاء اللّه تعالى وانّما أُمر بالتوبة تَلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما
جرى معاتبةً له على ترك الأَوْلى ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه الثالث انّه فعله ناسيا لقوله تعالى
فنسى ولم نجد له عزما ولكنّه عوتب بترك التحفّظ عن اسباب النسيان ولعلّه وإن حُطّ عن الأمّة لم
يُحَطّ عن الانبياء لِعظَم قدرهم كما قال عم اشدُّ الناس بلاء الانبياء ثمّ الاولياء ثمّ الامثلُ فالامثلُ او
٢٥ أدّى فعلُه الى ما جرى عليه على طريق السببيّة المقدّرة دون المؤاخذة على تناوله كتناول السمّ على الجهل
بشأنه لا يقال انّه باطل لقوله تعالى ما نهاكما ربّكما وقاسمهما الآيتان لانّه ليس فيهما ما يدلّ على انّ
تناوُله حين ما قاله ابليس فلعلّ ما قاله اورث فيه ميلا طبيعيّا ثمّ انّه كفّ نفسه عنه مراعاةً لحكم اللّه
الى ان نُسِّى ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه الرابع انّه عم اقدم عليه بسبب اجتهادٍ اخطأ فيه فانّه
ظنّ انّ النهى للتنزيه او الاشارةَ الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة
٣٠ الى النوع كما روى انّه عم اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامٌ على ذكور أمّتى حِلٌّ لاناثها

وانّما جرى عليه ما جرى تعظيما لشأن الخطيئة ليجتنبها اولاده ، وفيها دلالة على انّ الجنّة مخلوقة وانّها جزء ١
فى جهة عالية وانّ التوبة مقبولة وانّ متّبع الهدى مأمون العاقبة وانّ عذاب النار دائم وانّ الكافر ركوع ٤
مخلّد فيه وانّ غيره لا يخلّد فيه بمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون ، واعلم انّه سبحانه وتعالى لمّا
ذكر دلائل التوحيد والنبوّة والمعاد وعقّبها تعداد النعم العامّة تقريرا لها وتأكيدا فانّها من حيث
٥ انّها حوادث محكمة تدلّ على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث انّ الاخبار
بها على ما هو مثبت فى الكتب السابقة ممّن لم يتعلّمها ولم يمارس شيئا منها إخبار بالغيب معجز
تدلّ على نبوّة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك تدلّ
على انّه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا
نعم اللّه عليهم ويوفوا بعهده فى اتّباع الحقّ واقتفاء الحجج ليكونوا اوّل من آمن بمحمّد صلعم وما انزل
١٠ عليه فقال (٣٨) يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ اى يا اولاد يعقوب ، والابن من البناء لانّه مبنىّ ابيه ولذلك ينسب ركوع ٥
المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر ، واسرائيل لقب يعقوب عم ومعناه بالعبريّة صفوة اللّه وقيل
عبد اللّه وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسراييل بقلب الهمزة ياء اذْكُرُوا نِعْمَتِىَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ
اى بالتفكّر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لانّ الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما
انعم اللّه على غيره حمله الغيرة والحسد على السخط والكفران وان نظر الى ما انعم اللّه عليه حمله حبّ
١٥ النعمة على الرضا والشكر وقيل اراد بها ما انعم على آبائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو
عن اتّخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمّد صلعم ، وقرئ ادّكروا والاصل اذتكروا ونعمتى باسكان
الياء واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرّك الياء المكسور ما قبلها وَأَوْفُوا بِعَهْدِى بالايمان والطاعة
أُوفِ بِعَهْدِكُمْ بحسن الاثابة ، والعهد يضاف الى المعاهِد والمعاهَد ولعلّ الاوّل مضاف الى الفاعل والثانى
الى المفعول فانّه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعد لهم بالثواب
٢٠ على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاوّل مراتب الوفاء منّا هو الاتيان بكلمتى الشهادة ومن اللّه
تعالى حقن الدماء والمال وآخرها منّا الاستغراق فى بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره
ومن اللّه الفوز باللقاء الدائم وما روى عن ابن عبّاس رضى اللّه عنهما اوفوا بعهدى فى اتّباع محمّد
صلعم اوف بعهدكم فى رفع الآصار والأغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة
والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط
٢٥ وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتمونى من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم
من حسن الاثابة وتفصيل العهدين فى سورة المائدة قوله تعالى ولقد اخذ اللّه ميثاق بنى اسرائيل الى
قوله ولأُدخلنّكم جنّات وقرئ أُوَفِّ بالتشديد للمبالغة وَإِيَّاىَ فَارْهَبُونِ فيما تأتون وتذرون وخصوصا
فى نقض العهد وهو آكد فى افادة التخصيص من ايّاك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء
الجزائيّة الدالّة على تضمّن الكلام معنى الشرط كأنّه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون ، والرهبة
٣٠ خوف معه تحرّز ، والآية متضمّنة للوعد والوعيد دالّة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وانّ المؤمن

جزء ١
ركوع ٥

ينبغى ان لا يخاف احدا الّا اللّه تعالى وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ افراد للايمان بالامر به والحثّ
عليه لانّه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانّه مصدّق لما معهم من الكتب الالهيّة من
حيث انّه نازل حسب ما نُعت فيها او مطابق لها فى القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر
بالعبادة والعدل بين الناس والنهى عن المعاصى والفواحش وفيما يخالفها من جزئيّات الاحكام بسبب
تفاوُت الاعصار فى المصالح من حيث انّ كلّ واحدة منها حقّ بالاضافة الى زمانها مراعًى فيها صلاحُ مَنْ ٥
خوطب بها حتّى لو نزل المتقدّم فى ايّام المتأخّر لَنزل على وفقه ولذلك قال عم لو كان موسى حيّا لَمَا وَسِعَهُ

الّا اتّباعى تنبيهٌ على انّ اتّباعها لا ينافى الايمان به بل يوجبه ولذلك عرّض بقوله وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ
بانّ الواجب ان يكونوا اوّل مَنْ آمن به ولانّهم كانوا اهل النظر فى معجزاته والعلم بشأنه والمستفتحين به
والمبشّرين بزمانه وأوّل كافر به وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اوّل فريق او فوج او بتأويل لا يكن كلّ
واحد منكم اوّل كافر به كقولك كَسَانَا حُلَّةً فان قيل كيف نُهوا عن التقدّم فى الكفر وقد سبقهم مشركو ١٠
العرب قلتُ المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهرُ كقولك أمّا انا فلست بجاهل او ولا
تكونوا اوّل كافر به من اهل الكتاب او ممّن كفر بما معه فانّ من كفر بالقران فقد كفر بما يصدّقه
او مثْلَ من كفر من مشركى مكّة ، وأوّل أفعَلُ لا فِعْل له وقيل اصله أوْأَل من وأل فأبْدلت همزته واوا
تخفيفا غيرَ قياسىّ او أَوْوَل من آل فقلبت همزته وادغمت وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ولا تستبدلوا
بالايمان بها والاتّباعِ لها حظوظَ الدنيا فانّها وان جلّت قليلةٌ مسترذَلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من ١٥
حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسةٌ فى قومهم ورُسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتّبعوا
رسول اللّه فاختاروها عليه وقيل كانوا يأخذون الرُشَى فيحرّفون الحقّ ويكتمونه وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ
بالايمان واتّباع الحقّ والاعراض عن الدنيا ولمّا كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمَبادى لما فى
الآية الثانية فُصلت بالرهبة الّتى هى مقدّمة التقوى ولانّ الخطاب بها لِما عمّ العالِمَ والمقلِّد امرهم بالرهبة
الّتى هى مبدأ السلوك والخطابَ بالثانية لِما خصّ اهل العلم امرهم بالتقوى الّذى هو منتهاه ٢٠

(٣٩) وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ عطف على ما قبله ، واللَّبْس الخلْط وقد يلزمه جَعْل الشىء مشتبها
بغيره والمعنى لا تخلطوا الحقّ المنزل بالباطل الّذى تخترعونه وتكتبونه حتّى لا يميّز بينهما او ولا
تجعلوا الحقّ ملتبسا بسبب خلط الباطل الّذى تكتبونه فى خلاله او تذكرونه فى تأويله وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ
جَزْمٌ داخل تحت حكم النهى كانّهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من
سمع الحقّ والاخفاء على من لم يسمعه او نَصْبٌ باضمارِ أَنْ على انّ الواو للجمع بمعنى مع اى لا تجمعوا ٢٥
لَبْس الحقّ بالباطل وكتمانه ويعضده انّ فى مصحف ابن مسعود وَتَكْتُمُونَ اى وانتم تكتمون بمعنى
كاتمين وفيه اشعار بانّ استقباح اللبس لِما يصحبه من كتمان الحقّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ عالمين بانّكم
لابسون كاتمون فانّه اقبح اذ الجاهل قد يُعْذَر (٤٠) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ يعنى صلوة المسلمين
وزكاتهم فانّ غيرها كَلا صلوة ولا زكوة أمَرَهم بفروع الاسلام بعد ما امرهم باصوله وفيه دليل على

ليُقابلوا مخاطبون بها ، والزكوة من زكا الزرع اذا نمى فانّ اخراجها يستجلب بركة فى المال ويُثمر جزء
للنفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة فانّها تطهّر المال من الخبث والنفسَ من البخل وَٱرْكَعُوا مَعَ ٱلرَّاكِعِينَ اى فى جماعتهم فانّ صلوة الجماعة تَفْضُل صلوةَ الفَذّ بسبع وعشرين درجة لما فيها
من تظاهُر النفوس وعبّر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد
٥ لما يُلْزِمهم الشارعُ قال الأَضْبَط السَّعْدِىّ

لا تُذِلّ الضعيفَ عَلَّكَ أَنْ تَرْ كَعَ يوما والدَّهْرُ قد رَفَعَهْ

(٤١) أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ تقرير مع توبيخ وتعجيب ، والبِرّ التوسّع فى الخير من البَرّ وهو الفضاء الواسع
يتناول كلّ خير ولذلك قيل البرّ ثلثة برّ فى عبادة اللّه تعالى وبرّ فى مراعاة الاقارب وبرّ فى معاملة الاجانب
وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وتتركونها من البرّ كالمنسيّات وعن ابن عبّاس رضى اللّه عنهما انّها نزلت فى أحبار
١٠ المدينة كانوا يأمرون سرّا من نصحوه باتّباع محمّد صلعم ولا يتّبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا
يتصدّقون وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَابَ تبكيت كقوله وانتم تعلمون اى تتلون التورية وفيها الوعيد على
العناد وتركِ البرّ ومخالفةِ القولِ العملَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ قُبْحَ صنيعكم فيصدّكم عنه او افلا عقلٌ لكم يمنعكم
عمّا تعلمون وخامةَ عاقبته والعقل فى الاصل الحبس سمّى به الادراك الانسانىّ لانّه يَحْبِسه عمّا يقبح
ويَعْقِله على ما يحسن ثمّ القوّة الّتى بها النفْس تدرك هذا الادراكَ والآية ناعية على من يَعِظ غيرَه ولا
١٥ يتّعظ نفسه سوءَ صنيعه وخبثَ نفسه وأنّ فعله فِعْل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالى عن العقل فانّ
الجامع بينهما يَأْبَى عنه شكيمتُه والمرادُ بها حثُّ الواعظ على تزكية النفس والاقبالِ عليها بالتكميل
ليقومَ فيُقيمَ لا منعُ الفاسق عن الوعظ فانّ الاخلال باحد الامرين المأمورِ بهما لا يوجب الاخلال بالآخر
(٤٢) وَٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلٰوةِ متصل بما قبله كأنّهم لمّا أُمروا بما يشقّ عليهم لما فيه من الكلفة وتركِ
الرياسة والاعراضِ عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النُّجْح والفَرَج توكّلا
٢٠ على اللّه تعالى او بالصوم الّذى هو صبر عن المفطِرات لما فيه من كَسْر الشهوة وتصفية النفس والتوسّلِ
بالصلوة والالتجاء اليها فانّها جامعة لانواع العبادات النفسانيّة والبدنيّة من الطهارةِ وسَتْرِ العورة وصَرْفِ
المال فيهما والتوجّهِ الى الكعبة والعكوفِ على العبادة واظهارِ الخشوع بالجوارح واخلاصِ النيّة بالقلب
ومجاهدةِ الشيطان ومناجاةِ الحقّ وقراءةِ القران والتكلّمِ بالشهادتين وكفّ النفس عن الأَطْيَبَيْن حتّى
تُجابوا الى تحصيل المآرب وجَبْرِ المصائب روى انّه عم كان اذا حزبه امرٌ فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد
٢٥ بها الدعاء وَإِنَّهَا اى الاستعانةَ بهما او الصلوةَ وتخصيصُها بردّ الضمير اليها لعظمِ شأنها واستجماعِها
ضروبا من الصبر او جملةَ ما أُمروا بها ونُهوا عنها لَكَبِيرَةٌ لثقيلة شاقّة كقوله تعالى كَبُرَ على المشركين ما
تدعوهم اليه إِلَّا عَلَى ٱلْخَاشِعِينَ اى المخبتين والخشوعُ الإخبات ومنه الخَشْعة للرملة المتطامنة والخضوعُ
اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب (٤٣) ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ

جزء ١ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اى يتوقعون لقاء اللّه ونيل ما عنده او يتيقنون انّهم يُحشرون الى اللّه فيجازيهم
ركوع ٥ ويؤيّده انّ فى مصحف ابن مسعود يَعْلَمُونَ وكأنّ الظنّ لمّا شابه العلمَ فى الرُّجحان أُطْلق عليه
لتضمُّن معنى التوقّع قال اوس بن حجر

فأرسلته مستيقنَ الظنّ انّه مُخالطُ ما بين الشراسيف جائفُ

وانّما لم تَثْقل عليهم ثِقلَها على غيرهم فانّ نفوسهم مرتاضة بأمثالها متوقّعة فى مقابلتها ما يستحقر لاجله ٥
ركوع ٦ مَشاقّها ويستلذّ بسببه مَتاعبها ومن ثمّه قال عم وجُعلتْ قرّة عينى فى الصلوة (٤٤) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ كرّره للتوكيد وتذكير التفضيل الّذى هو اجلّ النعم خصوصا
وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها وأخلّ بحقوقها وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عطف على نعمتى عَلَى الْعَالَمِينَ
اى عالمى زمانهم يريد به تفضيلَ آبائهم الّذين كانوا فى عصر موسى عم وبعده قبل ان يُغيّروا بما
منحهم اللّه من العلم والايمان والعملِ الصالح وجَعْلِهم انبياء وملوكا مُقسطين ، واستدلّ به على تفضيل ١٠
البشر على الملَك وهو ضعيف (٤٥) وَاتَّقُوا يَوْمًا اى ما فيه من الحساب والعذاب لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا
لا تقضى عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نَصْبُه على المصدر وقرئ لا تُجْزِئُ من اجزأ
عنه اذا اغنى وعلى هذا تعيّنَ أن يكون مصدرا وايراده منكّرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلّى
والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف تقديره لا تجزى فيه ومن لم يجوّز حذف العائد المجرور قال
اتّسع فيه فحُذف عنه الجارّ وأُجْرى مجرى المفعول به ثمّ حذف كما حذف من قوله أَمْ مالٌ اصابوا ١٥
وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ اى من النفس الثانية العاصية او من الاولى وكانّه اريد بالآية
نفْىُ أن يدفع العذابَ احدٌ عن احد من كلّ وجهٍ محتملٍ فانّه امّا ان يكون قهرا او غيره والاوّل
النصرة والثانى امّا ان يكون مجّانا او غيره والاوّل ان يشفع له والثانى امّا باداء ما كان عليه وهو ان
يجزى عنه او بغيره وهو ان يعطى عنه عدلا ، والشفاعة من الشَّفْع كأنّ المشفوع له كان فَرْدًا فجعله
الشفيع شَفْعا بضمّ نفسه اليه ، والعَدْل الفِدْية وقيل البَدَل واصله التسوية سمّى به الفدية لانّها سُوّيت ٢٠
بالمفدىّ ، وقرأ ابن كثير وابو عمرو ولا تُقْبَلُ بالتاء وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ يُمْنَعون من عذاب اللّه تعالى
والضميرُ لما دلّت عليه النفس الثانية المنكّرة الواقعة فى سياق النفى من النفوس الكثيرة وتذكيرُه بمعنى
العِباد او الأَناسىّ ، والنُصْرة اخصّ من المعونة لاختصاصها بدفع الضرّ ، وقد تمسّكت المعتزلة بهذه الآية
على نفى الشفاعة لاهل الكبائر وأُجيب بانّها مخصوصة بالكفّار للآيات والاحاديث الواردة فى
الشفاعة ويؤيّده انّ الخطاب معهم والآية نزلت ردّا لما كانت اليهود تزعم انّ آباءهم تَشْفع لهم ٢٥
(٤٦) وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ تفصيل لما اجمله فى قوله اذكروا نعمتى الّتى انعمت عليكم وعطف
على نعمتى عَطْفَ جبريل وميكائيل على الملائكة ، وقرئ أَنْجَيْتُكُمْ ، واصلُ آل أَهْل لانّ تصغيره أُهَيْل
وخصّ بالاضافة الى أُولى الخَطَر كالانبياء والملوك ، وفِرْعَوْن لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لِمَلِكَي

الفرس والروم ولعتوّهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وكان فرعون موسى مصعب بن ريّان وقيل جزء ١
ابنه وليدًا من بقايا عاد وفرعون يوسف عم ريّان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يَسُومُونَكُمْ ركوع ٦
يبغونكم من سامه خسفًا اذا اولاه ظلمًا واصل السوم الذهاب فى طلب الشىء سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ افظعه فانّه
قبيح بالاضافة الى سائره ، والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم ، والجملة حال
٥ من الضمير فى نجّيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لانّ فيها ضمير كلّ واحد منهما
يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف، وقرئ يذبحون بالتخفيف ،
وانّما فعلوا بهم ذلك لانّ فرعون راى فى المنام او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يردّ
اجتهادهم من قدر اللّه شيئًا وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى
الانجاء واصله الاختبار لكن لمّا كان اختبار اللّه عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز
١٠ ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما مِّن رَّبِّكُمْ بتسليطهم عليكم او ببعث موسى
عم وتوفيقه لتخليصكم او بهما عَظِيمٌ صفة بلاء ، وفى الآية تنبيه على انّ ما يصيب العبد من خير او
شرّ اختبار من اللّه تعالى فعليه ان يشكر على مسارّه ويصبر على مضارّه ليكون من خير المختبرين
(٤٧) وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتّى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه او
بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله

١٥ تدوس بنا الجماجمَ والتريبا

وقرئ فرّقنا على بناء التكثير لانّ المسالك كانت اثنى عشر بعدد الاسباط فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ
اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانّه كان اولى به وقيل شخصه كما روى انّ الحسن كان
يقول اللّهمّ صلّ على آل محمّد اى شخصه واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ذلك اى
غرقهم وانطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة متذلّلة او جثثهم التى قذفها البحر الى
٢٠ الساحل او ينظر بعضكم بعضا روى انّه تعالى امر موسى ان يسرى ببنى اسرائيل فخرج بهم فصبّحهم
فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى اللّه اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهر فيه
اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح اللّه فيها كوى
فتراءوا وتسامعوا حتّى عبروا البحر ثمّ لمّا وصل اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم
عليهم واغرقهم اجمعين واعلم انّ هذه الواقعة من اعظم ما انعم اللّه تعالى به على بنى اسرائيل ومن
٢٥ الآيات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عم ثمّ انّهم اتّخذوا العجل وقالوا لن
نؤمن لك حتّى نرى اللّه جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل فى الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتّباع
عن امّة محمّد صلعم مع انّ ما تواتر من معجزاته امور نظريّة مثل القرآن والتحدّى به والفضائل المجتمعة
فيه الشاهدة على نبوّة محمّد صلعم دقيقة يدركها الاذكياء واخباره عم عنها من جملة معجزاته على
ما مرّ تقريره (٤٨) وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً لمّا عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد اللّه موسى ان

جزء ١ يعطيه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجّة وعبّر عنها بالليالى لانّها غُرَر الشهور ، وقرأ
ركوع ٦ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائىّ وَاعَدْنَا لانّه تعالى وعده الوَحْىَ ووعده موسى المجىء
للميقات الى الطور ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ إِلٰها او معبودا مِنْ بَعْدِهِ من بعد موسى اى مُضيّه وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ
باشراككم (٤٩) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ اى الاتّخاذ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ اى لكى تشكروا عفوه (٥٠) وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ وَٱلْفُرْقَانَ يعنى التورية الجامع بين ٥
كونه كتابا وحجّة تفرق بين الحقّ والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المُحِقّ والمُبْطِل
فى الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الّذى فرق بينه وبين
عدوّه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ لكى تهتدوا بتدبّر الكتاب والتفكّر
فى الآيات (٥١) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ
فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم برآءا من التفاوت ومميّزا بعضكم من بعض بصُوَرٍ وهيئات ١٠
مختلفة واصلُ التركيب لخلوص الشىء عن غيره امّا على سبيل التفصّى كقولهم برئ المريض من مرضه
والمَدْيونُ من دَيْنه او الانشاء كقولهم برأ اللّهُ آدمَ من الطين او فتوبوا فَٱقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ اتماما لتوبتكم
بالبخع او قطعِ الشهوات كما قيل من لم يعذّب نفسَه لم ينعّمها ومن لم يقتلها لم يُحْيِها وقيل أُمروا
ان يقتل بعضهم بعضا وقيل أُمِر من لم يعبد العجل ان يقتل العَبَدة روى انّ الرجل كان يرى بعضه
وقريبه فلم يقدر على المُضىّ لامر اللّه تعالى فارسل اللّه ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتلون ١٥
من الغداة الى العشىّ حتّى دعا موسى وهرون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين
الفا والفاء الاولى للتسبّب والثانية للتعقيب ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ من حيث انّه طُهْرة عن الشرك
ووُصْلة الى الحيوة الابديّة والبهجة السرمديّة فَتَابَ عَلَيْكُمْ متعلّق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى
لهم تقديره ان فعلتم ما أُمرتم فقد تاب عليكم وعطف على محذوف ان جعلته خطابا من اللّه
تعالى لهم على طريقة الالتفات كانّه قال ففعلتم ما أُمرتم فتاب عليكم بارئكم وذكرُ البارئ وترتيب ٢٠
الامر عليه اشعارٌ بانّهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتّى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقرة
الّتى هى مَثَلٌ فى الغباوة وأنّ من لم يعرف حقّ مُنْعِمه حقيقٌ بأنْ يُسْترَدّ منه ولذلك أُمروا بالقتل وفكّ
التركيب إِنَّهُ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ الّذى يُكْثِر توفيقَ التوبة او قبولَها من المذنبين ويبالغ فى الانعام
عليهم (٥٢) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ اى لاجل قولك او لن نُقرّ لك حَتَّى نَرَى ٱللّهَ جَهْرَةً عيانا
وهى فى الاصل مصدرُ قولك جَهَرْتَ بالقراءة استُعيرت للمعاينة ونصبُها على المصدر لانّها نوع من الرؤية او ٢٥
الحال من الفاعل او المفعول وقرئ جَهَرَةً بالفتح على انّها مصدر كالغَلَبة او جمع جاهر كالكَتَبة فتكون
حالا والقائلون هم السبعون الّذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة آلاف من قومه ، والمؤمَن به

جزء ١ ركوع ٦

أنّ الله الذى اعطاك التورية وكلّمك او انّك نبىّ فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّاعِقَةُ لفرط العناد والتعنّت وطلب المستحيل فانّهم ظنّوا انّه تعالى يُشْبِه الأجسام فطلبوا رؤيته رؤية الاجسام فى الجهات والأحياز المقابلة للرآئى وهو مُحال بل المُمْكن أن يُرى رؤيةً منزّهةً عن الكيفيّة وذلك للمؤمنين فى الآخرة والأفراد من الانبياء فى بعض الاحوال فى الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صَيْحة وقيل جنود

٥ سمعوا بحسيسها فخرّوا صَعِقين ميّتين يوما وليلة وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ما اصابكم بنفسه او أثره (٥٣) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ بسبب الصاعقة وقيّد البعث لانّه قد يكون من إغماء او نوم كقوله تعالى ثمّ بعثناهم لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ نعمة البعث او ما كفرتموه لمّا رأيتم بأس الله بالصاعقة (٥٤) وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ سخّر الله لهم السحاب يُظلّهم من الشمس حين كانوا فى التيه وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَى اى التَّرَنْجَبِين والسُّمانَى قيل كان ينزل عليهم المنّ مثل الثلج من الفجر الى الطلوع ويبعث الجنوب عليهم السمانى وينزل

١٠ بالليل عَمودُ نار يسيرون فى ضوئه وكانت ثيابهم لا تتّسخ ولا تَبْلَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ على ارادة القول وَمَا ظَلَمُونَا فيه اختصارٌ واصله فظلموا بأن كفروا هذه النعمة وما ظلمونا وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ بالكفران لانّه لا يتخطّاهم ضرّه (٥٥) وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا هٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ يعنى بيت المقدس وقيل اريحا أُمروا به بعد التيه فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا واسعا ونصبُه على المصدر او الحال من الواو وَٱدْخُلُوا ٱلْبَابَ اى باب القرية او القُبّة التى كانوا يصلّون اليها فانّهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حيوة موسى عم سُجَّدًا

١٥ متطأمنين مُخْبِتين او ساجدين لله تعالى شكرًا على إخراجهم من التيه وَقُولُوا حِطَّةٌ اى مسئلتنا او امرك حِطّةٌ وهى فِعلة من الحَطّ كالجِلْسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حُطّ عنّا ذنوبنا حِطّةً او على انّه مفعولُ قولوا اى قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حِطّةٌ اى أن نَحُطّ فى هذه القرية ونقيم بها نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ لسجودكم ودعائكم ، قرأ نافع بالياء وابن عامر بها على البناء للمفعول ، وخطايا اصله خَطَايِئُ كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان

٢٠ فابدلت الثانية ياء ثمّ قلبت ألفا وكانت الهمزة بين ألفَيْن فابدلت ياء وعند الخليل قدّمت الهمزة على الياء ثمّ فعل بهما ما ذكر وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ثوابا جعل الامتثال توبةً للمسيء وسببَ زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بأنّ المحسن بصدد ذلك وإن لم يفعله فكيف اذا فعله وأنّه تعالى يفعل لا محالة (٥٦) فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ بدّلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلبَ ما يشتهون من اعراض الدنيا فَأَنْزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا كرّره مبالغة

٢٥ فى تقبيح امرهم وإشعارا بأنّ الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه او على انفسهم بأن تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها رِجْزًا مِنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ عذابا مقدّرا من السماء بسبب فسقهم ، والرجز فى الاصل ما يُعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضمّ وهو لغة فيه والمراد به

جزء ١ الطاعون روى انّه مات فى ساعة اربعة وعشرون الفا (٥٧) وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ لمّا عطشوا فى التيه
ركوع ٧ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ اللام فيه للعهد على ما روى انّه كان حجرا طوريّا مكعّبا حمله معه
وكانت تنبع من كلّ وجه ثلاث اعين تسيل كلّ عين فى جدول الى سِبْط وكانوا ستّمائة الف وسعة
المعسكر اثنا عشر ميلا او حجرا اهبطه آدم من الجنّة ووقع الى شُعَيب فاعطاه لموسى مع العصا او الحجرَ
الّذى فرّ بثوبه لمّا وضعه عليه ليغتسل وبرّأه اللّه به عمّا رموه به من الأُدْرة فاشار اليه جبريل بحَمْله او ٥
للجنس وهذا اظهرُ فى الحجّة قيل لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه ولكن لمّا قالوا كيف بنا لو افضينا
الى ارض لا حجارة بها حَمَلَ حجرا فى مِخْلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه به اذا ارتحل فييبس
فقالوا إنْ فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى اللّه تعالى اليه لا تَقْرَع الحجارة وكلّمها تُطعْك لعلّهم
يعتبرون وقيل كان الحجر من رُخام وكان ذراعا فى ذراع والعصا عشرة اذرع فى طول موسى مِنْ آس
الجنّة وله شُعْبتان تتّقدان فى الظلمة فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا متعلّق بمحذوف تقديره فإنْ ضَرَبْتَ ١٠
فقد انفجرت او فضرب فانفجرت كما مرّ فى قوله تعالى فتاب عليكم ، وقرئ عَشِرَةَ بكسر الشين وفتحها
وهما لغتان فيه قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ كلّ سبط مَّشْرَبَهُمْ عينهم الّتى يشربون منها كُلُوا وَٱشْرَبُوا على تقدير القول
مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ يريد به ما رزقهم من المنّ والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانّه يُشْرَب ويُؤكَل ممّا
ينبت به وَلَا تَعْثَوْا فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ لا تعتدوا حالَ افسادكم وانّما قيّده لانّه وإنْ غلب فى الفساد
قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدى بفعله ومنه ما يتضمّن صلاحا راجحا كقتل الخَضِر ١٥
الغلامَ وخَرْقه السفينة ويقرب منه العَيْث غير انّه يغلب فيما يُدْرَك حسّا ، ومَنْ انكر امثال هذه
المعجزات فلغاية جهله باللّه تعالى وقلّة تدبّره فى عجائب صُنْعه فانّه لمّا امكن ان يكون من الاحجار ما
يحلق الشعرَ وينفر عن الخلّ ويجذب الحديدَ لم يمتنع ان يخلق اللّه تعالى حجرا يسخّره لجذب الماء من
تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب وتصييره ماء بقوّة التبريد ونحو ذلك (٥٨) وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ
لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ يريدون به ما رزقوا فى التيه من المنّ والسلوى وبوحدته انّه لا يختلف ولا يتبدّل ٢٠
كقولهم طعامُ مائدة الامير واحد يريدون انّه لا يتغيّر الوانه ولذلك أجموا او ضَرْبٌ واحدٌ لانّهما معا
طعامُ اهل التلذّذ وهم كانوا فَلّاحةً فنزعوا الى عِكْرهم واشتهوا ما ألِفوه فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ سَلْه لنا بدعائك ايّاه
يُخْرِجْ لَنَا يُظْهِر ويُوجِد وجَزْمه بانّه جوابُ فَٱدْعُ فانّ دعوته سبب الاجابة مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ من الاسناد
المَجازىّ واقامة القابل مقامَ الفاعل ، ومن للتبعيض مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا تفسيرٌ
وبيانٌ وقعَ موقعَ الحال وقيل بدلٌ باعادة الجارّ ، والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمرادُ به أطايبه الّتى ٢٥
تؤكل ، والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فَوِّموا لنا وقيل الثوم ، وقرئ قُثّآئها بالضمّ وهى لغة فيه
قَالَ اى اللّه تعالى او موسى أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ أقرب منزلةً وأدْوَن قدرا واصلُ الدنوّ القرب فى
المكان فاستعير للخسّة كما استعير البعد فى الشرف والرفعة فقيل بعيد الهمّة بعيد المحلّ وقرئ أدْنأُ من

الخفاءة بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ يريد به المنّ والسلوى فانّه خير فى اللذّة والنفع وعدم الحاجة الى السعى ٱهْبِطُوا جزء ١
مِصْرًا انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادىَ اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضمّ ، ركوع ٧
والمصر البلد العظيم واصلُه الحدّ بين الشيئين وقيل اراد به العَلَم وانّما صرفه لسكون وسطه او على
تأويل البلد ويؤيّده انّه غير منوّن فى مصحف ابن مسعود وقيل اصله مِصْرائيم فعُرّب فَإِنَّ لَكُمْ مَا
سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ أُحيطت بهم احاطةَ القُبّة بمن ضُربت عليه او أُلصقت بهم
من ضَرَبَ الطينَ على الحائط مجازاةً لهم على كفران النعمة واليهود فى غالب الامر اذلّاء مساكين امّا
على الحقيقة او على التكلّف مخافة أن تضاعف جزيتهم وَبَآءُوا بِغَضَبٍ مِنَ ٱللَّهِ رجعوا به او صاروا احقّاء
بغضبه من بآء فلانٌ بفلان اذا كان حقيقا بأن يقتل به واصل البَوْء المساواة ذٰلِكَ اشارة الى ما سبق
من ضرب الذلّة والمسكنة والبوء بالغضب بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّينَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ
١٠ بسبب كفرهم بالمعجزات الّتى من جُمْلتها ما عُدّ عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المنّ والسلوى
وانفجار العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والفرقان وآية الرجم والّتى فيها نعت محمّد
صلعم من التورية وقتلهم الانبياء فانّهم قتلوا شَعْياء وزكريّاء ويحيى وغيرهم بغير الحقّ عندهم اذ
لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانّما حملهم على ذلك اتّباع الهوى وحبّ الدنيا كما اشار اليه
بقوله ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ اى جرّهم العصيان والتمادى والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات
١٥ وقتل النبيّين فانّ صغار الذنوب سبب يؤدّى الى ارتكاب كبارها كما انّ صغار الطاعات اسباب مؤدّية الى
تحرّى كبارها وقيل كرّر الاشارة للدلالة على انّ ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب
ارتكابهم المعاصى واعتدائهم حدودَ اللّه وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانّما جُوّزت
الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تاويل ما ذُكر او تقدّم للاختصار ونظيره فى الضمير قول رُؤْبة
يصف بقرة

٢٠ فيها خطوطٌ من سوادٍ وبَلَقْ كأنّه فى الجلد توليعُ البَهَقْ

والّذى حسّن ذلك أنّ تثنية المُضْمَرات والمُبْهَمات وجمعها وتانيثها ليست على الحقيقة ولذلك جاء
الّذى بمعنى الجمع (٥٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بألسنتهم يريد به المتديّنين بدين محمّد صلعم المخلصين منهم
والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم فى سلك الكفرة وَٱلَّذِينَ هَادُوا تهوّدوا يقال هاد وتهوّد اذا دخل فى
اليهوديّة ويهود امّا عربىّ من هاد اذا تاب سمّوا بذلك لمّا تابوا من عبادة العجل وامّا معرّب يَهُوذا كانّهم
٢٥ سمّوا باسم اكبر اولاد يعقوب عم وَٱلنَّصَارَى جمع نَصْران كندامى ونَدْمان والياء فى نصرانىّ للمبالغة
كما فى أَحْمَرِىّ سمّوا بذلك لانّهم نصروا المسيح او لانّهم كانوا معه فى قرية يقال لها نصران او ناصرة فسمّوا
باسمها او من اسمها وَٱلصَّابِئِينَ قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عم وقيل هم عَبَدة
الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيّا فمن صَبَأَ اذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء امّا لانّه

جزء ١ خفف الهمزة او لانّه من صَبَا اذا مال لانّهم مالوا من سائر الاديان الى دينهم او من الحقّ الى الباطل
ركوع ٧ مَنْ آمَنَ بِٱللّٰهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا من كان منهم فى دينه قبل ان نُسخ مصدّقا بقلبه بالمبدأ
والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل فى الاسلام دخولا صادقا
فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ الذى وعد لهم على ايمانهم وعملهم وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ حين يخاف
٥ الكفّار من العقاب ويحزن المقصّرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومَنْ مبتدأٌ خبره فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
والجملة خبرُ إنّ او بدلٌ من اسمِ إنّ وخبرُها فلهم اجرهم والفاء لتضمّن المُسْنَد اليه معنى الشرط وقد
منع سيبويه دخولها فى خبرِ إنّ من حيث انّها لا تدخل الشرطيّةَ ورُدّ بقوله تعالى إنّ الّذين فتنوا
المؤمنين والمؤمنات ثمّ لم يتوبوا فلهم عذاب جهنّم (٦٠) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ باتّباع موسى والعمل
بالتورية وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ حتّى أُعْطيتم الميثاق روى انّ موسى عم لمّا جاءهم بالتورية فرأوا ما
١٠ فيها من التكاليف الشاقّة كَبُرت عليهم وأبوا قبولها فامر جبريل فقلع الطور وظلّله فوقهم حتّى قبلوا
خُذُوا على ارادة القول مَا آتَيْنَاكُمْ من الكتاب بِقُوَّةٍ بجدّ وعزيمة وَٱذْكُرُوا مَا فِيهِ ادرسوه ولا تنسوه او
تفكّروا فيه فانّه ذكرٌ بالقلب او اعملوا به لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ لكى تتّقوا المعاصى او رجاء منكم ان تكونوا
متّقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلّق بالقول المحذوف اى قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتّقوا
(٦١) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ

١٥ بتوفيقكم للتوبة او بمحمّد صلعم يدعوكم الى الحقّ ويهديكم اليه لَكُنْتُمْ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ المغبونين
بالانهماك فى المعاصى او بالخبط والضلال فى فترة من الرسل ، ولَوْ فى الاصل لامتناع الشىء لامتناع غيره فاذا
دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشىء لثبوت غيره والاسمُ الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبرُه
واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسدّ الجواب مسدّه وعند الكوفيّين فاعلُ فعلٍ محذوف وَلَقَدْ
عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ اللام موطّئة للقسم ، والسبت مصدرُ سَبَتَت اليهودُ اذا عظّمت
٢٠ يومَ السبت واصله القطع أُمِروا بان يجرّدوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم فى زمن داود عم واشتغلوا
بالصيد وذلك انّهم كانوا يسكنون قرية على ساحل يقال لها أَيْلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت
فى البحر الّا حضر هناك واخرج خرطومه فاذا مضى تفرّقت فحفروا حياضا وشرّعوا اليها الجداول فكانت

الحيتانُ تدخلها يومَ السبت فيصطادونها يومَ الاحد فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ جامعين بين صورة
القردة والخسوء وهو الصَغار والطرد وقال مجاهد ما مُسخت صُوَرهم ولكن قلوبهم فمُثّلوا بالقردة كما
٢٥ مُثّلوا بالحمار فى قوله تعالى كمثل الحمار يحمل أسفارا ، وقوله كونوا ليس بأمر اذ لا قدرة لهم عليه وانّما
المراد به سرعة التكوين وانّهم صاروا كذلك كما اراد بهم ، وقرئ قَرِدَةً بفتح القاف وكسر الراء وخاسِينَ
بغير همزة (٦٢) فَجَعَلْنَاهَا اى المسخة او العقوبة نَكَالًا عبرةً تنكّل المعتبرَ بها اى تمنعه ومنه النِّكْل للقيد
لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا اى لما قبلها وما بعدها من الأُمم اذ ذكرت حالهم فى زُبُر الاوّلين واشتهرت

قصّتهم فى الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما يتباعد عنها او لاهل جزء ١ تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدّم عليها من ذنوبهم وما تأخّر عنها وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ من قومهم ركوع

او لكلّ متّقٍ سمعها (٦٣) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً اوّل هذه القصّة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادّارأتم فيها وانّما فُكّت عنه وقدّمت عليه لاستقلالها بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء فى السؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصّته انّه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا فى ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثمّ جاؤا يطالبون بدمه فامرهم اللّه ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبر بقاتله قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا مكان هزء او اهله او مهزوءا بنا او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضمّ وقلب الهمزة واوا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ لانّ الهزء فى مثل ذلك جهلٌ وسفهٌ

١٠ نفى عن نفسه ما رُمى به على طريقة البرهان واخرج ذلك فى صورة الاستعاذة استفظاعا له قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ اى ما حالها وصفتها وكان حقّه ان يقولوا اىّ بقرة هى او كيف هى لانّ ما يسأل به عن الجنس غالبا لكنّهم لمّا رأوا ما امروا به على حالٍ لم يوجد بها شىء من جنسه أجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ لا مسنّة ولا فتيّة يقال فرضت البقرة فُروضا من الفَرْض وهو القطع كانّها فرضت سنّها ، وتركيب البكر للاوّليّة ومنه البكرة والباكورة

١٥ عَوَانٌ نَصَفٌ قال

نواعمُ بَيْنَ أَبْكارٍ وعُونِ

بَيْنَ ذَلِكَ اى بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانّه لا يضاف الّا الى متعدّد ، وعَوْدُ هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدلّ على انّ المراد بها معيّنة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم انّ المراد بها بقرةٌ من شقّ البقر غيرُ مخصوصة ثمّ انقلبت مخصوصة

٢٠ بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فانّ التخصيص ابطالٌ للتخيير الثابت بالنصّ والحقّ جوازهما ويؤيّد الرأى الثانى ظاهرُ اللفظ والمروىُّ عنه عم لو ذبحوا اىّ بقرة ارادوا لأجزأتهم ولكن شدّدوا على انفسهم فشدّد اللّه عليهم وتقريعهم بالتمادى وزجرُهم عن المراجعة بقوله فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ اى ما تؤمرونه بمعنى ما تؤمرون به من قوله

أَمَرْتُكَ الخيرَ فافعل ما أُمِرْتَ به

٢٥ او أَمْرَكم بمعنى مأمورِكم (٦٤) قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا الفقوع نصوع الصفرة ولذلك يؤكّد به فيقال أَصْفَرُ فاقعٌ كما يقال أَسْوَدُ حالكٌ وفى اسناده الى اللون وهو صفةُ صفراء لملابسته بها فضلُ تأكيد كانّه قيل صفراء شديدةُ الصفرة صفرتُها وعن الحسن سوداء

جزء ١ شديدة السواد وبه فسّر قوله تعالى جمالات صُفْرٌ قال الاعشى
ركوع ٨ تلك خيلي منه وتلك ركابي هنّ صُفْرٌ اولادها كالزبيب

ولعلّه عبّر بالصفرة عن السواد لانّها من مقدّماته او لانّ سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظرٌ لانّ الصفرة بهذا المعنى لا تؤكّد بالفقوع تَسُرُّ ٱلنَّاظِرِينَ اى تعجبهم والسرور اصله لذّة في القلب عند حصول نفع او توقّعه من السرّ (٦٥) قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ تكرير للسؤال الاوّل واستكشاف زائد وقوله إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا اعتذار عنه اى انّ البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثيرٌ فاشتبه علينا وقرئ انّ ٱلبَاقِرَ وهو اسم لجماعة البقر وٱلأَبَاقِرَ وٱلْبَوَاقِرَ ويَتَشَابَهُ وتَتَشَابَهُ بالياء والتاء وتَشَابَهُ ويَشَّابَهُ وتَشَّابَهُ بطرح التاء وادغامها على التذكير والتأنيث وتَشَابَهَتْ وتَشَّابَهَتْ مخففا ومشدّدا وتَشَبَّهَ بمعنى تتشبّه وتَشَبَّهَ بالتذكير ومُتَشَابِهٌ ومُتَشَابِهَةٌ ومُتَشَبِّهٌ ومُتَشَبِّهَةٌ وَإِنَّا إِنْ شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ الى المراد ذبحها او الى القاتل وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بُيّنت لهم آخرَ الابد واحتجّ به اصحابنا على انّ الحوادث بارادة الله ١٠ تعالى وانّ الامر قد ينفكّ عن الارادة والّا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة وأُجيبَ بانّ التعليق باعتبار التعلّق (٦٦) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي ٱلْحَرْثَ اى لم تذلّل لكراب الارض وسقي الحرث ولا ذلولٌ صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتأكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانّه قيل لا ذلولٌ مثيرةٌ وساقيةٌ وقرئ لا ذَلولَ بالفتح اى حيث هي كقولك مررت برجلٍ لا بخيلٍ ولا جبانٍ اى حيث هو وتُسقي من أسقى مُسَلَّمَةٌ سلّمها الله تعالى من العيوب ١٥ او اهلها من العمل او أُخلص لونها من سَلِمَ له كذا اذا خلص له لَا شِيَةَ فِيهَا لا لون فيها يخالف لونَ جلدها وهي في الاصل مصدرُ وَشاهُ وَشْيا وشِيَةً اذا خلط بلونه لونا آخر قَالُوا ٱلْآنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ اى بحقيقة وصف البقرة وحقّقتها لنا وقرئ آلْآنَ بالمدّ على الاستفهام وَالَانَ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فَذَبَحُوهَا فيه اختصار والتقدير فحصّلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ لتطويلهم وكثرة مراجعتهم او لخوف الفضيحة في ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روى انّ شيخا صالحا منهم كان ٢٠ له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهمّ انّي استودعكها لابني حتّى يكبر فشبّت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيمَ وأُمَّه حتّى اشتروها بملء مَسْكها ذهبا وكانت البقرة اذذاك بثلثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وُضع لدنوّ الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انّه كسائر الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انّهم ما قاربوا ان يفعلوا حتّى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعلّلاتهم ففعلوا كالمضطرّ الملجأ الى ٢٥ الفعل (٦٧) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا خطاب الجمع لوجود القتل فيهم فَٱدَّٰرَأْتُمْ فِيهَا اختصمتم في شأنها اذ
ركوع ٩ المتخاصمون يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح كلٌّ قتلها عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم

فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ مُظْهِره لا محالة واُعمل جزء ١
مُخرِج لانّه حكاية مستقبل كما اعمل باسطٌ ذِراعَيْه لانّه حكاية حال ماضية (٦٨) فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ عطف رکوع ٩
على ادّارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تأويل الشخص او القتيل بِبَعْضِهَا
أيّ بعض كان وقيل بأصغرَيْها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعَجْب
٥ كَذَٰلِكَ يُحْيِي ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ يدلّ على ما حُذف وهو فضربوه فحيي والخطابُ مع من حضر حيوة القتيل او
نزول الآية وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ دلائله على كمال قدرته لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ لكى يكمل عقلكم وتعلموا انّ من قدر
على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلّها او تعملوا على قضيّته ولعلّه تعالى انّما لم يُحْيِه ابتدا
وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرّب واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكّل والشفقة
على الاولاد وأنّ من حقّ الطالب أنْ يقدّم قُرْبةً والمتقرّب أنْ يتحرّى الاحسنَ ويغالى بثمنه كما روى عن
١٠ عمر رضه انّه ضحّى بنجيبة بثلثمائة دينار وأنّ المؤثر في الحقيقة هو اللّه تعالى والاسباب أماراتٌ لا أثر لها
وأنّ من اراد ان يعرف اعدى عدوّه الساعى في اماتته الموتَ الحقيقىّ فطريقه ان يذبح بقرةَ نفسه التى
هى القوّة الشهويّة حين زال عنها شرَهُ الصِبَى ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت مُعْجبة رائقة المنظر غير
مذلّلة في طلب الدنيا مسلّمة عن دنسها لا سِمَةَ بها من مَقابحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيا حيوة
طيّبة ويُعرِب عمّا به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارء والنزاع (٦٩) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم
١٥ القسوة عبارة عن الغِلَظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مَثَل في نُبُوّه عن الاعتبار • وثمّ
لاستبعاد القسوة مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ يعنى احياء القتيل او جميع ما عدّد من الآيات فانّها ممّا يوجب لين
القلب فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ في قسوتها أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً منها والمعنى انّها في القسوة مثل الحجارة او زائدة عليها
او انّها مثلها او مثل اشدّ منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة
الحسن بالجرّ عطفا على الحجارة وانّما لم يقل أقسَى لما في اشدّ من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين
٢٠ واشتمال المفضّل على زيادة • وأَوْ للتخيير او للترديد بمعنى انّ من عرف حالها شبّهها بالحجارة او بما هو
اقسى منها وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا
لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ تعليل للتفضيل والمعنى انّ الحجارة تتأثّر وتنفعل فانّ منها ما يتشقّق فينبع
منه الماء ويتفجّر منه الانهار ومنها ما يتردّى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد اللّه تعالى به وقلوبُ هؤلاء لا
تتأثّر ولا تنفعل عن امره • والتفجّر التفتّح بسعة وكثرة • والخشية مجاز عن الانقياد • وقرئ انْ على انّها
٢٥ المخفّفة من الثقيلة ويلزمها اللام الفارقة بينها وبين النافية ويَهْبُط بالضمّ وَمَا ٱللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
وعيد على ذلك • وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وابو بكر بالياء ضمّا الى ما بعده والباقون بالتاء
(٧٠) أَفَتَطْمَعُونَ الخطاب لرسول اللّه صلعم والمؤمنين أنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ ان يحدثوا لكم التصديق او يؤمنوا

جزء ١ لاجل دعوتكم يعنى اليهود وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ طائفة من أسلافهم يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ يعنى التورية
ركوع ٩ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ كنعت محمّد صلعم وآية الرجم او تأويله ويفسّرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين
المختارين سمعوا كلام اللّه حين كلّم موسى عم بالطور ثمّ قالوا سمعنا اللّه يقول فى آخره إن استطعتم
أن تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وإن شئتم فلا تفعلوا مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ اى فهموه بعقولهم ولم يبق
لهم فيه ريبة وَهُمْ يَعْلَمُونَ انّهم مُفْتَرون مُبْطِلون ومعنى الآية انّ أحبار هؤلاء ومقدّميهم كانوا على هذه ٥
الحالة فما طَمَعُكم بسَفِلتهم وجُهّالهم وانّهم إن كفروا وحرّفوا فلهم سابقة فى ذلك (٧١) وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ آمَنُوا
يعنى منافقيهم قَالُوا آمَنَّا بأنّكم على الحقّ ورسولكم هو المبشّر به فى التورية وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا
اى الّذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ بما بيّن لكم فى التورية
من نعت محمّد صلعم او الّذين نافقوا لأعقابهم اظهارا للتصلّب فى اليهوديّة ومنعا لهم عن ابداء ما
وجدوا فى كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهامُ على الاوّل تقريع وعلى الثانى انكار ونهى لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ١٠
ليحتجّوا عليكم بما انزل ربّكم فى كتابه جعلوا محاجّتهم بكتاب اللّه وحُكْمه محاجّةً عنده كما يقال عند
اللّه كذا ويراد به انّه جاء فى كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربّكم او بين يدى رسول ربّكم وقيل
عند ربّكم فى القيٰمة وفيه نَظَرٌ اذ الاخفاء لا يدفعه أَفَلَا تَعْقِلُونَ امّا تمام كلام اللائمين وتقديره افلا
تعقلون انّهم يحاجّونكم به فيحاجّونكم او خطاب من اللّه للمؤمنين متّصل بقوله افتطمعون والمعنى
افلا تعقلون حالهم وأنّ لا مطمع لكم فى ايمانهم (٧٢) أَوَلَا يَعْلَمُونَ يعنى هؤلاء المنافقين او اللائمين ١٥
او كليهما او ايّاهم والمحرّفين أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ومن جملتهما إسرارُهم الكفر واعلانُهم
الايمان واخفاء ما فتح اللّه عليهم واظهارُ غيره وتحريفُ الكلم عن مواضعه ومعانيه (٧٣) وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا
يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَابَ جَهَلة لا يعرفون الكتابةَ فيطالعوا التورية ويتحقّقوا ما فيها او التوريةَ إِلَّا أَمَانِيَّ استثناء
منقطع ، والأمانىّ جمع أُمْنيّة وهى فى الاصل ما يقدّره الانسان فى نفسه من مَنَى اذا قدّر ولذلك تطلق
على الكذب وعلى ما يُتمنّى وما يُقرأ والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرّفين او ٢٠
مواعيدَ فارغةً سمعوها منهم مِنْ أنّ الجنّة لا يدخلها إلّا من كان هودا وانّ النار لن تمسّهم إلّا
ايّاما معدودة وقيل إلّا ما يقرؤن قراءةً عاريةً عن معرفة المعنى وتدبُّره من قوله

تمنّى كتابَ اللّه اوّلَ ليلهِ تمنّىَ داودَ الزبورَ على رِسْلِ

وهو لا يناسب وصفهم بانّهم امّيّون وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ما هم إلّا قومٌ يظنّون لا عِلْمَ لهم وقد يُطْلَق
الظنّ بإزاء العلم على كلّ رأيٍ واعتقادٍ من غيرِ قاطعٍ وإنْ جَزَمَ به صاحبُه كاعتقاد المقلّد والزائغ عن ٢٥
الحقّ بشبهة فَوَيْلٌ اى تحسّر وهُلْك ومن قال انّه وادٍ او جبل فى جهنّم فمعناه انّ فيها موضعا يتبوّأ فيه

من جُعِل له الويل ولعلّه سمّاه بذلك مجازا وهو فى الاصل مصدرٌ لا فِعْلَ له وانّما ساغ الابتداء به نكرةً جوع
لانّه دُعاء لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ يعنى المحرّفين ولعلّه اراد به ما كتبوه من التأويلات الزائغة بِأَيْدِيهِمْ ركوع
تأكيد كقولك كتبته بيمينى ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا يحصّلوا به عرضا من
اعراض الدنيا فانّه وان جلّ قليلٌ بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدائم فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ
٥ يعنى المحرّف وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ يريد به الرُّشى (٧٤) وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ المسّ ايصال الشيء
بالبشرة بحيث تتأثّر الحاسّة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال أَلْمِسُه فلا أَجِده إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً
محصورة قليلة رُوى انّ بعضهم قالوا نعذّب بعدد ايّام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدّة
الدنيا سبعة آلاف سنة وانّما نعذّب مكانَ كلّ الف سنة يوما قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ ٱللَّهِ عَهْدًا خبرا او
وعدا بما تزعمون ، وقرأ ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه فَلَنْ يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُ جوابُ
١٠ شرطٍ مقدَّرٍ اى إن اتّخذتم عند اللّه عهدا فلن يخلف اللّه عهده وفيه دليل على انّ الخُلْف فى خبره
محال أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَمْ معادلةٌ لهمزة الاستفهام بمعنى أَىُّ الامرين كائن على سبيل
التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعةٌ بمعنى بل اتقولون على التقرير والتقريع (٧٥) بَلَىٰ اثبات لما نفوه
من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجهٍ اعمّ ليكون كالبرهان على بطلان قولهم
وتختصّ بجواب النفى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انّها قد تقال فيما يُقصد
١٥ بالذات والخطيئة تغلب فيما يُقصد بالعرض لانّها من الخطأ ، والكَسْب استجلاب النفع وتعليقه بالسيّئة
على طريقة فبشّرهم بعذاب اليم وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ اى استولت عليه وشملت جملةَ احواله حتّى
صار كالمُحاط به لا يخلو عنها شىءٌ من جوانبه وهذا انّما يصحّ فى شأن الكافر لانّ غيره وان لم يكن
له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تُحِطْ الخطيئة به ولذلك فسّرها السَّلَف بالكفر وتحقيق
ذلك أنّ من اذنب ذنبا ولم يُقلع عنه استجرّه الى معاودة مثله والانهماكِ فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتّى
٢٠ يستولى عليه الذنوب وتأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصى مستحسنا ايّاها معتقدا انّ
لا لذّة سواها مُبْغِضا لمن يمنعه عنها مكذّبا لمن ينصحه فيها كما قال اللّه تعالى ثمّ كان عاقبة الّذين
اساؤا السوأى ان كذّبوا بآيات اللّه ، وقرأ نافع خَطِيئَاتُهُ وقرئ خَطِيَّتُهُ وخَطِيَّاتُهُ على القلب والادغام
فيهما فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ ملازموها فى الآخرة كما انّهم يلازمون اسبابها فى الدنيا هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
دائمون او لابثون لبثا طويلا والآية كما ترى لا حجّة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا الّتى
٢٥ قبلها (٧٦) وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ جرت عادته سبحانه
وتعالى على ان يشفع وَعْدَه بوعيده لتُرجَى رحمته ويُخشَى عذابه ، وعطف العمل على الايمان يدلّ على
خروجه عن مُسمّاه (٧٧) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ إخبار بمعنى النهى كقوله ركوع ١٠

جزء ١ تعالى ولا يضارّ كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهى لما فيه من ايهام انّ المنهىّ مسارع الى الانتهاء
ركوع ١٠ فهو مخبر عنه ويعضده قراءة لَا تَعْبُدُوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره أَنْ لا يعبدوا فلمّا حُذف أَنْ رُفع كقوله

أَلَا أَيُّهٰذَا الزاجِرِى أَحْضُرَ ٱلْوَغَا

ويدلّ عليه قراءة أَنْ لَا تَعْبُدُوا فيكون بدلا عن الميثاق او معمولا له بحذف الجارّ وقيل انّه جواب
قسم دلّ عليه المعنى كانّه قال وحلّفناهم لا يعبدون وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب
بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لانّهم غُيَّب وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا متعلّق بمضمر تقديره
ويُحْسِنون او أَحْسِنوا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ عطف على الوالدين ، ويَتامَى جمع يَتيم
كنَديم ونَدامَى وهو قليل ، ومِسْكِين مِفْعِيل من السكون كأنّ الفقر أَسْكَنَهُ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا اى قولا
١٠ حَسَنا وسمّاه حُسْنا للمبالغة وقرأ حمزة والكسائىّ ويعقوب حَسَنًا بفتحتين وقرئ حُسُنًا بضمّتين
وهو لغة اهل الحجاز وحُسْنَى على المصدر كبُشْرَى والمراد به ما فيه تخلّق وارشاد وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَآتُوا ٱلزَّكَوٰةَ
يريد بهما ما فرض عليهم فى ملّتهم ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ على طريقة الالتفات ولعلّ الخطاب مع الموجودين منهم
فى عهد رسول اللّه صلعم ومَنْ قبلهم على التغليب اى اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ
يريد به من اقام اليهوديّة على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ قومٌ عادتكم الاعراض
١٥ عن الوفاء والطاعة واصلُ الإعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة العُرْض (٧٨) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا
تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرّض بعضهم
بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن وانّما جعل قتل الرجلِ غيرَه قتل نفسه لاتّصاله به نسبا او دينا او
لانّه يوجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يُبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا
ما يُرْديكم ويصرفكم عن الحيوة الابديّة فانّه القتل فى الحقيقة ولا تقترفوا ما تُمْنَعون به عن الجنّة الّتى هى
٢٠ داركم فانّه الجلاء الحقيقىّ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ بالميثاق واعترفتم بلزومه وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ توكيد كقولك اقرّ
فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايّها الموجودون تشهدون على اقرار أَسلافكم فيكون اسناد الاقرار
اليهم مجازا (٧٩) ثُمَّ أَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرارِ به والشهادة عليه وانتم مبتدأ
وهؤلاء خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقصون كقولك انت ذلك الرجل الّذى فعل كذا نزّل
تغيّر الصفة منزلةَ تغيّر الذات وعدّهم باعتبارِ ما اسند اليهم حُضورا وباعتبارِ ما سيُحكى عنهم غُيّبا
٢٥ وقوله تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ امّا حال والعامل فيها معنى الاشارة او
بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تأكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الّذين والجملة صلته والمجموع هو
الخبر ، وقرئ تُقَتِّلُونَ على التكثير تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ حال من فاعلِ تخرجون او مفعوله

جزء ١ — او كليهما ، والتظاهر التعاون من الظهر وقرأ عاصم والكسائي وحمزة بحذف احدى التائين وقرئ
ركوع — باظهارها وتظهرون بمعنى تتظهرون وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ روى انّ قريظة كانوا حلفاء الأوس
والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كلّ فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا
أُسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه إن يأتوكم اسارى في ايدى الشياطين تتصدّوا
لانقاذهم بالإرشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله تعالى أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون انفسكم وقرأ
حمزة أَسْرَى وهو جمع أَسِير كجَرِيح وجَرْحَى وأُسَارَى جمعه كسَكْرَى وسُكَارَى وقيل هو ايضا
اسير وكانّه شبّه بالكسلان، وجُمع جَمْعَه ، وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تَفْدُوهُمْ
وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ متعلّق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض ،
والضمير للشأن او مُبْهَم يفسّره إخراجهم او راجع الى ما دلّ عليه تخرجون من المصدر وإخراجهم
١٠ بدل او بيان أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ يعنى الفداء وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ يعنى حرمة المقاتلة والاجلاء
فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب
الجزية على غيرهم ، واصل الخزى ذلّ يستحيى منه ولذلك يستعمل في كلّ منهما وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ
الْعَذَابِ لانّ عصيانهم اشدّ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ تأكيد للوعيد اى الله سبحانه وتعالى بالمرصاد
لا يغفل عن افعالكم ، وقرأ عاصم في رواية المفضّل تُرَدّون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع وعاصم في
١٥ رواية ابى بكر وخلف ويعقوب يعملون على انّ الضمير لمن (٨٠) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَوةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ
آثروا الحيوة الدنيا على الآخرة فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب في الآخرة
ركوع ١١ — وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ بدفعهما عنهم (٨١) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ اى التورية وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ اى
ارسلنا على اثره الرسل كقوله ثمّ ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا تبعه وقفّاه به اذا أتبعه ايّاه من القفا
نحو ذنّبه من الذنب وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه
٢٠ والابرص والإخبار بالمغيّبات او الانجيل ، وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية
من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة

قلت لزير لم تصله مريمه

ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وَأَيَّدْنَاهُ قوّيناه وقرئ آيدناه بِرُوحِ الْقُدُسِ بالروح المقدّسة كقولك
حاتم الجود ورجل صدق واراد به جبريل وقيل روح عيسى عم ووصفها به لطهارته عن مسّ الشيطان
٢٥ او لكرامته على الله ولذلك اضافه الى نفسه او لانّه لم تضمّه الاصلاب ولا ارحام الطوامث او الانجيل او
اسم الله الاعظم الذى كان يحيى به الموتى وقرأ ابن كثير القُدْس بالاسكان في جميع القرآن
أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ بما لا تحبّ يقال هَوِيَ بالكسر هَوًى اذا احبّ وهَوَى بالفتح

جزء ١ ركوع ١١

قوبًا بالضمّ سقط ، وُسّطت الهمزة بين الفاء وما تعلّقت به توبيخًا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا وتعجيبا من شأنهم ويحتمل ان يكون استينافا والفاء للعطف على مقدّر أَسْتَكْبَرْتُمْ عن الايمان واتّباع الرسل فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ كموسى وعيسى عليهما السلام والفاء للسببيّة او التفصيل وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ كزكريّاء ويحيى عليهما السلام وانّما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها فى النفوس فانّ الامر فظيع او مراعاةً للفواصل او للدلالة على انّكم بعدُ فيه فانّكم حَوْل قتل محمّد لولا انّى أُعصمه منكم ٥
ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة (٨٢) وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ مغشّاة بأغطية خِلْقيّة لا يصل اليها ما جئت به ولا تفقهه مستعار من الأَغْلَف الّذى لم يُختَن وقيل اصله غُلُف جمع غِلاف فخُفِّف والمعنى انّها أَوعية للعلم لا تسمع علما الّا وَعَتْه ولا تَعِي ما تقول او نحن مستغنون بما فيها عن غيره بَلْ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ردٌّ لما قالوه والمعنى انّها خُلقت على الفطرة والتمكّن من قبول الحقّ ولكنّ اللّه خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم او انّها لم تأبَ قبولَ ما تقوله لخلل فيه بل لانّ اللّه خذلهم بكفرهم كما قال تعالى ١٠
فاصمّهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ فايمانا قليلا يؤمنون، وما مزيدة للمبالغة فى التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلّة العدم (٨٣) وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ يعنى القران مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ من كتابهم وقُرِئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصّصه بالوصف ، وجوابُ لمّا محذوف دلّ عليه جوابُ لمّا الثانية وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا اى يستنصرون على المشركين ويقولون اللّهمّ انصرنا بنبيّ آخِرِ الزمان ١٥
المنعوت فى التورية او يفتحون عليهم ويعرّفونهم انّ نبيّا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسينُ للمبالغة والاشعار بانّ الفاعل يسأل ذلك عن نفسه فَلَمَّا جَآءَهُمْ مَا عَرَفُوا من الحقّ كَفَرُوا بِهِ حسدا وخوفا على الرياسة فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ اى عليهم واتى بالمُظهَر للدلالة على انّهم لعنوا لكفرهم فتكون اللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوّليّا لانّ الكلام فيهم (٨٤) بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ مَا نكرةٌ بمعنى شىء مميّزةٌ لفاعلِ بئس المستكنّ وَٱشْتَرَوْا صفته ومعناه باعوا او اشتروا بحسب ظنّهم ٢٠
فانّهم ظنّوا انّهم خلّصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ هو المخصوص بالذمّ بَغْيًا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علّة ان يكفروا دون اشتروا للفصل أَنْ يُنَزِّلَ ٱللَّهُ لأَنْ ينزّل او حسدوه على ان ينزّل اللّه ، وقرأ ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب بالتخفيف مِنْ فَضْلِهِ يعنى الوحى عَلَى مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ على من اختاره للرسالة فَبَآءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمّد بعد عيسى عليهما السلام او بعد قولهم عُزير ابن اللّه وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ٢٥
يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصى فانّه طُهرة لذنوبه (٨٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ يعمّ الكتب المنزلة باسرها قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا اى بالتورية وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُ حال من الضمير فى قالوا ، ووراء

 في الاصل مصدر جُعِل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خَلْفه والى المفعول فيراد به ما
 يواريه وهو قُدّامه ولذلك عُدّ من الاضداد وَهُوَ ٱلْحَقُّ الضمير لما وراءه والمراد به القران مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ
حال موكّدة تتضمّن ردّ مقالهم فانّهم لمّا كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ
أَنْبِيَاءَ ٱللّٰهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادّعاء الايمان بالتورية والتورية لا
٥ تسوّغه وانّما اسنده اليهم لانّه فِعْل آبائهم وانّهم راضون به عازمون عليه ، وقرأ نافع وَحْده أَنْبِئَاءَ
بالهمز في كلّ القران (٨٦) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِٱلْبَيِّنَاتِ يعني الآيات التسع المذكورة في قوله تعالى
ولقد آتينا موسى تسع آيات بيّنات ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ اى الٰها مِنْ بَعْدِهِ بعد مجيء موسى او ذهابه
الى الطور وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ حالٌ بمعنى اتّخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بآيات الله او اعتراضٌ
بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم ، ومساق الآية ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على انّ
١٠ طريقتهم مع الرسول صلعم طريقة اسلافهم مع موسى عم لا لتكرير القصّة وكذا ما بعدها
(٨٧) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا اى قلنا لهم خذوا ما
أُمِرتم به في التورية بجدّ واسمعوا سماعَ طاعة قَالُوا سَمِعْنَا قولك وَعَصَيْنَا امرك وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ
تداخلهم حبّه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصِبْغ الثوبَ والشرابُ اعماقَ
البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله تعالى انّما يأكلون في بطونهم نارا بِكُفْرِهِمْ بسبب كفرهم
١٥ وذلك لانّهم كانوا مجسّمة او حُلوليّة ولم يروا جسما اعجب منه فتمكّن في قلوبهم ما سوّل لهم السامرىّ
قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ اى بالتورية والمخصوص بالذمّ محذوف نحو هذا الامر او ما يعمّه
وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلاث الزاما عليهم إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ تقرير للقدح في دعواهم
الايمانَ بالتورية وتقديره ان كنتم مؤمنين بها لم يأمركم بهذه القبائح ولا يرخّص لكم فيها ايمانكم
بها او ان كنتم مؤمنين بها فبئس ما أمركم به ايمانكم بها لانّ المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى الّا ما يقتضيه
٢٠ ايمانه لكنّ الايمان بها لا يأمر به فاذنْ لستم بمؤمنين (٨٨) قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِنْدَ ٱللّٰهِ خَالِصَةً
خاصّة بكم كما قلتم لن يدخل الجنّة الّا من كان هودا ونَصْبها على الحال من الدار مِنْ دُونِ ٱلنَّاسِ
سائرهم واللامُ للجنس او المسلمين واللامُ للعهد فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ لانّ من ايقن انّه من
اهل الجنّة اشتاقها واحبّ التخلّص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال علىّ رضه لا ابالى سَقَطْتُ
على الموت او سَقَطَ الموتُ علىّ وقال عمّار رضه بصفّين الآن أُلاقي الاحبّة محمّدا وحزبَه وقال حذيفة رضه
٢٥ حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اى على التمنّى سيّما اذا علم انّها سالمة له لا
يشاركه فيها غيره (٨٩) وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ من موجبات النار كالكفر بمحمّد صلعم

جزء ١ والقران وتحريف التورية ولمّا كانت اليد العاملة مختصّة بالانسان آلة لقدرته بها عامّة صنائعه ومنها
ركوع ١١ اكثر منافعه عبّر بها عن النفس تارة والقدرة اخرى ، وهذه الجملة إخبار بالغيب وكان كما اخبر لانّهم
لو تمنّوا لنُقل واشتهر فانّ التمنّى ليس من عمل القلب ليخفى بل هو أنْ يقول ليت لى كذا ولو كان
بالقلب لقالوا تمنّينا وعن النبىّ صلعم لو تمنّوا الموت لغصّ كلّ انسان بريقه فمات مكانه وما بقى على
وجه الارض يهودىّ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّالِمِينَ تهديد لهم وتنبيه على انّهم ظالمون فى دعوى ما ليس لهم ٥
ونفيه عمّن هو لهم (٩٠) وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ مِنْ وَجَدَ بعقله الجارى مجرى عَلِمَ ومفعولاه هم
واحرص ، وتنكير حيوة لانّه اريد به فردٌ من افرادها وهى الحيوة المتطاولة وقرئ باللام وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا
محمول على المعنى فكانّه قال احرص من الناس ومن الّذين اشركوا وإفرادهم بالذكر للمبالغة فانّ
حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الّا الحيوة العاجلة والزيادة فى التوبيخ والتقريع فانّه لمّا زاد حرصهم وهم
مقرّون بالجزاء على حرص المنكرين دلّ ذلك على علمهم بانّهم صائرون الى النار ويجوز أنْ يراد واحرص ١٠
من الّذين اشركوا فحذف لدلالة الاوّل عليه وأنْ يكون خبرَ مبتدأ محذوف صفته يَوَدُّ أَحَدُهُمْ على
انّه اريد بالّذين اشركوا اليهود لانّهم قالوا عُزَيْرٌ ابن اللّه اى ومنهم ناس يودّ احدهم وهو على الاوّلين
بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ حكاية لودادتهم ، ولو بمعنى ليت وكان
اصله لو اعمّر فأُجرى على الغيبة لقوله يودّ كقولك حلف باللّه ليفعلنّ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ
الضمير لاحدهم وأنْ يعمّر فاعل مزحزحه اى وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميرُه او لما دلّ عليه ١٥
يعمّر وأنْ يعمّر بدل منه او مبهَمٌ وأنْ يعمّر موضحه ، واصل سنة سَنْوَة لقولهم سَنَوَات وقيل سَنْهَة كجَبْهَة
لقولهم سانهته وتسنّهت النخلة اذا اتت عليها السنون ، والزحزحة التبعيد وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ
ركوع ١٢ فيجازيهم (٩١) قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ نزل فى عبد اللّه بن صوريا سأل رسول اللّه صلعم عمّن ينزل عليه
بالوحى فقال جبريل فقال ذاك عدوّنا عادانا مرارا واشدّها انّه انزل على نبيّنا انّ بيت المقدس سيخربه
بُخْتُ نَصَّرُ فبعثنا من يقتله فراه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربّكم امره بهلاككم فلا يسلّطكم ٢٠
عليه والّا فبِمَ تقتلونه وقيل دخل عمر رضه مدراس اليهود يوما فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدوّنا
يُطْلع محمّدا على اسرارنا وانّه صاحب كلّ خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما
منزلتهما من اللّه تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما
تقولون فليسا بعدوّين ولأنتم اكفر من الحمير ومن كان عدوّ احدهما فهو عدوّ اللّه تعالى ثمّ رجع
عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحى فقال عم لقد وافقك ربّك يا عمر ، وفى جبريل ثمانى لغات قرئ بهنّ ٢٥
اربع فى المشهور جَبْرَئِيلُ كسَلْسَبِيل قراءة حمزة والكسائىّ وجَبْرِيلُ بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن
كثير وجَبْرَئِلُ كجَحْمَرِش قراءة عاصم برواية ابى بكر وجِبْرِيلُ كقِنْدِيل قراءة الباقين واربع فى الشواذّ
جَبْرَائِلُ وجَبْرَائِيلُ وجَبْرَئِلُ وجَبْرِينُ ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد اللّه فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ البارز
الاوّل لجبريل والثانى للقران واضماره غيرَ مذكورٍ يدلّ على فخامة شأنه كانّه لتعيّنه وفرط شهرته لم يحتج

الى سبق ذكره عَلَى قَلْبِكَ فانّه القابل الاوّل للوحي ومحلّ الفهم والحفظ وكان حقّه على قلبى لكنّه جاء جزء ١
على حكاية كلام الله تعالى كانّه قال قل ما تكلّمتُ به بِإِذْنِ ٱللَّهِ بامره او بتيسيره حال من فاعل نزّل ركوع ١٢
مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ احوال من مفعوله والظاهر أنّ جواب الشرط فانّه نزّله
والمعنى مَنْ عادى منهم جبريل فقد خلع رِبْقَة الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته ايّاه
٥ لنزوله عليك بالوحي لانّه نزّل كتابا مصدّقا للكتب المتقدّمة فحذف الجواب واقيم علّته مقامه او مَنْ
عاداه فالسبب فى عداوته انّه نزّله عليك وقيل محذوف مِثْلُ فَلْيَمُتْ غيظا او فهو عدوّ لى وانا عدوّه
كما قال (٩٢) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ اراد بعداوة
الله مخالفته عنادا او معاداة المقرّبين من عباده وصدّر الكلام بذكره تفخيما لشأنهم كقوله تعالى
والله ورسوله احقّ ان يُرْضوه وافرد الملكين بالذكر لفضلهما كانّهما من جنس آخر والتنبيه على انّ
١٠ معاداة الواحد والكلّ سواء فى الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وأنّ من عادى احدهم فكانّه
عادى الجميع اذ الموجب لمحبّتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولانّ المحاجّة كانت فيهما ووضع الظاهر
موضع المضمر للدلالة على انّه تعالى عاداهم لكفرهم وأنّ عداوة الملائكة والرسل كفرٌ ، وقرأ نافع ميكائل
كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكال كميعاد وقرئ ميكئل وميكئيل وميكائلّ
(٩٣) وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا ٱلْفَاسِقُونَ اى المتمرّدون من الكفرة والفسق اذا
١٥ استعمل فى نوع من المعاصى دلّ على اعظمه كانّه متجاوز عن حدّه ، نزل فى ابن صوريا قال لرسول
الله صلعم ما جئتنا بشىء نعرفه وما أُنزل عليك من آية فنتّبعك (٩٤) أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا الهمزة للانكار
والواو للعطف على محذوف تقديره أكفروا بالآيات وكلّما عاهدوا وقرئ بسكون الواو على انّ التقدير
الّا الّذين فسقوا أَوْ كلّما عاهدوا وقرئ عُوهِدُوا وعَهِدُوا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ نقضه واصل النبذ الطرح
لكنّه يغلب فيما يُنْسى وانّما قال فريق لانّ بعضهم لم ينقض بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ردٌّ لما يتوهّم انّ
٢٠ الفريق هم الاقلّون او أنّ من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفاء (٩٥) وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ كعيسى ومحمّد صلّى الله عليهما وسلّم نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ كِتَابَ ٱللَّهِ
يعنى التورية لانّ كفرهم بالرسول المصدّق لها كفرٌ بها فيما يصدّقه ونبذٌ لما فيها من وجوب الايمان
بالرسل المؤيّدين بالآيات وقيل ما مع الرسول وهو القران وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ مَثَلٌ لاعراضهم عنه رأسا بالاعراض
عمّا يُرْمَى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ انّه كتاب الله يعنى انّ علمهم به رصينٌ
٢٥ ولكن يتجاهلون عنادا ، واعلمْ انّه تعالى دلّ بالآيتين على انّ جبل اليهود اربع فِرَق فرقةٌ آمنوا بالتورية
وقاموا بحقوقها كمؤمنى اهل الكتاب وهم الاقلّون المدلول عليهم بقوله تعالى بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقةٌ
جاهروا بنبذ عهودها وتخطّى حدودها تمرّدا وفسوقا وهم المعنيّون بقوله تعالى نبذه فريق منهم وفرقةٌ

جزء ١ لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسّكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية
ركوع ١٢ عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون (٩٦) وَٱتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا ٱلشَّيَاطِينُ عطف على نبذ اى نبذوا كتاب
اللّٰه واتّبعوا كُتُب السحر التى تقرؤها او تتبعها الشياطين من الجنّ او الانس او منهما عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ
اى عَهْدِهِ وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمّون الى ما سمعوا اكاذيب
ويلقونها الى الكهنة وهم يدوّنونها ويعلّمون الناس وفشا ذلك فى عهد سليمان حتّى قيل أنّ الجنّ تعلم ٥
الغيب وأنّ مُلْك سليمان تمّ بهذا العلم وأنّه تسخّر به الجنّ والانس والريح له وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ تكذيب
لمن زعم ذلك وعبّر عن السحر بالكفر ليدلّ على أنّه كفر وأنّ من كان نبيّا كان معصوما عنه
وَلٰكِنَّ ٱلشَّيَاطِينَ كَفَرُوا باستعماله ، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وَلٰكِنِ بالتخفيف ورفع الشياطين
يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ اغواء واضلالا والجملة حال عن الضمير والمراد بالسحر ما يستعان فى تحصيله
بالتقرّب الى الشيطان ممّا لا يَسْتقلّ به الانسانُ وذلك لا يستتبّ الّا لمن يناسبه فى الشرارة وخبث النفس ١٠
فانّ التناسب شرطٌ فى التضامّ والتعاون وبهذا تميّز الساحر عن النبىّ والولىّ وأمّا ما يُتعجّب منه كما
يفعله اصحاب الحِيَل بمعونة الآلات والأدوية او يُريه صاحبُ خِفّة اليد فغيرُ مذموم وتسميتُه سحرا على
التجوّز او لما فيه من الدقّة لانّه فى الاصل لما خفِىَ سببُه وَمَا أُنْزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ عطف على السحر والمرادُ
بهما واحد والعطفُ لتغايُر الاعتبار او به نوع اقوى منه او على ما تتلو ، وهما ملكان أُنزلا لتعليم
السحر ابتلاء من اللّٰه تعالى للناس وتمييزا بينه وبين المُعْجِزة وما رُوى انّهما مُثّلا بَشَرَيْن ورُكّب فيهما ١٥
الشهوة فتعرّضا لامرأة يقال لها زُهَرة فحملتْهما على المعاصى والشِرْك ثمّ صعدت الى السماء بما تعلّمت منهما
فمحكىٌّ عن اليهود ولعلّه من رموز الاوائل وحَلُّه لا يخفى على ذوى البصائر وقيل رجلان سُمّيا مَلَكين
باعتبار صلاحهما ويؤيّده قراءة ٱلْمَلِكَيْنِ بالكسر ، وقيل ما انزل نفىٌ معطوف على ما كفر تكذيب لليهود
فى هذه القصّة بِبَابِلَ ظرف او حال من الملكين او الضمير فى انزل والمشهور انّه بلد من سواد الكوفة
هَارُوتَ وَمَارُوتَ عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعُجْمة والعَلَميّة ولو كانا من الهَرْت والمَرْت بمعنى ٢٠
الكسر لانصرفا ومَنْ جعل مَا نافية ابدلهما من الشياطين بَدَلَ البعض وما بينهما اعتراضٌ وقرئ
بالرفع على هُمَا هاروتُ وماروتُ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فمعناه على الاوّل
ما يعلّمان احدا حتّى ينصحاه ويقولا له انّما نحن ابتلاء من اللّٰه فمَنْ تعلّم منّا وعمل به كفر ومَنْ تعلّم
وتوقّى عملَه ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعملِ به وفيه دليل على انّ تعلّم السحر وما لا
يجوز اتّباعه غيرُ محظور وانّما المنع من اتّباعه والعمل به وعلى الثانى ما يعلّمانه حتّى يقولا انّما نحن ٢٥
مفتونان فلا تكن مثلنا فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا الضمير لما دلّ عليه مِنْ احد مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِ
اى من السحر ما يكون سبب تفريقهما وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللّٰهِ لانّه وغيره من
الاسباب غيرُ مؤثّرة بالذات بل بأمره تعالى وجَعْلِه ، وقرئ بضارّى على الاضافة الى احد وجَعْلِ الجارّ جزءا

تبعه والفصل بالظرف وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ لانهم يقصدون به العمل او لانّ العلم يجرّ الى العمل غالبا جزء ١
وَلَا يَنْفَعُهُمْ اذ مجرّد العلم به غير مقصود ولا نافع فى الدارين وفيه أنّ التحرّز عنه أولى وَلَقَدْ عَلِمُوا ركوع ١٢
اى اليهود لَمَنِ اشْتَرَاهُ اى استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله تعالى والاظهر انّ اللام لام الابتداء
علّقت علموا عن العمل مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ نصيب وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ يحتمل المعنيين
٥ على ما مرّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ يتفكّرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب
والمثبت لهم اوّلا على التأكيد القسمىّ العقل الغريزىّ او العلم الاجمالىّ بقبح الفعل او ترتّب العقاب
من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فانّ من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم
(٩٧) وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا بالرسول والكتاب وَاتَّقَوْا بترك المعاصى كنبذ كتاب الله واتّباع السحر لَمَثُوبَةٌ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ جوابُ لو وأصله لأثيبوا مثوبةً من الله خيرا ممّا شروا به انفسهم فحذف الفعل
١٠ وركّب الباقى جملة اسميّة ليدلّ على ثباتِ المثوبة والجزمِ بخيريّتها وحذف المفضّل عليه اجلالا للمفضّل
من ان ينسب اليه وتنكيرُ المثوبة لانّ المعنى لَشىءٌ من الثواب خير وقيل لوْ للتمنّى ولمثوبة كلام مبتدأ
وقرئ لَمَثْوَبَة كمَشْوَرَة وانّما سمّى الجزاء ثوابا ومثوبة لانّ المحسن يثوب اليه لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ انّ ثواب
الله خير جهّلهم لترك التدبّر او العمل بالعلم (٩٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا ركوع ١٣
الرعى حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون لرسول الله صلعم راعنا اى راقبنا وتأنَّ بنا فيما
١٥ تلقّننا حتّى نفهمه وسمعَ اليهودُ فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبتَه الى الرَعَن او سبّه بالكلمة العبرانيّة
الّتى كانوا يتسابّون بها وهى راعينا فنهى المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس
وهو انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ أَنْظِرْنَا من الانظار اى أمهلنا لنحفظ
وقرئ رَاعُونَا على لفظ الجمع للتوقير ورَاعِنًا بالتنوين اى قولا ذا رَعَنٍ نسبةً الى الرَعَن وهو الهَوَج
لمّا شابه قولهم رَاعِينَا وتسبّبَ للسبّ وَاسْمَعُوا وأحسنوا الاستماع حتّى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او
٢٠ واسمعوا سماعَ قبولٍ لا كسماع اليهود او واسمعوا ما أمرتم به بجدّ حتّى لا تعودوا الى ما نُهيتم عنه
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ يعنى الّذين تهاونوا بالرسول صلعم وسبّوه (٩٩) مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودّة المؤمنين ويزعمون انّهم يودّون لهم
الخير، والودّ محبّة الشىء مع تمنّيه ولذلك يستعمل فى كلّ منهما، ومِنْ للتبيين كما فى قوله تعالى لم
يكن الّذين كفروا من اهل الكتاب أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ مفعول يودّ، ومن الاولى مزيدة
٢٥ للاستغراق والثانية للابتداء، وفسّر الخير بالوحى والمعنى انّهم يحسدونكم به وما يحبّون ان ينزّل عليكم
شىء منه وبالعلم وبالنصرة ولعلّ المراد به ما يعمّ ذلك وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ يستنبئه ويعلّمه
الحكمة وينصره لا يجب عليه شىء وليس لاحد عليه حقّ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ إشعار بانّ النبوّة من

جزء ١ الفضل وانّ حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه م
ركوع ١٣ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نزلت لمّا قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمّد يأمر
وينهى بخلافه ، والنَسْخ فى اللغة ازالةُ الصورة عن الشيء واثباتها فى غيره كنسخ
ومنه التناسخ ثمّ استعمل لكلّ واحد منهما كقولك نسخت الريحُ الأثرَ ونسخت
بيان انتهاء التعبّد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا ، وانساؤها
شرطيّة جازمة لننسخ منتصبة به على المفعوليّة ، وقرأ ابن عامر نُنْسِخ من أنسخ
بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو نَنْسَأْهَا اى نؤخّرها من
نُنْسِ احدا ايّاها وتَنْسَها اى انت وتُنْسَها على البناء للمفعول وتُنْسِكَها باضمار المفعولين نَأْتِ بِخَيْرٍ
مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا اى بما هو خير للعباد فى النفع والثواب او مثلها فى الثواب ، وقرأ ابو عمرو بقلب الهمزة
الفا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير منه ، ١٠
والآية دلّت على جواز النسخ وتأخير الانزال اذ الاصل اختصاص إنْ وما يتضمّنها بالامور المحتملة وذلك
لانّ الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من اللّه تعالى ورحمة وذلك
يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كأسباب المعاش فانّ النافع فى عصر قد يضرّ فى غيره واحتجّ بها
من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونَسْخ الكتاب بالسُنّة فانّ الناسخ هو المأتىّ به بدلا والسُنّة ليست
كذلك والكلّ ضعيف اذ قد يكون عدمُ الحكم والاثقلُ اصلحَ والنسخ قد يُعْرَف بغيره والسُنّة ممّا اتى ١٥
به اللّه تعالى وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك فى اللفظ والمعتزلة على حدوث القران فانّ التغيّر
والتفاوت من لوازمه وأُجيب بانّهما من عوارض الامور المتعلّق بها المعنى القائم بالذات القديم •
(١٠١) أَلَمْ تَعْلَمْ الخطاب للنبىّ صلعم والمراد هو وامّته لقوله وما لكم وانّما افراده لانّه أَعْلَمُهم ومبدأ علمهم
أَنَّ ٱللَّهَ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله انّ اللّه على كلّ
شيء قدير وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ وانّما هو الّذى ٢٠
يملك اموركم ويجريها على ما يصلحكم ، والفرق بين الولىّ والنصير انّ الولىّ قد يضعف عن النصرة
والنصير قد يكون اجنبيّا عن المنصور فيكون بينهما عمومٌ منْ وجه (١٠٢) أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا
رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ أَمْ معادلة للهمزة فى الم تعلم اى الم تعلموا انّه مالك الامور قادر على
الاشياء كلّها يأمر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى عم
او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة به عم وترك الاقتراح عليه ، قيل نزلت فى اهل الكتاب
ينزل اللّه عليهم كتابا من السماء وقيل فى المشركين لمّا قالوا لن نؤمن لرُقيّك حتّى تنزّل
نقرؤه وَمَنْ يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ومن ترك الثقة بالآيات البيّنات و
غيرها فقد ضلّ الطريق المستقيم حتّى وقع فى الكفر بعد الايمان ومعنى الآية لا تقترحوا

جزء ١ [illegible] الضلال الى البعد عن القصد وتبدّل الكفر بالايمان ، وقرئ يُبْدِل من أبْدَلَ

ركوع ١٣ [illegible] كتاب يعنى أحبارهم لَوْ يَرُدُّونَكُمْ أنْ يردوكم فانّ لَوْ تنوب عن أنْ فى المعنى

[illegible] كُفّارًا مرتدّين وهو حال من ضمير المخاطبين حَسَدًا علّة وَدَّ مِنْ عِنْدِ أنْفُسِهِمْ

[illegible] اى تمنّوا ذلك من عند انفسهم وتشهّيهم لا من قِبَل التديّن والميل مع

[illegible] حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ بالمعجزات

[illegible] فى التورية فَٱعْفُوا وَٱصْفَحُوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه حَتَّى يَأْتِيَ

اللّهُ بِأمْرِهِ الذى هو الاذن فى قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل بنى قُرَيْظة واجلاء بنى النَّضير ، وعن ابن

عبّاس انّه منسوخ بآية السيف وفيه نَظَرٌ اذ الامر غير مطلق إنَّ ٱللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر على

الانتقام منهم (١٠٣) وَأقِيمُوا ٱلصَّلٰوةَ وَآتُوا ٱلزَّكٰوةَ عطف على فاعفوا كانّه امرهم بالصبر والمخالقة

١٠ واللجاء الى اللّه تعالى بالعبادة والبرّ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ كصلوة او صدقة وقرئ تُقْدِمُوا من

أقْدَمَ تَجِدُوهُ عِنْدَ ٱللّهِ اى ثوابه إنَّ ٱللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ لا يضيع عنده عمل ، وقرئ بالياء فيكون

وعيدا (١٠٥) وَقَالُوا عطف على ودّ والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى لَنْ يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إلّا مَنْ

كَانَ هُودًا أوْ نَصَارَى لفّ بين قولَي الفريقين كما فى قوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقةً بفهم

السامع ، وهود جمع هائد كعُوذ وعائذ ، وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى

١٥ تِلْكَ أمَانِيُّهُمْ اشارة الى الامانىّ المذكورة وهى أن لا ينزّل على المؤمنين خير من ربّهم وأن يردّوهم كفّارا وأن

لا يدخل الجنّة غيرهم او الى ما فى الآية على حذف المضاف اى أمثال تلك الامنيّة امانيّهم والجملة

اعتراض ، والأمْنِيّة أفْعولة من التمنّى كالأضحوكة والأعجوبة قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ على اختصاصكم بدخول

الجنّة إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى دعواكم فانّ كلّ قول لا دليل عليه غيرُ ثابت (١٠٦) بَلَى اثبات لما نفوه من

دخول غيرهم الجنّة مَنْ أسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ اخلص له نفسه او قصْده واصله العضو وَهُوَ مُحْسِنٌ فى عمله

٢٠ فَلَهُ أجْرُهُ الذى وُعِد له على عمله عِنْدَ رَبِّهِ ثابتا عند ربّه لا يضيع ولا ينقص ، والجملة جوابُ مَنْ إن

كانت شرطيّة وخبرُها إن كانت موصولة والفاء فيها لتضمّنها معنى الشرط فيكون الردّ بقوله بلى

وحده ويَحْسُن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعلَ فعْل مقدّر مثل بلى يدخلها من اسلم

ركوع ١٤ [illegible] وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ فى الآخرة (١٠٧) وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَارَى

[illegible] عَلَى شَيْءٍ اى امرٍ يصحّ ويُعْتَدّ به ، نزلت لمّا قدم وفد نجرانَ على رسول اللّه صلعم واتاهم

[illegible] فتناظروا وتقاولوا بذلك وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَابَ الواو للحال والكتاب للجنس اى قالوا ذلك

جزء ١ وهم من اهل العلم والكتاب كَذَٰلِكَ مثل ذلك قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ كعبدة الاصنام والمعطلة
ركوع ١٣ وبّخهم على المكابرة والتشبه بالجهال. فان قيل لِمَ وبّخهم وقد صدقوا فانّ كلا الدينين بعد النسخ ليس
بشيء قلتُ لم يقصدوا ذلك وانّما قصد به كلّ فريق ابطال دين الآخر من اصله والكفر بنبيّه وكتابه مع
انّ ما لم ينسخ منهما حقٌّ واجب القبول والعمل به فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بين الفريقين يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا
كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ بما يقسم لكلّ فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذّبهم ٥
ويُدخلهم النار (١٠٨) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ عامّ لكلّ من خرّب مسجدا او سعى فى تعطيل
مكان مرشّح للصلوة وإن نزل فى الروم لمّا غزوا بيت المقدس وخرّبوه وقتلوا اهله او المشركين لمّا منعوا
رسول اللّه صلعم ان يدخل المسجد الحرام عامَ الحُدَيْبِيَة أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ ثانى مفعولَى منع
وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ بالهدم او التعطيل أُولَٰٓئِكَ اى المانعون مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ما كان
ينبغى لهم ان يدخلوها الّا بخشية وخشوع فضلا ان يجترؤا على تخريبها او ما كان الحقّ ان ١٠
يدخلوها الّا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم فى علم اللّه
تعالى وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه
النهى عن تمكينهم من الدخول فى المسجد واختلف الائمّة فيه فجوّز ابو حنيفة ومنع مالك وفرّق الشافعى
بين المسجد الحرام وغيره لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ قتل وسبى او ذلّة بضرب الجزية وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
بكفرهم وظلمهم (١٠٩) وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يريد بهما ناحيتى الارض اى له الارض كلّها لا يختصّ به ١٥
مكان دون مكان فان مُنعتم ان تصلّوا فى المسجد الحرام او الاقصى فقد جُعلت لكم الارض مسجدا
فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا ففى اىّ مكان فعلتم التولية شطرَ القبلة فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ اى جهته ٱلّتى أَمَرَ بها فانّ إمكان
التولية لا يختصّ بمسجد او مكان او فثمّ ذاته اى عالم مطّلع بما يفعل فيه إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ باحاطته
بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عَلِيمٌ بمصالحهم واعمالهم فى الاماكن كلّها، وعن ابن عمر
رضى اللّه عنهما نزلت فى صلوة المُسافر على الراحلة وقيل فى قوم عميت عليهم القبلة فصلّوا الى أنحاء ٢٠
مختلفة فلمّا اصبحوا تبيّنوا خطأهم وعلى هذا لو اخطأ المجتهد ثمّ تبيّن له الخطأ لم يلزمه التدارك
وقيل هى توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود أن يكون فى حيّز وجهة (١١٠) وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا نزلت
لمّا قالت اليهود عزير ابن اللّه والنصارى المسيح ابن اللّه ومشركو العرب الملائكة بنات اللّه وعطفه على
قالت اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم، وقرأ ابن عامر بغير واو سُبْحَٰنَهُ تنزيه له عن ذلك فانّه
يقتضى التشبّه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى انّ الاجرام الفلكيّة مع إمكانها وفنائها لمّا كانت باقية ٢٥
ما دام العالم لم تتّخذ ما يكون لها كالولد اتّخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا بَل لَّهُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ردّ لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انّه خالق ما فى السموات والارض الّذى من جملته

جزء ١ الملائكة وعزير والمسيح كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ منقادون لا يمتنعون عن مشيئته وتكوينه وما كان بهذه الصفة
ركوع ١٤ لم يجانس مكوِّنه الواجبَ لذاته فلا يكون له ولدٌ لانّ مِنْ حق الولد ان يجانس والده ، وانّما جاء
بما الّذى لغير أُولى العلم وقال قانتون على تغليب أُولى العلم تحقيرا لشأنهم ، وتنوين كُلٌّ عوض من
المضاف اليه اى كلّ ما فيهما ويجوز ان يراد كلّ من جعلوه إلها له مطيعون مُقِرّون بالعبودية
٥ فيكون الزاما بعد اقامة الحجّة ، والآية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلاثة اوجه واحتجّ بها الفقهاء
على انّ مَنْ مَلَكَ ولدَه عَتَقَ عليه لانّه تعالى نفى الولد باثبات المِلْك وذلك يقتضى تنافيهما
(١١١) بَدِيعُ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ مُبْدِعهما ونظيره السميع فى قوله

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الداعى السميعُ يؤرّقنى وأصحابى هُجوعُ

او بديعٌ سمواته وارضه مِنْ بَدُعَ فهو بديع وهو حجّة رابعة وتقريرها انّ الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال
١٠ مادّته عنه والله سبحانه مُبْدِع الاشياء كلّها فاعل على الاطلاق منزّه عن الانفعال فلا يكون والدا ،
والابداع اختراع الشىء لا عن شىء دفعة وهو اَلْيَقُ بهذا الموضع من الصنْع الّذى هو تركيب الصورة
بالعنصر والتكوين الّذى يكون بتغيير وفى زمان غالبا وقرئ بَدِيعِ مجرورا على البدل من الضمير فى
له وبَدِيعَ منصوبا على المدح وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا اى اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشىء قولا كقوله تعالى
وقضى ربّك او فعلا كقوله تعالى فقضاهنّ سبع سموات واطلق على تعلّق الارادة الالهيّة بوجود الشىء
١٥ من حيث انّه يوجبه فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ مِنْ كان التامّة بمعنى اَحْدِثْ فيحْدُث وليس
المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلّقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقّف
وفيه تقريرٌ لمعنى الابداع وايماء الى حجّة خامسة وهى انّ اتّخاذ الولد ممّا يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى
مستغنٍ عن ذلك ، وقرأ ابن عامر فيكونَ بنصب النون ، واعلم انّ السبب فى هذه الضلالة انّ ارباب
الشرائع المتقدمة كانوا يُطلقون الاب على الله تعالى باعتبار انّه السبب الاوّل حتّى قالوا انّ الاب هو الربّ
٢٠ الاصغر والله تعالى هو الربّ الاكبر ثمّ ظنّت الجهلة منهم انّ المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك
تقليدا ولذلك كُفّر قائله ومُنع منه مطلقا حسْما لمادّة الفساد (١١٢) وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ اى جهلة
المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ هلّا يكلّمنا كما يكلّم الملائكة او يوحى الينا
بانّك رسوله أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ حجّة على صدقك والاوّل استكبارٌ والثانى جحودٌ لانّ ما اتاهم آياتٌ استهانة به
وعنادا كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم من الامم الماضية مِثْلَ قَوْلِهِمْ فقالوا أرنا الله جهرة هل يستطيع ربّك
٢٥ ان ينزّل علينا مائدة من السماء تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قلوب هؤلاء ومَن قبلهم فى العمى والعناد ، وقرئ
بتشديد الشين قَدْ بَيَّنَّا ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ اى يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة
ولا عناد وفيه اشارة الى انّهم ما قالوا ذلك لخفاء فى الآيات او لطلب مزيد يقين وانّما قالوه عتوّا وعنادا
(١١٣) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِٱلْحَقِّ ملتبسا مؤيّدا به بَشِيرًا وَنَذِيرًا فلا عليك ان اصرّوا وكابروا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ

جزء ١ ركوع ١٤

أَصْحَابِ ٱلْجَحِيمِ ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت ، وقرأ نافع ويعقوب لا تَسْأَلْ على انه نهى لرسول الله
صلعم عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا يقدر ان يخبر عنها او
السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال ، والجحيم المتأجج من النار (١١٤) وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ
ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ مبالغة فى اقناط الرسول عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا عنه حتى
يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله تعالى عنهم ولذلك قال
قُلْ تعليما للجواب إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَى ان هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما
تدعون اليه وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ آراءهم الزائغة ، والملة ما شرعه الله تعالى لعباده على لسان انبيائه
من امللت الكتاب اذا امليته ، والهوى رأى يتبع الشهوة بَعْدَ ٱلَّذِي جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ اى الوحى او
الدين المعلوم صحته مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن (١١٥) ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ
ٱلْكِتَابَ يريد به مؤمنى اهل الكتاب يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر فى معناه
والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر على ان المراد بالموصول مؤمنو اهل الكتاب
أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ بكتابهم دون المحرفين وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ بالتحريف والكفر بما يصدقه فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ

ركوع ١٥

حيث اشتروا الكفر بالايمان (١١٦) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ٱذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى
ٱلْعَالَمِينَ (١١٧) وَٱتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ
لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف من الساعة واهوالها
كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة فى النصح وايذانا بانه فذلكة القضية والمقصود من القصة
(١١٨) وَإِذِ ٱبْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ كلفه بأوامر ونواه والابتلاء فى الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء
لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما ، والضمير لابرهيم وحسن
لتقدمه لفظا وان تأخر رتبة لان الشرط احد التقدمين ، والكلمات قد تطلق على المعانى فلذلك فسرت
بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة فى قوله التائبون العابدون وقوله ان المسلمين الى آخر الآيتين
وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسرت بها فى قوله فتلقى آدم من ربه كلمات
وبالعشر التى هى من سننه وبمناسك الحج وبالكوكب والقمرين والختان وذبح الولد والنار والهجرة
على انه تعالى عامله بها معاملة المختبر بهن وبما تضمنته الآيات التى بعدها ، وقرئ ابرهيمُ ربَّه على انه
دعا ربه بكلمات مثل أرنى كيف تحيى الموتى اجعل هذا البلد آمنا ليرى هل يجيبه وقرأ ابن عامر
ابراهام فَأَتَمَّهُنَّ فأداهن كملا وقام بهن حق القيام لقوله تعالى وابرهيم الذى وفى وفى القراءة الاخيرة
الضمير لربه اى اعطاه جميع ما دعاه قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا استيناف ان اضمرت ناصب اذ كانه
قيل فما ذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فتكون الكلمات ما ذكره من

الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وإن نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها ، جزء ١
وجاعل من جَعَلَ الّذى له مفعولان ، والامام اسمُ من يؤتمّ به وامامته عامّة مؤبّدة اذ لم يبعث بعده ركوع ١٥
نبىّ الّا كان من ذرّيته مأمورا باتباعه قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي عطف على الكاف اى وبعض ذرّيتى كما تقول
وزيدًا فى جواب سأكرمك ، والذّرّيّة نَسل الرجل فُعْلِيّة او فُعُّولة قلبت راؤها الثانية ياء كما فى تقضّيت
من الذّرّ بمعنى التفريق او فُعُولة او فِعّيلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذِرّيّتى بالكسر
وهى لغة قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ اجابةٌ الى مُلْتَمَسه وتنبيهٌ على انّه قد يكون من ذرّيته ظَلَمة وانّهم
لا ينالون الامامة لانّها امانة من اللّه وعهد والظالم لا يصلح لها وانّما ينالها البَرَرة الاتقياء منهم وفيه
دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وانّ الفاسق لا يصلح للامامة ، وقرئ الظالمون والمعنى
واحد اذ كلّ ما نالك فقد نِلْته (١١٩) وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ اى الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريّا
١٠ مَثَابَةً لِلنَّاسِ مرجعا يثوب اليه اعيان الزوّار او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجّه واعتماره وقرئ
مَثَابَاتٍ لانّه مثابة كلّ واحد وَأَمْنًا وموضع أمنٍ لا يُتعرّض لاهله كقوله تعالى حَرَمًا آمِنًا ويُتخطّف الناس
من حولهم او يأمن حاجّه من عذاب الآخرة من حيث انّ الحجّ يَجُبّ ما قبله او لا يؤاخذ الجانى
الملتجئ اليه حتّى يخرج وهو مذهب ابى حنيفة وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى على ارادة القول او
عطف على المقدّر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا اليه واتّخذوا على انّ الخطاب
١٥ لامّة محمّد صلعم وهو أمرُ استحباب ، ومقام ابرهيم الحجر الّذى فيه اثر قدمه والموضع الّذى كان فيه
حين قام عليه ودعا الناس الى الحجّ او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روى انّه عم اخذ بيد عمر
فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتّخذه مصلّى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتّى نزلت
وقيل المراد به الامر بركعتى الطواف لما روى جابر انّه عم لمّا فرغ من طوافه عمد الى مقام ابرهيم فصلّى
خلفه ركعتين وقرأ واتّخذوا من مقام ابرهيم مصلّى وللشافعىّ فى وجوبهما قولان وقيل مقام ابرهيم
٢٠ الحرم كلّه وقيل مواقف الحجّ واتّخاذها مصلّى أنْ يُدعَى فيها ويُتقرّب الى اللّه تعالى ، وقرأ نافع وابن عامر
وَاتَّخَذُوا بلفظ الماضى عطفا على جعلنا اى واتّخذ الناس مقامه الموسوم به يعنى الكعبة قبلة يصلّون
اليها وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ امرناهما أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ بأن طهّرا ويجوز ان تكون مفسّرة لتضمّن
العهد معنى القول يريد طهّراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق به او أخلصاه لِلطَّائِفِينَ حوله وَالْعَاكِفِينَ
المقيمين عنده او المعتكفين فيه وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ اى المصلّين جمع راكع وساجد (١٢٠) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ
٢٥ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا يريد به البلد او المكان بَلَدًا آمِنًا ذا أمْن كقوله تعالى عيشة راضية او آمنا اهله كقولك ليل
نائم وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ابدل مَنْ آمن من أَهْلَه بَدَل البعض
للتخصيص قَالَ وَمَن كَفَرَ عطف على من آمن والمعنى وأرزق من كفر قاس ابرهيم الرزق على الامامة

فنبّه سبحانه وتعالى على انّ الرزق رحمة دنيويّة تعمّ المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدّم في الدين
او مبتدأ تضمّن معنى الشرط فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا خبره والكفر وان لم يكن سببا للتمتيع لكنّه سبب لتقليله
بأن يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسّل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى
عَذَابِ ٱلنَّارِ اى ألزّه اليه لزّ المضطرّ لكفره وتضييعه ما متّعته به من النعم ، وقليلا نصب على المصدر او
الظرف ، وقرئ بلفظ الامر فيهما على انّه من دعاء ابرهيم وفي قال ضميره وقرأ ابن عامر فَأُمْتِعُهُ من امتع
وقرئ فَنُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُ واِضْطَرُّهُ بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة وأَطَّرُّهُ بادغام
الضاد وهو ضعيف لانّ حروف ضمّ شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ المخصوص
بالذمّ محذوف وهو العذاب (١٢١) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ حكاية حال ماضية ، والقواعد
جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعلّه مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك
اللّهَ ورفعها البناء عليها فانّه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات
البناء فانّ كلّ ساف قاعدة ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه
ودعاء الناس الى حجّه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشأنها وَإِسْمٰعِيلُ كان يناوله الحجارة ولكنّه
لمّا كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا اى
يقولان ربّنا وقد قرئ به والجملة حال منهما إِنَّكَ أَنْتَ ٱلسَّمِيعُ لدعائنا ٱلْعَلِيمُ بنيّاتنا (١٢٢) رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا
مُسْلِمَيْنِ لَكَ مخلصين لك من أسلم وجهه او مستسلمين من أسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة
في الاخلاص والاذعان او الثبات عليه ، وقرئ مُسْلِمِينَ على انّ المراد انفسهما وهاجر او انّ التثنية من
مراتب الجمع وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ اى واجعل بعض ذريّتنا وانّما خصّا الذريّة بالدعاء لانّهم احقّ
بالشفقة ولانّهم اذا صلحوا صلح بهم الأتباع وخصّا بعضهم لما أُعلما انّ في ذريّتهما ظلمة وعلما انّ
الحكمة الالهيّة لا تقتضي الاتّفاق على الاخلاص والاقبال الكلّيّ على اللّه فانّه ممّا يشوّش المعاش ولذلك
قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل أرادا بالامّة امّة محمّد صلعم ويجوز ان تكون مِنْ للتبيين كقوله
تعالى وعد اللّه الّذين آمنوا منكم قدّم على المبيّن وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله تعالى
خلق سبع سموات ومن الارض مثلهنّ وَأَرِنَا مِنْ رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين مَنَاسِكَنَا
متعبّداتنا في الحجّ او مذابحنا ، والنُسْك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحجّ لما فيه من الكُلفة والبعد
عن العادة ، وقرأ ابن كثير والسوسيّ عن ابي عمرو ويعقوب أَرْنَا قياسا على فَخْذ في فَخِذ وفيه اجحاف
لانّ الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرأ الدوريّ عن ابي عمرو بالاختلاس وَتُبْ عَلَيْنَا
استتابة لذريّتهما او عمّا فرط منهما سهوا ولعلّهما قالاه هضما لانفسهما وارشادا لذريّتهما إِنَّكَ أَنْتَ ٱلتَّوَّابُ
ٱلرَّحِيمُ لمن تاب (١٢٣) رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ في الأمّة المسلمة رَسُولًا مِنْهُمْ ولم يبعث من ذريّتهما غير

محمد صلعم فهو المجاب به دعوتهما كما قال عم انا دعوة ابى ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمّى جزء ١
يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ يقرأ عليهم ويبلّغهم ما توحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ القرآن ركوع ١٥
وَٱلْحِكْمَةَ ما يكمّل به نفوسهم من المعارف والأحكام وَيُزَكِّيهِمْ عن الشرك والمعاصى إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلَّذى
لا يُقْهَر ولا يُغْلَب على ما يريد ٱلْحَكِيمُ المُحْكِم له (١٢٤) وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرٰهِيمَ استبعاد وانكار لأنْ ركوع ١٦
٥ يكون احد يرغب عن ملّته الواضحة الغرّاء اى لا يرغب احد عن ملّته إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ الّا من استمهنها
وأذلّها واستخفّ بها قال المبرّد وثعلب سَفِهَ بالكسر متعدّ وبالضمّ لازم ويشهد له ما جاء فى الحديث
الكِبْر أنْ تَسْفَهَ الحقّ وتَغْمَصَ الناسَ وقيل اصله سَفِهَ نَفْسُه على الرفع فنصب على التمييز نحو غَبِنَ
رأيَهُ وأَلِمَ رأسَهُ وقولِ جرير

ونأخذ بَعْدَه بِذِنابِ عيشٍ أَجَبِّ الظَّهْرِ ليس له سَنامُ

١٠ او سَفِهَ فى نفسه فنصب بنزع الخافض ، والمستثنى فى محلّ الرفع على المختار بدلا من الضمير فى يرغب
لانّه فى معنى النفى وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَاهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِى ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ حجّة وبيان لذلك فانّ من
كان صفوة العباد فى الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يومَ القيٰمة كان حقيقا بالاتّباع لا يرغب عنه
الّا سفيهٌ او متسفّهٌ اذلّ نفسَه بالجهل والاعراض عن النظر (١٢٥) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ
ظرفٌ لاصطفيناه او تعليل له او منصوب باضمارِ اذكرْ كانّه قيل اذكرْ ذلك الوقت لتعلم انّه المصطفى
١٥ الصالح المستحقّ للامامة والتقدّم وانّه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السرّ حين دعاه ربّه واخطر
بباله دلائله المؤدّية الى المعرفة الداعية الى الاسلام روى انّها نزلت لمّا دعا عبدُ اللّه بن سَلام ابنَىْ اخيه
سَلَمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجرٌ (١٢٦) وَوَصَّى بِهَا إِبْرٰهِيمُ بَنِيهِ التوصية هو التقدّم الى
الغير بفعلٍ فيه صلاحٌ وقُرْبة وأصلها الوصل يقال وَصّاه اذا وصله وفَصّاه اذا فصله كانّ الموصِّى يصل
فعله بفعل الموصَّى ، والضمير فى بها للملّة او لقوله اسلمت على تأويل الكلمة او الجملة ، وقرأ نافع وابن
٢٠ عامر وَأَوْصَى والاوّل ابلغ وَيَعْقُوبُ عطف على ابرهيم اى ووصّى هو ايضا بها بنيه ، وقرئ بالنصب على انّه
ممّن وصّاه ابرهيم يَا بَنِىَّ على اضمار القول عند البصريّين متعلّق بوصّى عند الكوفيّين لانّه نوع منه
ونظيره

رَجُلانِ مِنْ ضَبَّةَ أَخْبَرانا إِنّا رأينا رَجُلا عُرْيانا

بالكسر ، وبنو ابرهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحٰق ومَدْيَن ومَدان وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو
٢٥ يعقوب اثنى عشر رُوبيل وشَمْعُون ولاوِى ويَهُوذا ويَشْسوخور وزَبولون ونَفْتُولى ودُون وكُوذا وأُوشير
وبَنْيامين ويُوسف إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَى لَكُمُ ٱلدِّينَ دين الاسلام الّذى هو صفوة الاديان لقوله تعالى
فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ظاهره النهى عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهى عن

جزء ١ ان يكونوا على تلك الحال اذا ماتوا والامرُ بالثبات على الاسلام كقولك لا تُصلِّ الّا وانت خاشعٌ وتغيير
ركوع ١٦ العبارة للدلالة على انّ موتهم لا على الاسلام موتٌ لا خَيْرَ فيه وأَنَّ مِنْ حقّه أَنْ لا يَحُلّ بهم ونظيرُهُ فى
الامر مُتْ وانت شهيدٌ ، روى انّ اليهود قالوا لرسول اللّه صلعم الستَ تعلم انّ يعقوب اوصى بنيه
باليهوديّة يومَ مات فنزلت (١٢٧) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ أَمْ منقطعةٌ ومعنى الهمزة فيها
الانكار اى ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموتُ وقال لبنيه ما قال فلِمَ تدّعون اليهوديّة عليه او
مُتّصلةٌ بمحذوفٍ تقديرُه اكنتم غائبين ام كنتم شاهدين وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما
شاهدتم ذلك وانّما علمتموه من الوحى ، وقرئ حَضِرَ بالكسر إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ بدل من اذ حضر
مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى أَىَّ شىء تعبدون اراد به تقريرَهم على التوحيد والاسلام وأَخْذَ ميثاقهم على
الثبات عليهما ، ومَا يُسْـأَل به عن كلّ شىء ما لم يُعْرَف فاذا عُرف خُصّ العقلاءُ بمَنْ اذا سئل عن تعيّنه
١٠ وانْ سئل عن وصفه قيل مَا زَيْدٌ أفقيهٌ ام طبيبٌ قَالُوا نَعْبُدُ إِلٰهَكَ وَإِلٰهَ آبَآئِكَ إِبْرٰهِيمَ وَإِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ
المتّفَق على وجوده وأُلوهيّته ووجوب عبادته ، وعدّ اسمعيل من آبائه تغليبا للأَب والجدّ او لأنّه كالأَب
لقوله عم عمُّ الرجل صِنْوُ ابيه كما قال فى العبّاس رضه هذا بقيّة آبائى ، وقرئ إِلٰهَ أَبِيكَ على انّه جمعٌ
بالواو والنون كما قال

ولمّا تَبَيَّنَّ اصواتَنا بَكَيْنَ وفدّيننا بالأَبِينا

١٥ او مفردٌ وابرٰهيم وحده عطف بيان إِلٰهًا وَاحِدًا بدلٌ من إله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفائدته
التصريحُ بالتوحيد ونفيُ التوهّم الناشىء من تكرير المضاف لتعذّر العطف على المجرور والتأكيد او
نصبٌ على الاختصاص وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون
اعتراضا (١٢٨) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ يعنى ابرٰهيم ويعقوب وبنيهما ، والأُمّة فى الاصل المقصودُ وسُمّى بها الجماعة
لانّ الفِرَق تأُمّها لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ لكلٍّ اجرُ عمله والمعنى انّ انتسابكم اليهم لا يوجب
٢٠ انتفاعكم باعمالهم وانّما تنتفعون بموافقتهم واتّباعهم كما قال عم لا يأتينى الناسُ بأعمالهم وتأتونى بأنسابكم
وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ولا تؤاخَذون بسيّئاتهم كما لا تُثابون بحسناتهم (١٢٩) وَقَالُوا كُونُوا
هُودًا أَوْ نَصَارَى الضمير الغائب لاهل الكتاب ، وأَوْ للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت
اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تَهْتَدُوا جواب الامر قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرٰهِيمَ اى بل نكون
ملّة ابرٰهيم اى اهل ملّته او بل نتّبع ملّة ابرٰهيم ، وقرئت بالرفع اى ملّته ملّتنا اُو عكسه او نحن ملّته
٢٥ بمعنى اهل ملّته حَنِيفًا مائلا عن الباطل الى الحقّ حال من المضاف او المضاف اليه كقوله تعالى ونزعنا
ما فى صدورهم من غلٍّ إِخْوَانًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانّهم يدّعون
اتّباعه وهم مشركون (١٣٠) قُولُوا آمَنَّا بِاللّٰهِ الخطاب للمؤمنين لقوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا
القران قدّم ذكره لانّه اوّل بالاضافة الينا او سبب للايمان بغيره وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرٰهِيمَ وَإِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ

وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ الصحف وهي وان نزلت الى ابرهيم لكنّهم لمّا كانوا متعبّدين بتفاصيلها داخلين تحت جزء ۱
احكامها فهي ايضا منزلة اليهم كما انّ القرآن منزل الينا ، والأسباط جمع سِبْط وهو الحافد يريد به ركوع ۱۶
حَفَدة يعقوب او ابناءه وذراريهم فانّهم حَفَدة ابرهيم واسحٰق وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ التورية والانجيل
افردهما بالذكر بحُكْم أَبْلَغَ لانّ امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما
۵ وَمَا أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ جملة المذكورين منهم وغير المذكورين مِن رَّبِّهِمْ منزلا عليهم من ربّهم لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ
أَحَدٍ مِّنْهُمْ كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض ، وأحَد لوقوعه في سياق النفي عامّ فساغ ان يضاف
اليه بَيْنَ وَنَحْنُ لَهُۥ اى للّه مُسْلِمُونَ مذعنون مخلصون (۱۳۱) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا
من باب التعجيز والتبكيت كقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله اذ لا مِثْلَ لما آمن به المسلمون ولا
دينَ كدين الاسلام وقيل الباء للآلة دون التعدية والمعنى ان تحرّوا الايمان بطريق يهدى الى الحقّ
۱۰ مثل طريقكم فانّ وَحْدة المقصد لا تأبى تعدّدَ الطُرُق او مزيدة للتأكيد كقوله تعالى جزاء سيّئة بمثلها
والمعنى فان آمنوا باللّه ايمانا مثل ايمانكم به او المِثْل مُقْحَم كما فى قوله وشهد شاهد من بنى اسرائيل
على مِثْله اى عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به او بالّذى آمنتم به وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ
اى ان اعرضوا عن الايمان او عمّا تقولون فما هم الّا فى شقاق الحقّ وهو المناواة والمخالفة فانّ كلّ
واحد من المتخالفين فى شِقّ غيرِ شِقّ الآخر فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ تسلية وتسكين للمؤمنين ووعدٌ لهم
۱۵ بالحفظ والنصر على من ناواهم وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ امّا من تمام الوعد بمعنى انّه يسمع اقوالكم ويعلم
اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انّه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو
معاقبهم عليه (۱۳۲) صِبْغَةَ ٱللَّهِ اى صَبَغنا اللّه صِبْغته وهى فِطْرة اللّه الّتى فطر الناس عليها فانّها حلية
الانسان كما انّ الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا حُجّته او طهّر قلوبنا بالايمان تطهيرَهُ
وسمّاه صبغة لانّه ظهر اثره عليهم ظهورَ الصبغ على المصبوغ وتداخل فى قلوبهم تداخُلَ الصبغ الثوبَ
۲۰ او للمشاكلة فانّ النصارى كانوا يغمسون اولادهم فى ماء اصفر يسمّونه المعموديّة ويقولون هو تطهير
لهم وبه تحقّق نصرانيّتهم ونصبها على انّه مصدر مؤكّد لقوله آمنّا وقيل على الاغراء وقيل على البدل
من ملّة ابرهيم وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً لا صبغة احسن من صبغته وَنَحْنُ لَهُۥ عَابِدُونَ تعريض بهم
اى لا نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنّا وذلك يقتضى دخول قوله صبغة اللّه فى مفعول قولوا
ولمن ينصبها على الاغراء او البدل أن يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتّبعوا ملّة ابرهيم وقولوا آمنّا بدل
۲۵ اتّبعوا حتّى لا يلزم فكّ النظم وسوء الترتيب (۱۳۳) قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا اتجادلوننا فِي ٱللَّهِ فى شأنه واصطفائه
نبيّا من العرب دونكم روى انّ اهل الكتاب قالوا الانبياء كلّهم منّا فلو كنت نبيّا لكنت منّا فنزلت
وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لا اختصاص له بقوم دون قوم يُصيب برحمته من يشاء من عباده وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ
فلا يبعد ان يُكرِمنا باعمالنا كانّه الزمهم على كلّ مذهب ينتحونه إفحاما وتبكيتا فانّ كرامة النبوّة امّا

جزء ١ تفضّل من اللّه تعالى على من يشاء فالكلّ فيه سواء وامّا افاضة حقّ على المستعدّين لها بالمواظبة على
ركوع ١٦ الطاعة والتحلّي بالاخلاص فكما انّ لكم اعمالا ربّما يعتبرها اللّه فى اعطائها فلنا ايضا اعمال وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ
موحّدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم (١٣٤) أَمْ يَقُولُونَ إِنَّ إِبْرٰهِيمَ وَإِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ
كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى أمْ منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائيّ وحفص بالتاء
يحتمل ان تكون معادلة للهمزة فى اتحاجّوننا بمعنى اىّ الأمرين تأتون المحاجّة او انتحال اليهوديّة ٥
والنصرانيّة على الانبياء قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللّٰهُ وقد نفى الامرين عن ابرٰهيم بقوله ما كان ابرٰهيم يهوديّا
ولا نصرانيّا واحتجّ عليه بقوله وما انزلت التورية والانجيل الّا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه
فى الدين وفاقا وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ ٱللّٰهِ يعنى شهادة اللّه لابرٰهيم بالحنيفيّة والبراءة عن
اليهوديّة والنصرانيّة والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانّهم كتموا هذه الشهادة او منّا لو كتمنا
هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة اللّه لمحمّد بالنبوّة فى كتبهم وغيرها ، ومن للابتداء ١٠
كما فى قوله تعالى براءة من اللّه وَمَا ٱللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وعيد لهم وقرئ بالياء (١٣٥) تِلْكَ أُمَّةٌ
قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ تكرير للمبالغة فى التحذير
والزجر عمّا استحكم فى الطباع من الافتخار بالآباء والاتّكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفى
الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامّة فى الاوّل الانبياء وفى الثانى اسلاف اليهود والنصارى
جزء ٢ (١٣٦) سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَاءُ مِنَ ٱلنَّاسِ الّذين خفّت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد ١٥
ركوع ١ المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس
واعداد الجواب واظهار المعجزة مَا وَلَّاهُمْ ما صرفهم عَنْ قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا يعنى بيت المقدس ،
والقبلة فى الاصل الحالة الّتى عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجّه نحوه للصلوة
قُلْ لِلّٰهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ لا يختصّ به مكان دون مكان بخاصّيّة ذاتيّة تمنع اقامة غيره مقامه وانّما
العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه ٢٠
المصلحة من التوجّه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى (١٣٧) وَكَذٰلِكَ اشارة الى مفهوم الآية المتقدّمة
اى كما جعلناكم مهديّين الى الصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا اى
خيارا او عدولا مزكّين بالعلم والعمل وهو فى الاصل اسم للمكان الّذى تستوى اليه المساحة من
الجوانب ثمّ استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفى افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل
والشجاعة بين التهوّر والجبن ثمّ اطلق على المتّصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث ٢٥
كسائر الاسماء الّتى يوصف بها ، واستدلّ به على انّ الاجماع حجّة اذ لو كان فيما اتّفقوا عليه باطل

فعلمت به عدالتهم لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا علة للجعل اى لتعلموا جزء ٢
بالتأمّل فيما نصب لكم من الحُجَج وانزل عليكم من الكتاب انّه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل ركوع ١
أوضح السبل وارسل الرسل فبلّغوا ونصحوا ولكنّ الّذين كفروا حملهم الشقاء على اتّباع الشهوات والاعراض
عن الآيات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الّذين قبلكم وبعدكم روى انّ الأمم يومَ القيمة
٥ يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم اللّه تعالى ببيّنة التبليغ وهو اعلمُ اقامةً للحجّة على المُنكرين فيؤتى
بأمّة محمّد صلعم فيشهدون فتقول الأمم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار اللّه فى كتابه
الناطق على لسان نبيّه الصادق فيؤتى بمحمّد صلعم فيُسأل عن حال أمّته فيشهد بعدالتهم وهذه
الشهادة وان كانت لهم لكن لمّا كان الرسول كالرقيب المهيمن على امّته عُدّى بعلى وقدّمت الصلة
للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم (١٣٨) وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنْتَ عَلَيْهَا اى الجهة
١٠ الّتى كنت عليها وهى الكعبة فانّه عم كان يصلّى اليها بمكّة ثمّ لمّا هاجر أمر بالصلوة الى الصخرة تألّفا
لليهود او الصخرةُ لقول ابن عبّاس كانت قبلته بمكّة بيت المقدس الّا انّه كان يجعل الكعبة بينه
وبينه فالمخبَر به على الاوّل الجعل الناسخ وعلى الثانى المنسوخ والمعنى انّ أَصْلَ امرك أَنْ تستقبل الكعبة
وما جعلنا قبلتك بيت المقدس إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ الّا لنمتحن الناس
ونعلم من يتّبعك فى الصلوة اليها ممّن يرتدّ عن دينك إلفا لقبلة آبائه او لنعلم الآن من يتّبع الرسول
١٥ ممّن لا يتّبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاوّل معناه ما رددناك الى الّتى كنت عليها الّا لنعلم
الثابت على الاسلام ممّن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فانْ قيل كيف يكون علمه تعالى غاية
الجعل وهو لمْ يزل عالما قلتُ هذا وأشباهه باعتبار التعلّق الحالىّ الّذى هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلّق
علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنّه اسند الى نفسه لانّهم خواصّه او لنميّز الثابت
من المتزلزل كقوله ليميز اللّه الخبيث من الطيّب فوضع العلم موضع التمييز المسبّب عنه ويشهد له
٢٠ قراءة لِيُعْلَمَ على البناء للمفعول والعلم إمّا بمعنى المعرفة او معلّقٌ لما فى مَنْ من معنى الاستفهام او
مفعوله الثانى ممّن ينقلب اى لنعلم من يتّبع الرسول متميّزا ممّن ينقلب وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إنْ هى
المخفّفة من الثقيلة واللام هى الفاصلة وقال الكوفيّون هى النافية واللام بمعنى الّا ، والضمير لما دلّ عليه
قوله وما جعلنا القبلة الّتى كنت عليها من الجعلة او الردّة او التحويلة او التولية او للقبلة ، وقُرئ
لَكَبِيرَةٌ بالرفع فتكون كان زائدة إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللّٰهُ الى حكمة الأحكام الثابتين على الايمان والاتّباع
٢٥ وَمَا كَانَ ٱللّٰهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ اى ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة وصلاتكم اليها لما
روى انّه عم لمّا وُجّه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول اللّه قبل التحويل من إخواننا فنزلت
إِنَّ ٱللّٰهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ فلا يُضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ، ولعلّه قدّم الرءوف وهو ابلغ محافظة
على الفواصل ، وقرأ الحرميّان وابن عامر وحفص لَرَءُوفٌ بالمدّ والباقون بالقصر (١٣٩) قَدْ نَرَى ربّما نرى

جزء ٢ تقلّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ تردّد وجهك في جهة السماء تطلّعا للوحي وكان رسول الله صلعم يقع في روعه
ركوع ١ ويتوقّع من ربّه ان يحوّله الى الكعبة لانّها قبلة ابيه ابرٰهيم واقدم القبلتين وأدعى للعرب الى الايمان ولمخالفة
اليهود وذلك يدلّ على كمال أدبه حيث انتظر ولم يسأل فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً فلنمكّننّك من استقبالها من
قولك وليته كذا اذا صيّرته واليا له او فلنجعلنّك تلي جهتها تَرْضَاهَا تحبّها وتتشوّق اليها لمقاصد
دينيّة وافقت مشيّئة الله وحكمته فَوَلِّ وَجْهَكَ اصرف وجهك شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ نحوه وقيل الشَّطْر ٥
في الاصل لما انفصل عن الشيء من شَطَرَ اذا انفصل ودارٌ شَطُورٌ اي منفصلة عن الدور ثمّ استعمل لجانبه
وان لم ينفصل كالقُطْر ، والحرام المحرّم اي محرّم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرّضوه ، وانّما ذكر
المسجد دون الكعبة لانّه عم كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فانّ استقبال عينها حَرَجٌ عليه
بخلاف القريب روى انّه عم قدم المدينة فصلّى نحو بيت المقدس ستّة عشر شهرا ثمّ وُجّه الى الكعبة في
رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلّى باصحابه في مسجد بني سَلِمَة ركعتين من الظهر ١٠
فتحوّل في الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمّى المسجد مسجد القبلتين
وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ خصّ الرسول بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثمّ عمّم تصريحا
بعموم الحكم وتأكيدا لامر القبلة وتحضيضا للأمّة على المتابعة وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ
ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ جملة لعلمهم بانّ عادة الله تعالى تخصيص كلّ شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمّن كتبهم
انّه صلعم يصلّي الى القبلتين ، والضمير للتحويل او التوجّه وَمَا ٱللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وعد ووعيد ١٥
للفريقين ، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالياء (١٤٠) وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ برهان
وحجّة على انّ الكعبة قبلة ، واللام موطّئة للقسم مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ جوابٌ للقسم المضمر سادٌّ مسدّ جواب
الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بالحجّة وانّما خالفوك مكابرة وعنادا وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ
قطعٌ لأطماعهم فانّهم قالوا لو ثبتّ على قبلتنا لكنّا نرجو ان تكون صاحبنا الّذي ننتظره تغريرا له
وطمعا في رجوعه وقبلتهم وان تعدّدت لكنّها متّحدة بالبطلان ومخالفة الحقّ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ٢٠
فانّ اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يُرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك
لتصلّب كلّ حزب فيما هو فيه وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ على سبيل الفرض
ع
والتقدير اي ولئن اتّبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحقّ وجاءك فيه الوحي إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ ٱلظَّالِمِينَ واكّد
تهديده وبالغ فيه من سبعة أوجه ١ الاتيان باللام الموطّئة للقسم ٢ القسم المضمر ٣ حرف التحقيق وهي
انّ ٤ تركيبه من جملة فعليّة وجملة اسميّة ٥ الاتيان باللام في الخبر ٦ جعله من الظالمين ولم يقل انّك ٢٥
ظالم لانّ في الاندراج معهم ايهاما بحصول انواع الظلم ٧ التقييد بمجيء العلم تعظيما للحقّ المعلوم
وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء (١٤١) ٱلَّذِينَ

جزء ٢ ركوع ١

آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يعنى علماءهم يَعْرِفُونَهُ الضمير لرسول الله صلعم وإنْ لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه
وقيل للعلم او القرآن او التحويل كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ يشهد للاوّل اى يعرفونه بأوصافه كمعرفتهم ابناءهم
لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر رضه انّه سأل عبد الله بن سلام رضه عن رسول الله صلعم فقال انا
أَعْلَمُ به منّى بابنى قال وَلِمَ قال لانّى لست اشكّ فى محمّد انّه نبىّ وأمّا ولدى فلعلّ والدته خانت

وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن (١٤٢) ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ
كلام مستأنف والحقّ امّا مبتدأ خبره من ربّك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الحقّ
الّذى يكتمونه او للجنس والمعنى انّ الحقّ ما ثبت انّه من الله تعالى كالّذى انت عليه لا ما لم يثبت
كالّذى عليه اهل الكتاب وامّا خبر مبتدأ محذوف اى هو الحقّ ومن ربّك حال او خبر بعد خبر
وقرئ بالنصب على انّه بدل من الاوّل او مفعول يعلمون فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ الشاكّين فى انّه من
ربّك او فى كتمانهم الحقّ عالمين به وليس المراد نهى الرسول عن الشكّ فيه لانّه غير متوقّع منه وليس
بقصد واختيار بل امّا تحقيق الامر وانّه بحيث لا يشكّ فيه ناظر او امر الامّة باكتساب المعارف المزيحة
للشكّ على الوجه الابلغ (١٤٣) وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ ولكلّ امّة قبلة او لكلّ قوم من المسلمين جهة وجانب من

ركوع ٢

الكعبة والتنوين بدل الاضافة هُوَ مُوَلِّيهَا احد المفعولين محذوف اى هو مولّيها وجهه او الله تعالى
مولّيها ايّاه وقرئ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ بالاضافة والمعنى وكلّ وجهة الله مولّيها اهلها واللام مزيدة للتأكيد
جبرا لضعف العامل وقرأ ابن عامر مُوَلَّاهَا اى هو مولّى تلك الجهة قد وليها فَٱسْتَبِقُوا ٱلْخَيْرَاتِ من امر
القبلة وغيره ممّا ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهى المسامتة للكعبة أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ
بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فى اىّ موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء ومفترقها يحشركم الله الى
المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من
الجهات المتقابلة يأت بكم الله جميعا ويجعل صلواتكم كأنّها الى جهة واحدة إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع (١٤٤) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ ومن اىّ مكان خرجت للسفر فَوَلِّ وَجْهَكَ
شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ اذا صلّيت وَإِنَّهُ وانّ هذا الامر لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وقرأ
ابو عمرو بالياء والباقون بالتاء (١٤٥) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا
كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ كرّر هذا الحكم لتعدّد علله فانّه تعالى ذكر للتحويل ثلاث علل تعظيم
الرسول بابتغاء مرضاته وجرى العادة الالهيّة على ان يولّى كلّ اهل ملّة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها
ويتميّز بها ودفع حجج المخالفين على ما نبيّنه وقرن بكلّ علّة معلولها كما يقرن المدلول بكلّ واحد
من دلائله تقريبا وتقريرا مع انّ القبلة لها شأن والنسخ من مظانّ الفتنة والشبهة فبالحرىّ ان يؤكّد
امرها ويعاد ذكرها مرّة بعد اخرى لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ علّة لقوله فولّوا والمعنى انّ التولية

جزء ٢ عن الصخرة الى الكعبة لتدفع احتجاج اليهود بانّ المنعوت فى التورية قبلته الكعبة وانّ محمّدا يجحد
ركوع ٢ ديننا ويتبعنا فى قبلتنا والمشركين بانّه يدّعى ملّة ابرٰهيم ويخالف قبلته إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ استثناء
من الناس اى لئلّا يكون لاحد من الناس حجّة إلّا المعاندين منهم فانّهم يقولون ما تحوّل الى الكعبة
الّا ميلا الى دين قومه وحبّا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمّى هذه
حجّة كقوله تعالى حجّتهم داحضة لانّهم يسوقونها مساقها وقيل الحجّة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء ٥
للمبالغة فى نفى الحجّة رأسا كقوله

ولا عَيْبَ فيهم غير أنّ سيوفهم   بهنّ فلولٌ من قِراع الكتائب

للعلم بانّ الظالم لا حجّة له وقرئ أَلَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا على انّه استيناف بحرف التنبيه فَلَا تَخْشَوْهُمْ فلا
تخافوهم فانّ مَطاعنهم لا تضرّكم وَٱخْشَوْنِي فلا تخالفوا ما امرتكم به وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
علّة محذوف اى وامرتكم لاتمامى النعمة عليكم وارادتى اهتداءكم او عطف على علّة مقدّرة مثل ١٠
واخشونى لأحفظكم عنهم ولأتمّ نعمتى عليكم او لئلّا يكون وفى الحديث تمام النعمة دخول الجنّة وعن
علىّ رضه تمام النعمة الموت على الاسلام (١٤٦) كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ متّصل بما قبله اى ولأتمّ نعمتى
عليكم فى امر القبلة او فى الآخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده اى كما ذكّرتكم بالارسال
فاذكرونى يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ يحملكم على ما تصيرون به ازكياء قدّمه باعتبار القصد
واخّره فى دعوة ابرٰهيم باعتبار الفعل وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ بالفكر ١٥
والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحى وكرّر الفعل ليدلّ على انّه جنس آخر (١٤٧) فَاذْكُرُونِي بالطاعة
أَذْكُرْكُمْ بالثواب وَٱشْكُرُوا لِي ما انعمت به عليكم وَلَا تَكْفُرُونِ بجحد النعم وعصيان الامر

ركوع ٣ (١٤٨) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ عن المعاصى وحظوظ النفس وَٱلصَّلَوٰةِ التى هى امّ العبادات
ومعراج المؤمنين ومناجاة ربّ العالمين إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ بالنصر واجابة الدعوة (١٤٩) وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ
يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَاتٌ اى هم اموات بَلْ أَحْيَاءٌ اى بل هم احياء وَلَٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ما حالهم وهو ٢٠
تنبيه على انّ حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحسّ به من الحيوانات وانّما هى امر لا يدرك
بالعقل بل بالوحى وعن الحسن انّ الشهداء احياء عند اللّٰه تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم
الرّوح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوّا وعشيّا فيصل اليهم الالم والوجع والآية
نزلت فى شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على انّ الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما
يحسّ به من البدن تبقى بعد الموت درّاكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الآيات والسنن ٢٥
وعلى هذا فالتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من اللّٰه تعالى ومزيد البهجة والكرامة (١٥٠) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ
ولنصيبنّكم اصابة من يختبر احوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بِشَيْءٍ مِنَ ٱلْخَوْفِ

جزء ٢ — ركوع ٣

وَٱلْجُوعِ اى بقليل من ذلك وانّما قلّله بالاضافة الى ما وقاهم عنه ليخفّف عليهم ويريهم انّ رحمته لا
تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم فى الآخرة وانّما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطّنوا عليه
نفوسهم وَنَقْصٍ مِنَ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَنْفُسِ وَٱلثَّمَرَاتِ عطف على شىء او الخوف وعن الشافعىّ رحمه الخوف خوف
اللّه والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت
٥ الاولاد وعن النبىّ صلعم اذا مات ولد العبد قال اللّه للملائكة أقبضتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول
اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول اللّه ما ذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول اللّه ابنوا
لعبدى بيتا فى الجنّة وسمّوه بيت الحمد وَبَشِّرِ ٱلصَّابِرِينَ (١٥١) ٱلَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا
إِلَيْهِ رَاجِعُونَ الخطاب للرسول او لمن يتأتّى منه البشارة ، والمصيبة تعمّ ما يصيب الانسان من مكروه
لقوله عم كلّ شىء يؤذى المؤمن فهو له مصيبة ، وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل وبالقلب بأن يتصوّر
١٠ ما خلق لاجله وانّه راجع الى ربّه ويتذكّر نعم اللّه عليه ليرى انّ ما ابقى عليه أضعاف ما استردّه منه
فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشّر به محذوف دلّ عليه (١٥٢) أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ
الصلوة فى الاصل الدعاء ومن اللّه التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوّعها ، والمراد بالرحمة
اللطف والاحسان ، وعن النبىّ صلعم من استرجع عند المصيبة جبر اللّه مصيبته واحسن عقباه وجعل
له خلفا صالحا يرضاه وَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ للحقّ والصواب حيث استرجعوا وسلّموا لقضاء اللّه تعالى
١٥ (١٥٣) إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ هما علما جبلين بمكّة مِنْ شَعَائِرِ ٱللّٰهِ من أعلام مناسكه جمع شعيرة وهى العلامة
فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ الحجّ لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على
الوجهين المخصوصين فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا كان إساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل
الجاهليّة اذا سعوا مسحوهما فلمّا جاء الاسلام وكسر الاصنام تحرّج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك
فنزلت والاجماع على انّه مشروع فى الحجّ والعمرة وانّما الخلاف فى وجوبه فعن احمد انّه سنّة وبه قال
٢٠ انس وابن عبّاس لقوله فلا جناح فانّه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لانّ نفى الجناح يدلّ على الجواز
الداخل فى معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابى حنيفة انّه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعىّ
انّه ركن لقوله عم اسعوا فانّ اللّه كتب عليكم السعى وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا اى فعل طاعة فرضا كان او
نفلا او زاد على ما فرض عليه من حجّ او عمرة او طواف او تطوّع بالسعى إن قلنا انّه سنّة ، وخيرا
نصب على انّه صفة مصدر محذوف او بحذف الجارّ وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمّنه معنى
٢٥ أتى او فعل ، وقرأ حمزة والكسائىّ ويعقوب يَطَّوَّعْ واصله يتطوّع فأدغم مثل يطّوّف فَإِنَّ ٱللّٰهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ
مثيب على الطاعة لا تخفى عليه (١٥٤) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ كأحبار اليهود مَا أَنْزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَاتِ كالآيات
الشاهدة على امر محمّد صلعم وَٱلْهُدَىٰ وما يهدى الى وجوب اتّباعه والايمان به مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ

جزء ٢ لخصناه فِي ٱلْكِتَابِ فى التورية أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّاعِنُونَ اى الذين يتأتّى منهم اللعن عليهم
ركوع ٣ من الملائكة والثقلين (١٥٥) إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا عن الكتمان وسائر ما يجب ان يُتاب عنه وَأَصْلَحُوا ما افسدوا
بالتدارك وَبَيَّنُوا ما بيّنه الله فى كتابهم لتتمّ توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن
انفسهم ويقتدى بهم أضرابهم فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ بالقبول والمغفرة وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ المبالغ فى قبول
التوبة وافاضة الرحمة (١٥٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ اى ومن لم يتب من الكاتمين حتّى مات ٥
أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَائِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ استقرّ عليهم لعنة الله ومن يُعتدّ بلعنه من خلقه
وقيل الاوّل لَعْنهم أحياء وهذا لعنهم أمواتا ، وقرئ والملائكةُ والناسُ اجمعون عطفا على محلّ اسم الله
لانّه فاعل فى المعنى كقولك اعجبنى ضربُ زيدٍ وعمرٌو او فاعلا لفعل مقدّر نحو ويلعنهم الملائكة
(١٥٧) خَالِدِينَ فِيهَا اى فى اللعنة او النار واضمارُها قبل الذكر تفخيما لشأنها وتهويلا او اكتفاء بدلالة
اللعن عليها لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ لا يُمهلون او لا يُنتظرون ليعتذروا او لا يُنظر ١٠
اليهم نظرَ رحمة (١٥٨) وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ خطاب عامّ اى المستحقّ منكم العبادةَ واحدٌ لا شريك له يصحّ
أن يُعبَد او يسمّى إلها لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ تقرير للوحدانيّة وازاحة لأن يتوهّم انّ فى الوجود إلها ولكن لا
يستحقّ منهم العبادة ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ كالحجّة عليها فانّه لمّا كان مولىَ النعم كلّها اصولها وفروعها وما
سواه امّا نعمة او مُنعَم عليه لم يستحقّ العبادة احد غيره وهما خبران آخران لقوله إلهكم او لمبتدأ
محذوف ، قيل لمّا سمعه المشركون تعجّبوا وقالوا ان كنت صادقا فأتِ بآية نعرف بها صدقك فنزلت ١٥
ركوع ٤ (١٥٩) إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ انّما جمع السموات وافرد الارض لأنّها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة
بالحقيقة بخلاف الأرضين وَٱخْتِلَافِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ تعاقبهما كقوله تعالى جعل الليل والنهار خِلفة وَٱلْفُلْكِ
ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ ٱلنَّاسَ اى بنفعهم او بالّذى ينفعهم والقصدُ به الى الاستدلال بالبحر
واحواله وتخصيصُ الفلك بالذكر لانّه سبب الخوض فيه والاطّلاع على عجائبه ولذلك قدّمه على ذكر
المطر والسحاب لانّ منشأهما البحر فى غالب الامر وتأنيث الفلك لانّه بمعنى السفينة وقرئ بضمّتين على ٢٠
الاصل او الجمع وضمّة الجمع غير ضمّة الواحد عند المحقّقين وَمَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ من الاولى
للابتداء والثانية للبيان ، والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلوّ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
بالنبات وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ عطف على انزل كانّه استدلّ بنزول المطر وتكوين النبات به وبثّ
الحيوان فى الارض او على احيا فانّ الدوابّ ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا ، والبثّ النشر والتفريق
وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَاحِ فى مهابّها واحوالها ، وقرأ حمزة والكسائىّ على الافراد وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ ٢٥

جزء ٢ لا يزول ولا ينقشع مع انّ الطبع يقتضى احدها حتّى يأتى امر اللّه وقيل مسخّرٍ الرياح تقلّبه فى الجوّ
ركوع ٤ بمشيئة اللّه تعالى واشتقاقه من السحب لانّ بعضه يجرّ بعضا لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ يتفكّرون فيها
وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه صلعم ويل لمن قرأ هذه الآية فمجّ بها اى لم يتفكّر فيها ، واعلم
انّ دلالة هذه الآيات على وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصّلا والكلام المُجمل
انّها امور ممكنة وُجِد كلّ منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وأنحاء مختلفة اذ كان من الجائز
مثلا ان لا تتحرّك السموات او بعضها كالارض وان تتحرّك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة
مارّة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا وعلى هذا الوجه لبساطتها وتساوى اجزائها فلا
بدّ لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته متعاليا عن معارضة
غيره اذ لو كان معه إله يقدر على ما يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع
١٠ المؤثّرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجّح وعجز الآخر المُنافي لالهيّته وان
اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الّا اللّه لفسدتا ، وفى الآية
تنبيهٌ على شرف علم الكلام واهله وحثٌّ على البحث والنظر فيه (١٦٠) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ ٱللّٰهِ
أَنْدَادًا من الاصنام وقيل من الرؤساء الّذين كانوا يُطيعونهم لقوله تعالى اذ تبرّأ الّذين اتُّبعوا من
الّذين آتّبعوا ولعلّ المراد اعمّ منهما وهو ما يشغله عن اللّه يُحِبُّونَهُمْ يعظّمونهم ويُطيعونهم كَحُبِّ ٱللّٰهِ
١٥ كتعظيمه والميل الى طاعته اى يسوّون بينه وبينهم فى المحبّة والطاعة ، والمحبّة ميل القلب من الحَبّ
استعير لحبّة القلب ثمّ اشتقّ منه الحُبّ لانّه اصابها ورسخ فيها ومحبّة العبد للّه ارادة طاعته والاعتناء
بتحصيل مراضيه ومحبّة اللّه للعبد ارادة إكرامه واستعماله فى الطاعة وصَونه عن المعاصى وَٱلَّذِينَ آمَنُوا
أَشَدُّ حُبًّا لِلّٰهِ لانّه لا تنقطع محبّتهم للّه بخلاف محبّة الانداد فانّها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب
ولذلك كانوا يَعدلون عن آلهتهم الى اللّه عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثمّ يرفضونه الى غيره
٢٠ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ولو يعلم هؤلاء الّذين ظلموا باتّخاذ الانداد إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ اذ عاينوه يوم
القيمة واجرى المستقبل مجرى الماضى لتحقّقه كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنّة أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعًا سادّ
مسدّ مفعولَى يرى وجوابُ لو محذوف اى لو يعلمون انّ القوّة للّه جميعا اذ عاينوا العذاب لندموا
اشدّ الندم وقيل هو متعلّق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يرى الّذين ظلموا اندادهم لا
تنفع لعلموا انّ القوّة للّه كلّها لا ينفع ولا يضرّ غيره ، وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب وَلَوْ تَرَى على انّه خطاب
٢٥ للنبىّ اى ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وابن عامر إِذْ يُرَوْنَ على البناء للمفعول ويعقوب إِنّ بالكسر
وكذا وَأَنَّ ٱللّٰهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ على الاستيناف او اضمار القول (١٦١) إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا
بدل من اذ يرون اى اذ تبرّأ المتبوعون من الأتباع ، وقرئ بالعكس اى الأتباع من الرؤساء وَرَأَوُا ٱلْعَذَابَ

جزء ٢ اى رائين له فالواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرّأ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ يحتمل العطف على
ركوع ٤ تبرّأ او رأوا والواو للحال والاوّل اظهر ، والأسباب الوُصَل التى كانت بينهم من الاتّباع والاتفاق على
الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الّذى يُرتقى به الشجر ، وقرئ وتُقُطِّعَتْ على
البناء للمفعول (١٦٢) وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا لو للتمنّى ولذلك
أُجيب بالفاء اى ليت لنا كرّة الى الدنيا فنتبرّأ منهم كَذَٰلِكَ مثل ذلك الإراء الفظيع يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ٥
حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ندامات وهى ثالث مفاعيل يرى إن كان من رؤية القلب وإلّا فحال وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ
اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة فى الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا
ركوع ٥ (١٦٣) يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَالًا نزلت فى قوم حرّموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس ،
وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال من ما فى الارض ، ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كلّ ما فى
الارض طَيِّبًا يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دلّ على الاوّل وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ لا ١٠
تقتدوا به فى اتّباع الهوى فتحرّموا الحلال وتحلّلوا الحرام ، وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والبزّى وابو بكر
حيث وقع بتسكين الطاء وهما لغتان فى جمع خُطْوة وهى ما بين قدمَى الخاطى وقرئ بضمّتين وهمزة
جُعلت ضمّة الطاء كأنّها عليها وبفتحتين على انّه جمع خَطْوة وهى المرّة من الخطو إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ
ظاهر العداوة عند ذوى البصيرة وإن كان يُظهر الموالاة لمن يُغويه ولذلك سمّاه وليّا فى قوله تعالى اولياؤهم
الطاغوت (١٦٤) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ بيان لعداوته ووجوب التحرّز عن متابعته واستعير الامر ١٥
لتزيينه وبعثه لهم على الشرّ تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم ، والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه
الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانّه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء لاستقباحه ايّاه وقيل السوء
يعمّ القبائح والفحشاء ما يجاوز الحدّ فى القبح من الكبائر وقيل الاوّل ما لا حدّ فيه والثانى ما
شُرع فيه الحدّ وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ كاتّخاذ الانداد وتحليل المحرّمات وتحريم الطيّبات
وفيه دليل على المنع من اتّباع الظنّ رأسا وأمّا اتّباع المجتهد لما ادّى اليه ظنّ مستنِدٌ الى مَدْرك شرعىّ ٢٠
فوجوبه قطعىّ والظنّ فى طريقه كما بيّنّاه فى الكتب الاصوليّة (١٦٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ
الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم للنداء على ضلالهم كأنّه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء
الحمقى ما ذا يجيبون قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ما وجدناهم عليه نزلت فى المشركين أُمروا
باتّباع القرآن وسائر ما انزل اللّه من الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد وقيل فى طائفة من اليهود دعاهم
رسول اللّه صلعم الى الاسلام فقالوا بل نتّبع ما الفينا عليه آباءنا لانّهم كانوا خيرا منّا وأعلم وعلى هذا ٢٥
فيعمّ ما انزل اللّه التورية لانّها ايضا تدعو الى الاسلام أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ الواو
للحال او العطف والهمزة للردّ والتعجيب وجواب لو محذوف اى لو كان آباؤهم جهلة لا يتفكّرون فى
امر الدين ولا يهتدون الى الحقّ لاتّبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد

جزء ٢ ولمّا اتّباع الغير في الدين اذا علم بدليل ما انّه محقّ كالانبياء والمجتهدين في الأحكام فهو في الحقيقة ليس

ركوع ٥ بتقليد بل اتّباع لما انزل الله (١٧١) وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً على حذف مضاف تقديره ومثل داعى الذين كفروا كمثل الذى ينعق او مثل الذين كفروا كمثل بهائم الذى ينعق والمعنى انّ الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون أذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتأمّلون

٥ فيما يقرّر معهم فهم في ذلك كالبهائم الّتى يُنْعَق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مَغْزاه وتحسّ بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم الّتى تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغني عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله الّا دعاء ونداء لانّ الاصنام لا تسمع الّا ان يجعل ذلك من باب التمثيل المركّب صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ رفع على الذمّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ اى بالفعل للاخلال بالنظر

١٠ (١٧٢) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ لمّا وسّع الامر على الناس كافّة وأباح لهم ما في الارض سوى ما حرّم عليهم أمرَ المؤمنين منهم ان يتحرّوا طيّبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال وَٱشْكُرُوا لِلَّهِ على ما رزقكم واحلّ لكم إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ان صحّ انّكم تخصّونه بالعبادة وتقرّون انّه مولى النعم فانّ عبادته لا تتمّ الّا بالشكر فالمعلّق بفعل العبادة هو الامر بالشكر لاتمامه وهو عدم عند عدمه وعن النبيّ صلعم يقول الله تعالى انّي والانس والجنّ في نبأ عظيم أخْلُقُ ويُعْبَدُ غيري وأرزُق ويُشكر غيري

١٥ (١٧٣) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ أكلها او الانتفاع بها وهى الّتى ماتت من غير ذكاة والحديث ألحق بها ما أُبين من حىّ والسمك والجراد اخرجهما العُرْف عنها او استثناء الشرع والحُرْمة المضافة الى العين تفيد عُرْفا حرمة التصرّف فيها مطلقا الّا ما خصّه الدليل كالتصرّف في المدبوغ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنْزِيرِ انّما خصّ اللحم بالذكر لانّه مُعْظَمُ ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه كالتابع له وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ ٱللَّهِ اى رُفِعَ به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال يقال أهَلَّ الهلالُ وأهْلَلْتُ لكن لمّا

٢٠ جرت العادة بأن يُرْفَع الصوت بالتكبير اذا رُئى سمّى ذلك اهلالا ثمّ قيل لرفع الصوت وان كان لغيره فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ بالاستيثار على مضطرّ آخر، وقرأ عاصم وابو عمرو وحمزة بكسر النون وَلَا عَادٍ سدّ الرمق او الجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصى بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعيّ وقول احمد فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ في تناوله إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ لما فعل رَحِيمٌ بالرخصة فيه فانْ قيل انّما تفيد قصرَ الحُكْم على ما ذُكر وكم من حرام لم يُذْكر قلت المراد قصرُ الحرمة على ما ذُكر

٢٥ ممّا استحلّوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانّه قيل انّما حرّم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطرّوا اليها (١٧٤) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا عوضا حقيرا

أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ امّا في الحال لانّهم اكلوا ما يتلبّس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانّه أكْلُ النار كقوله

جزء ٢ اكلت دما ان لم أرعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

ركوع ٥ يعني الدية او في المآل اى لا يأكلون يوم القيمة الّا النار ، ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه كقوله

كلوا في بعض بطنكم تعفوا

وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابلهم في الكرامة والزلفى ٥
وَلَا يُزَكِّيهِمْ ولا يثني عليهم وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مؤلم (١٧٠) أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ في الدنيا
وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ في الآخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ تعجب من
حالهم في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة ، وما تامّة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم
شرّ أهرّ ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف (١٧١) ذَٰلِكَ بِأَنَّ
ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ اى ذلك العذاب بسبب انّ الله نزّل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب والكتمان ١٠
وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ اللام فيه امّا للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض
او للعهد والاشارة امّا الى التورية واختلفوا بمعنى تخلّفوا عن المنهج المستقيم في تأويلها او خلّفوا
خلاف ما انزل الله مكانه اى حرّفوا ما فيها وامّا الى القران واختلافهم فيه قولهم سحرٌ وتقوّل وكلام
ركوع ٦ علّمه بشر واساطير الاوّلين لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ لفي خلاف بعيد عن الحق (١٧٢) لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟
وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ البرّ كلّ فعل مرضيّ والخطاب لاهل الكتاب فانّهم اكثروا الخوض في امر ١٥
القبلة حين حوّلت وادّعى كلّ طائفة انّ البرّ هو التوجّه الى قبلته فردّ الله عليهم وقال ليس البرّ ما انتم
عليه فانّه منسوخ ولكنّ البرّ ما بيّنته واتّبعه المؤمنون وقيل عامّ لهم وللمسلمين اى ليس البرّ مقصورا
بامر القبلة او ليس البرّ العظيم الّذى يحسن أن تذهلوا بشأنه عن غيره أمرها ، وقرأ حمزة وحفص البرّ
بالنصب وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ اى ولكنّ البرّ الّذى ينبغى
ان يهتمّ به برّ من آمن او ولكنّ ذا البرّ من آمن ويؤيّده قراءة من قرأ ولكنّ البارّ والاوّل اوفق ٢٠
واحسن ، والمراد بالكتاب الجنس او القران ، وقرأ نافع وابن عامر ولكنِ بالتخفيف ورفع البرّ
وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ اى على حبّ المال كما قال عم لمّا سئل اىّ الصدقة افضل قال أن تؤتيه وانت صحيح
شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر والجارّ والمجرور في موضع الحال
ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ يريد المحاويج منهم ولم يقيّد لعدم الالباس وقدّم ذوى القربى لانّ ايتاءهم احقّ
كما قال عم صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذى رحمك اثنتان صدقة وصلة وَٱلْمَسَٰكِينَ جمع المسكين ٢٥
وهو الّذى اسكنه الخلّة وأصله الدائم السكون كالمسكير للدائم السكر وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ المسافر سمّى به

لملازمته السبيل كما سمّى القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لانّ السبيل يرعف به وَٱلسَّائِلِينَ الذين جزء ٢
الجأهم الحاجة الى السؤال وقال عم للسائل حقّ وان جاء على فرسه وَفِى ٱلرِّقَابِ وفى تخليصها بمعاونة ركوع ٩
المكاتبين او فكّ الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ المفروضة وَآتَى ٱلزَّكَوٰةَ يحتمل ان يكون
المقصود منه ومن قوله وآتى المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاوّل بيان مصارفها ومن الثانى اداؤها
٥ والحثّ عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاوّل نوافل الصدقات او حقوقا كانت فى المال سوى الزكوة وفى الحديث
نسخت الزكوة كلّ صدقة وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا عطف على من آمن وَٱلصَّابِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ
نصب على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن الازهرىّ البأساء فى الاموال كالفقر والضرّاء
فى الانفس كالمرض وَحِينَ ٱلْبَأْسِ وقت مجاهدة العدوّ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا فى الدين واتّباع الحقّ وطلب
البرّ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ عن الكفر وسائر الرذائل ٭ والآية كما ترى جامعة للكمالات الانسانيّة بأسرها
١٠ دالّة عليها صريحا او ضمنا فانّها بكثرتها وتشعّبها منحصرة فى ثلاثة اشياء صحّة الاعتقاد وحسن المعاشرة
وتهذيب النفس وقد اشير الى الاوّل بقوله من آمن الى والنبيّين والى الثانى بقوله وآتى المال الى وفى الرقاب
والى الثالث بقوله واقام الصلوة الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده
وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحقّ واليه اشار بقوله عم من عمل بهذه الآية فقد استكمل
الايمان (١٧٣) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ
١٥ كان فى الجاهليّة بين حيّين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما تطوّل على الآخر فأقسموا لنقتلنّ الحرّ
منكم بالعبد والذكر بالانثى فلمّا جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلعم فنزلت فامرهم ان يتباوؤا
ولا تدلّ على ان لا يقتل الحرّ بالعبد والذكر بالانثى كما لا تدلّ على عكسه فانّ المفهوم حيث لم يظهر
للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بيّنّا ما كان الغرض وانّما منع مالك والشافعىّ رضى الله
عنهما قتل الحرّ بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره لما روى عن علىّ رضه انّ رجلا قتل عبده فجلده
٢٠ رسول الله صلعم ونفاه سنة ولم يُقِدْه به وروى عنه انّه قال من السنّة ان لا يُقتَل مسلم بذى عهد ولا
حرّ بعبد ولانّ ابا بكر وعمر رضى الله عنهما كانا لا يقتلان الحرّ بالعبد بين أظهر الصحابة من غير
نكير وللقياس على الاطراف ومن سلّم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله تعالى النفس بالنفس لانّه
حكاية ما فى التورية فلا يَنسخ ما فى القران واحتجّت الحنفيّة به على انّ مقتضى العمد القود وحده
وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يَصدُق عليه انّه وجب وكُتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب
٢٥ وغيره ليس نسخا لوجوبه ٭ وقرئ كَتَبَ على البناء للفاعل وَٱلْقِصَاصَ بالنصب وكذلك كلّ فعل جاء
فى القران فَمَنْ عُفِىَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ اى شىء من العفو لانّ عفا لازم وفائدته الاشعار بانّ بعض العفو
كالعفو التامّ فى اسقاط القصاص وقيل عُفِىَ بمعنى تُرِكَ وشىء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا
الشىء بمعنى تركه بل أعفاه وعفا يعدّى بعن الى الجانى والى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال
عفا الله عمّا سلف فاذا عُدّى به الى الذنب عدّى الى الجانى باللام وعليه ما فى الآية كانّه قيل فمن

جزء ٢ ركوع ٦

عفى له عن جنايته من جهة اخيه يعنى وَلِىّ الدم وذكره بلفظ الاخوّة الثابتة بينهما من الجنسيّة والاسلام ليَرِقّ له ويَعطف عليه فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ اى فليكن اتّباع او فالامر اتّباع والمراد به وصيّة العافى بأن يطالب الدية بالمعروف فلا يعنّف والمعفوّ عنه بأن يؤدّيها باحسان وهو ان لا يَمْطُل ولا يَبْخس وفيه دليل على انّ الدية احد مقتضى العَمْد والّا لما رتّب الامر بأدائها على مطلق العفو وللشافعىّ فى المسئلة قولان (١٧٤) ذَٰلِكَ اى الحكم المذكور فى العفو والدية تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ لما فيه من التسهيل والنفع قيل كُتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخُيّرت هذه الامّة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ اى قَتَل بعد العفو وأَخْذ الدية فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ فى الآخرة وقيل فى الدنيا بأن يُقتل لا محالة لقوله عم لا أُعافى احدا قَتَل بعد اخذ الدية (١٧٥) وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ كلام فى غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشىء محلّ ضدّه وعرّف القصاص ونكّر الحيوة ليدلّ على انّ فى هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لانّ العلم به يَردع القاتل عن القتل فيكون سبب حيوة نفسَيْن ولانّهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتُصّ من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سببا لحياتهم وعلى الاوّل فيه اضمار وعلى الثانى تخصيص وقيل المراد بالحيوة الاخرويّة فانّ القاتل اذا اقتُصّ منه فى الدنيا لم يؤاخَذ به فى الآخرة ، ولكم فى القصاص يحتمل أن يكونا خبرين لحيوة وأن يكون احدهما خبرا والآخر صلة له او حالا عن الضمير المستكنّ فيه ، وقرئ فِى ٱلْقَصَصِ اى فيما قُصّ عليكم من حكم القتل حيوة او فى القرآن حيوة للقلوب يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ذوى العقول الكاملة ناداهم للتأمّل فى حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ فى المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص فتكفّوا عن القتل (١٧٦) كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ اى حضر أسبابه وظهر أماراته إِن تَرَكَ خَيْرًا مالا وقيل مالا كثيرا لما روى عن علىّ رضه انّ مولى له اراد ان يوصى وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال اللّه تعالى ان ترك خيرا والخيرُ هو المال الكثير وعن عائشة رضى اللّه عنها انّ رجلا اراد ان يوصى فسألته كم مالك فقال ثلاثة آلاف فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انّما قال اللّه تعالى ان ترك خيرا وانّ هذا لَشىء يسير فاتركه لعيالك ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ مرفوعٌ بكُتب وتذكيرُ فعلها للفصل او على تأويل أَنْ يوصى او الايصاء ولذلك ذكّر الراجع فى قوله فمن بدّله والعامل فى اذا مدلولُ كتب لا الوصيّة لتقدّمه عليها وقيل مبتدأٌ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله

من يفعلِ الحسناتِ اللّهُ يشكرُها والشرُّ بالشرّ عند اللّه مِثلانِ

وردّ بانّه ان صحّ فمن ضرورات الشعر ، وكان هذا الحكم فى بدء الاسلام فنُسخ بآية المواريث وبقوله

جزء ٢ عم إنّ الله اعطى كلّ ذى حقّ حقّه ألا لا وصيّة لوارث وفيه نظرٌ لأنّ آية المواريث لا تعارضه بل تؤكّده
ركوع ٦ من حيث انّها تدلّ على تقديم الوصيّة مطلقا والحديث من الآحاد وتَلَقِّى الامّة له بالقبول لا يُلْحِقه
بالمتواتر ولعلّه احترز عنه من فسّر الوصيّة بما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم
الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله عليهم بِٱلْمَعْرُوفِ بالعدل فلا يفضّل الغنىّ ولا يجاوز
٥ الثلث حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ مصدر مؤكّد اى حقّ ذلك حقّا (١٧٧) فَمَنْ بَدَّلَهُ غيّره من الاوصياء والشهود
بَعْدَ مَا سَمِعَهُ وصل اليه وتحقّق عنده فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ فما اثم الايصاء المغيّر او التبديل
الّا على مبدّليه لانّهم الّذين حافوا وخالفوا الشرع إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ وعيد للمبدّل بغير حقّ
(١٧٨) فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ اى توقّع وعلم من قولهم اخاف أن تُرْسِل السماء * وقرأ حمزة والكسائىّ
ويعقوب وابو بكر مُوَصٍّ جَنَفًا ميلا بالخطأ فى الوصيّة أَوْ إِثْمًا تعمّدا للحيف فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ بين الموصى
١٠ لهم باجرائهم على نهج الشرع فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ فى هذا التبديل لانّه تبديل باطل الى حقّ بخلاف الاوّل
إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وعد للمُصْلِح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم
ركوع ٧ (١٧٩) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ يعنى الانبياء والامم من
لدن آدم وفيه توكيد للحكم وترغيب فى الفعل وتطييب على النفس * والصوم فى اللغة الامساك عمّا
تنازع اليه النفس وفى الشرع الامساك عن المفطرات فانّها معظم ما تشتهيه الانفس لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
١٥ المعاصى فانّ الصوم يكسر الشهوة الّتى هى مبدأها كما قال عم فعليه بالصوم فانّ الصوم له وِجاء او
الاخلال بأدائه لأصالته وقِدَمه (١٨٠) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ موقّتات بعدد معلوم او قلائل فانّ القليل من المال
يُعَدّ عدّا والكثير يُهال هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة
الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونُسِخ به وهو عاشوراء وثلاثة ايّام من
كلّ شهر او بِكَمَا كُتِبَ على الظرفيّة او على انّه مفعول ثانٍ لكتب عليكم على السعة وقيل معناه
٢٠ صومكم كصومهم فى عدد الايّام لما روى انّ رمضان كتب على النصارى فوقع فى برد او حرّ شديد فحوّلوه
الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفّارةً لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتانٍ اصابهم فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا
مرضا يضرّه الصوم او يعسر معه أَوْ عَلَى سَفَرٍ او راكب سفر وفيه ايماء بانّ من سافر فى أثناء اليوم لم يفطر
فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ فعليه صوم عدد ايّام المرض او السفر من ايّام اخر إن افطر فحذف الشرط والمضاف
والمضاف اليه للعلم بها وقرئ بالنصب اى فليصم عدّة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب
٢٥ واليه ذهب الظاهريّة وبه قال ابو هريرة وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُ وعلى المطيقين للصيام إن افطروا فِدْيَةٌ طَعَامُ
مِسْكِينٍ نصف صاع من برّ او صاعٌ من غيره عند فقهاء العراق ومُدّ عند فقهاء الحجاز رخّص لهم فى
ذلك اوّل الامر لمّا امروا بالصوم فاشتدّ عليهم لانّهم لم يتعوّدوه ثمّ نسخ * وقرأ نافع وابن عامر برواية

جزء ٢ ابن ذكوان باضافة الفدية الى الطعام وجمع المَسَاكِين وقرأ ابن عامر برواية هشام مَسَاكِينَ بغير
ركوع ٧ اضافة الفدية الى الطعام والباقون بغير اضافة وتوحيد المسكين وقرئ يُطَوَّقُونَهُ اى يكلّفونه او
يقلّدونه من الطَّوْق بمعنى الطاقة او القلادة ويَتَطَوَّقُونَهُ اى يتكلّفونه او يتقلّدونه ويُطَّوَّقُونَهُ بالادغام
ويُطَيَّقُونَهُ ويَطَّيَّقُونَهُ على انّ اصلهما يُطَيْوِقُونه ويَتَطَيْوَقُونه من فيعل وتفيعل بمعنى يطوّقونه ويتطوّقونه وعلى
هذه القراءات يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يُتْعِبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز فى الافطار ٥
والفدية فيكون ثابتا وقد أُوِّل به القراءة المشهورة اى يَصومونه جُهْدَهم وطاقتَهم فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا
فزاد فى الفدية فَهُوَ فالتطوّع او الخير خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا ايّها المطيقون او المطوّقون وجهدتم طاقتكم
او المرخّصون فى الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر خَيْرٌ لَكُمْ من الفدية او تطوّع الخير او منهما
ومن التأخير للقضاء إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ما فى الصوم من الفضيلة وبراءة الذمّة وجوابه محذوف دلّ عليه
ما قبله اى اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبّر علمتم انّ الصوم خير لكم من ذلك ١٠
(١٨١) شَهْرُ رَمَضَانَ مبتدأٌ خبرُه ما بعده او خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ تقديرُه ذلكم شهر رمضان او بدلٌ من
الصيام على حذف المضاف اى كتب عليكم الصيامُ صيامُ شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا
او على انّه مفعولُ وَأَنْ تَصُومُوا وفيه ضعفٌ او بدلٌ من ايّاما معدودات ٭ والشَّهْر من الشُّهْرة ٭ ورَمَضَانُ
مصدرُ رَمِضَ اذا احترق فأُضيف اليه الشهر وجُعل عَلَما ومُنع من الصرف للعَلَميّة والالف والنون كما
منع دَأْيَة فى ابن دَأْيَةَ عَلَما للغراب للعلميّة والتأنيث وقوله عم من صام رمضان فعلى حذف المضاف ١٥
لأمْن الالتباس وانّما سمّوه بذلك إمّا لارتماضهم فيه من حرّ الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او
لوقوعه ايّام رَمَض الحرّ حيثما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة ٱلَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْآنُ اى ابتدئ فيه
انزاله وكان ذلك ليلة القدر او أُنزل فيه جملةً الى السماء الدنيا ثم نُزّل منجّما الى الارض او أُنزل فى
شأنه القران وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبىّ صلعم نزلت صُحُف ابرٰهيم اوّل ليلة من رمضان
وانزلت التورية لستٍّ مضين والانجيل لثلاث عشرة والقران لاربع وعشرين ٭ والموصول بصلته خبرُ المبتدأ ٢٠
او صفتُه والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدأ بما تضمّن معنى الشرط ٭ وفيه اشعار بانّ الانزال فيه
سبب اختصاصه بوجوب الصوم هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ ٱلْهُدَى وَٱلْفُرْقَانِ حالان من القران اى انزل
وهو هدايةٌ للناس باعجازه وآياتٌ واضحاتٌ ممّا يهدى الى الحقّ ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحِكَم
والأحكام فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ فمن حضر فى الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن
شهد فيه فليصم فيه لكن وُضع المُظْهَر موضع المُضْمَر الاوّل للتعظيم ونُصب على الظرف وحُذف الجارّ ٢٥
ونُصب الضمير الثانى على الاتّساع وقيل فمن شهد منكم هلالَ الشهر فليصمه على انّه مفعول به كقولك
شهدت الجمعةَ اى صلاتَها فيكون وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ مخصّصا له لانّ المسافر
والمريض ممّن شهد الشهر ولعلّ تكريره لذلك او لئلّا يُتوهّم نسخه كما نُسخ قرينه يُرِيدُ ٱللّٰهُ بِكُمُ

جزء ٢ ركوع ٧

ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ اى يريد ان ييسّر عليكم ولا يعسّر فلذلك اباح الفطر للسفر والمرض
وَلِتُكْمِلُوا ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ علل لفعل محذوف دلّ عليه ما سبق اى
وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخّص بالقضاء ومراعاة عدّة ما افطر فيه والترخيص
لتكملوا العدّة الى آخرها على سبيل اللفّ فانّ قوله ولتكملوا علّة الامر بمراعاة العدّة ولتكبّروا علّة الامر
٥ بالقضاء وبيان كيفيّته ولعلكم تشكرون علّة الترخيص والتيسير او لافعال كلّ لفعله او معطوفة على
علّة مقدّرة مثل ليسهّل عليكم او لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر اى ويريد
بكم لتكملوا كقوله يريدون ليُطفئوا نور اللّه ، والمعنى بالتكبير تعظيم اللّه بالحمد والثناء عليه ولذلك
عدّى بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال ، وما يحتمل المصدر والخبر اى الذى
هداكم اليه ، وعن عاصم برواية ابى بكر وَلِتُكَمِّلُوا بالتشديد (١٨٢) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ
١٠ اى فقل لهم انّى قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطّلاعه على احوالهم بحال من
قرب مكانه منهم روى انّ اعرابيًّا قال لرسول اللّه صلعم أقريب ربّنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت
أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ تقرير للقرب ووعد للداعى بالاجابة فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي اذا دعوتهم للايمان
والطاعة كما اجيبهم اذا دعونى لمهمّاتهم وَلْيُؤْمِنُوا بِي امر بالثبات والمداومة عليه لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ راجين
اصابة الرشد وهو اصابة الحقّ وقرئ بفتح الشين وكسرها ، واعلم انّه تعالى لمّا امرهم بصوم الشهر
١٥ ومراعاة العدّة وحثّهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقّبه بهذه الآية الدالّة على انّه خبير باحوالهم
سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تأكيدًا له وحثًّا عليه ثمّ بيّن أحكام الصوم فقال
(١٨٣) أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ روى انّ المسلمين كانوا اذا أمسوا حلّ لهم الاكل
والشرب والجماع الى ان يصلّوا العشاء الآخرة او يرقدوا ثمّ انّ عمر رضه باشر بعد العشاء فندم واتى النبىّ
صلعم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت ، وليلة الصيام الليلة التى تصبح
٢٠ منها صائمًا ، والرّفث كناية عن الجماع لانّه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه
وعدّى بالى لتضمّنه معنى الافضاء وايثاره هنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سمّاه خيانة وقرئ ٱلرُّفُوثُ
هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ استيناف يبيّن سبب الاحلال وهو قلّة الصبر عنهنّ وصعوبة اجتنابهنّ
لكثرة المخالطة وشدّة الملابسة ولمّا كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كلّ منهما على صاحبه شبّه
باللباس قال الجعدى

٢٥ اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنّت فكانت عليه لباسا

او لانّ كلًّا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ تظلمونها
بتعريضها للعقاب وتنقيص حظّها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الك
فَتَابَ عَلَيْكُمْ لمّا تبتم ممّا اقترفتموه وَعَفَا عَنْكُمْ ومحا عنكم اثره فَٱلْآنَ بَاشِرُوهُنَّ لمّا نسخ عنكم التحريم

جزء ٢ وفيه دليل على جواز نسخ السنّة بالقرآن ، والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كنى به عن الجماع وَٱبْتَغُوا مَا
ركوع ٧ كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ واطلبوا ما قدّره لكم واثبته فى اللوح من الولد والمعنى انّ المباشر ينبغى ان يكون غرضه
الولد فانّه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهى عن العزل وقيل عن غير
المأتى والتقدير وابتغوا المحلّ الّذى كتب اللّه لكم وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ
٥ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ شبّه اوّل ما يبدو من الفجر المعترض فى الافق وما يمتدّ معه من غبش الليل
بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته
عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون مِنْ للتبعيض فانّ ما يبدو بعض الفجر
وما روى انّها نزلت ولم ينزل مِنَ ٱلْفَجْرِ فعمد رجالٌ الى خيطين ابيض واسود ولا يزالون يأكلون
ويشربون حتّى يتبيّنا لهم فنزلت انْ صحّ فلعلّه كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان الى وقت
١٠ الحاجة جائز او اكتفى اوّلا باشتهارهما فى ذلك ثمّ صرّح بالبيان لمّا التبس على بعضهم ، وفى تجويز
المباشرة الى الصبح دلالة على جواز تأخير الغسل اليه وصحّة صوم المُصْبِح جُنُبا ثُمَّ أَتِمُّوا ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ
بيانٌ لآخر وقته واخراجٌ لليل عنه فينفى صوم الوصال وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي ٱلْمَسَاجِدِ
معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث فى المسجد بقصد القربة ، والمراد بالمباشرة الوطئ وعن قتادة
كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثمّ يرجع فنهوا عن ذلك ، وفيه دليل على انّ الاعتكاف
١٥ يكون فى المسجد ولا يختصّ بمسجد دون مسجد وانّ الوطئ يحرم فيه ويفسده لانّ النهى فى العبادات
يوجب الفساد تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ اى الاحكام الّتى ذكرت فَلَا تَقْرَبُوهَا نهى ان يُقْرَب الحدُّ الحاجز بين
الحقّ والباطل لئلّا يدانى الباطلَ فضلا ان يُتخطّى كما قال عم انّ لكلّ ملك حمًى وانّ حمى اللّه محارمه
فمَنْ رتع حول الحمى يُوشِك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود اللّه
محارمه ومناهيه كَذٰلِكَ مثل ذلك التبيين يُبَيِّنُ ٱللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ مخالفة الاوامر والنواهى
٢٠ (١٨٤) وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِٱلْبَاطِلِ اى ولا يأكل بعضكم مالَ بعضٍ بالوجه الّذى لم يُبِحْه اللّه
تعالى وبَيْنَ نصب على الظرف او الحال من الاموال وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى ٱلْحُكَّامِ عطف على المنهىّ او نصب
باضمارِ أَنْ ، والادلاء الالقاء اى ولا تلقوا حكومتها الى الحُكّام لِتَأْكُلُوا بالتحاكم فَرِيقًا طائفة مِنْ أَمْوَالِ
ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ انّكم
مُبْطِلون فانّ ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روى انّ عَبْدانَ الحَضْرَمىّ ادّعى على امرئ القيس
٢٥ الكِنْدىّ قطعة ارض ولم يكن له بيّنة فحكم رسول اللّه صلعم بأن يحلف امرؤ القيس
فهمّ به فقرأ عليه صلعم انّ الّذين يشترون بعهد اللّه وايمانهم ثمنًا قليلا فارتدع عن اليمين وسلّم
الارض الى عبدان فنزلت وفيه دليل على انّ حكم القاضى لا ينفذ باطنا ويؤيّده قوله عم انّما انا بشر

جزء ٢ وانتم تختصمون الىّ ولعلّ بعضكم يكون أَلْحَنَ بحجّته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن
ركوع ٨ قضيتُ له بشيء من حقّ اخيه فانّما اقضي له قطعةً من نار (١٨٥) يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ سأله معاذ بن
جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بالُ الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثمّ يزيد حتّى يستوي ثمّ لا يزال ينقص
حتّى يعود كما بدأ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ فانّهم سألوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدّل
٥ امره فامره اللّه ان يجيب بانّ الحكمة الظاهرة في ذلك ان يكون مَعالمَ للناس يوقّتون بها امورهم ومعالم
للعبادات الموقّتة يُعْرَف بها اوقاتها وخصوصا الحجّ فانّ الوقت مراعًى فيه اداءً وقضاءً ، والمواقيت جمع
ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدّة والزمان انّ المدّة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدأها
الى منتهاها والزمان مدّة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا
قرأ ابو عمرو وورش وحفص بضمّ الباء والباقون بالكسر وَلٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَى قرأ نافع وابن عامر بتخفيف
١٠ لٰكن ورفعِ البرّ ، كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانّما يدخلون ويخرجون
من نَقْب او فُرْجة وراءه ويعدّون ذلك برّا فبيّن لهم انّه ليس ببرّ وانّما البرّ برُّ من اتّقى المحارم والشهوات
ووجهُ اتّصاله بما قبله أنّهم سألوا عن الامرين او أنّه لمّا ذكر انّها مواقيت الحجّ وهذا ايضا من افعالهم
في الحجّ ذكره للاستطراد او أنّهم لمّا سألوا عمّا لا يعنيهم ولا يتعلّق بعلم النبوّة وتركوا السؤال عمّا
يعنيهم ويختصّ بعلم النبوّة عقّب بذكره جوابَ ما سألوه تنبيها على انّ اللائق بهم ان يسألوا امثال
١٥ ذلك ويهتمّوا بالعلم بها او أنّ المراد به التنبيه على تعكيسهم في السؤال وتمثيلهم بحال مَنْ ترك باب
البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البرّ بأن تعكسوا في مسائلكم ولكنّ البرّ برّ من اتّقى ذلك ولم يجسر
على مثله وَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا اذ ليس في العدول برّ او باشروا الامور من وجوهها وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ في تغيير
احكامه والاعتراض على افعاله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ لكي تظفروا بالهدى والبرّ (١٨٦) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
جاهدوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ قيل كان ذلك قبل ان أُمِروا بقتال المشركين كافّةً
٢٠ المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الّذين يناصبونكم القتال ويُتوقّع منهم ذلك دون غيرهم من
المشايخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلّهم فانّهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيّد الاوّل
ما روى انّ المشركين صدّوا رسول اللّه صلعم عامَ الحُدَيْبِيَة وصالحوه على ان يرجع مِنْ قابل فيُخلوا
له مكّة ثلاثة ايّام فرجع لعُمْرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يَفُوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام
وكرهوا ذلك فنزلت وَلَا تَعْتَدُوا بابتداء القتال او بقتال المُعاهد والمفاجأة به من غير دعوة او المُثْلة
٢٥ وقتلِ مَنْ نُهيتم عن قتله إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ لا يريد بهم الخير (١٨٧) وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ
حيث وجدتموهم في حِلّ او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشيء عِلْما او عَمَلا فهو يتضمّن معنى
الغلبة ولذلك استعمل فيها قال

فإمّا تثقفوني فاقتلوني فمن أثقف فليس الى خلود

جزء ٢ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ اى من مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ
ركوع ٨ اى المحنة التى يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها
وقيل معناه شركهم فى الحرم وصدّهم اياكم عنه اشدّ من قتلكم اياهم فيه وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ
فلا تبالوا بقتالهم ثَمّ فانّهم الذين هتكوا حرمته ، وقرأ حمزة والكسائى ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان
قتلوكم والمعنى حتّى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَافِرِينَ مثل ذلك جزاؤهم
يُفْعَل بهم مثل ما فعلوا (١٨٨) فَإِنِ ٱنْتَهَوْا عن القتال والكفر فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يغفر لهم ما قد سلف
(١٨٩) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ شرك وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب
فَإِنِ ٱنْتَهَوْا عن الشرك فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّالِمِينَ اى فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن أن يُظْلَم إلّا
١٠ من ظَلَم فوضع العلّة موضع الحكم وسمّى جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله تعالى فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه او انّكم ان تعرّضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والفاء الاولى
للتعقيب والثانية للجزاء (١٩٠) ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قاتلهم المشركون عام الحُدَيْبِيَة فى ذى
القعدة واتّفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك
وهتكه بهتكه فلا تبالوا به وَٱلْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ احتجاج عليه اى كلّ حرمة وهى ما يجب ان يحافظ عليه
١٥ يجرى فيها القصاص فلمّا هتكوا حرمة شهركم بالصدّ فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عَنْوةً واقتلوهم
ان قاتلوكم كما قال فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وهو فذلكة التقرير
وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ فى الانتصار ولا تعتدوا الى ما لم يرخّص لكم وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ فيحرسهم ويُصْلِح شأنهم
(١٩١) وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ولا تُمْسِكوا كلّ الامساك وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ بالاسراف وتضييع وجه
المعاش او بالكفّ عن الغزو والانفاق فيه فانّه يقوّى العدوّ ويسلّطهم على اهلاككم ويؤيّده ما روى
٢٠ عن ابى ايّوب الانصارىّ انّه قال لمّا اعزّ اللّه الاسلام وكثّر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها
ونُصْلِحها فنزلت او بالامساك وحبّ المال فانّه يؤدّى الى الهلاك المؤبّد ولذلك سمّى البُخْل هلاكا وهو
فى الاصل انتهاء الشىء فى الفساد ، والالقاء طرح الشىء وعُدّى بالى لتضمّنه معنى الانتهاء والباء مزيدة
والمراد بالايدى الانفس والتَّهْلُكة والهَلاك والهُلْك واحد فهى مصدر كالتَّضُرّة والتَّسُرّة اى لا توقعوا
انفسكم فى الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف
٢٥ المفعول وَأَحْسِنُوا اعمالكم واخلاقكم او تفضّلوا على المحاويج إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ (١٩٢) وَأَتِمُّوا ٱلْحَجَّ
وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ايتوا بهما تامّين مستجمعى المناسك لوجه اللّه وهو على هذا يدلّ على وجوبهما ويؤيّده قراءة

من قرأ وَأَقِيمُوا الحجَّ والعمرة وما روى جابر انّه قيل يا رسول اللّه العمرة واجبة مثل الحجّ فقال لا ولكن جزء ٢
أن تعتمر خيرٌ لك معارَضٌ بما روى انّ رجلا قال لعمر رضه انّى وجدت الحجّ والعمرة مكتوبين علىّ اهللت ركوع
بهما جميعا فقال هُديتَ لسنّة نبيّك ولا يقال انّه فسّر وجدانهما مكتوبين بقوله اهللت بهما لجواز ان
يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما لانّه رتّب الاهلال على الوجدان وذلك يدلّ على انّه سبب الاهلال دون
٥ العكس وقيل اتمامهما أن تُحْرِمَ بهما من دُوَيْرَة اهلك او ان تفرد لكلّ منهما سفرا او ان تجرّده لهما
لا تشوبهما بغرض دنيوىّ او ان تكون النفقة حلالا فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ منعتم يقال حصره العدوّ وأحصره اذا
حبسه ومنعه عن المضىّ مثل صدّه وأصدّه والمراد حَصْرُ العدوّ عند مالك والشافعىّ لقوله فاذا امنتم
ولنزوله فى الحُدَيْبِيَة ولقول ابن عبّاس رضه لا حَصْرَ الّا حَصْرُ العدوّ وكلُّ مَنْع من عدوّ او مرض او غيرهما
عند ابى حنيفة لما روى عنه عم من كُسِر او عَرِجَ فعليه الحجّ مِنْ قابل وهو ضعيف مؤوّل بما اذا
١٠ شُرِط الاحلال به لقوله عم لضُباعة بنت الزبير حُجّى واشترطى وقولى اللّهمّ مَحِلّى حيث.

فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان
احصر المُحْرِم واراد ان يتحلّل تحلّل بذبح هَدْى تيسّرَ عليه من بَدَنة او بقرة او شاة حيث احصر عند
الاكثر لانّه عم ذبح عام الحديبية بها وهى من الحلّ وعند ابى حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث بيده
يومَ أمارٍ فاذا جاء اليوم وظنّ انّه ذبح تحلّل لقوله تعالى وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُ
١٥ اى لا تحلّوا حتّى تعلموا انّ الهدى المبعوث الى الحرم بلغ محلّه اى مكانه الّذى يجب ان ينحر فيه
وحمل الاوّلون بلوغ الهدى محلّه على ذبحه حيث يحلّ ذبحه فيه حِلّا كان او حرما واقتصاره على الهدى
دليل عدم القضاء وقال ابو حنيفة يجب القضاء ، والمَحِلّ بالكسر يطلق للمكان والزمان ، والهَدْى
جمع هَدْيَة كجَدْى وجَدْيَة وقرئ مِنَ ٱلْهَدِيّ جمع هَدِيَّة كمَطِىّ ومَطِيَّة فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا
مرضا يحوجه الى الحلق أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِنْ رَأْسِهِۦ كجراحة وقمل فَفِدْيَةٌ فعليه فدية ان حلق مِنْ صِيَامٍ أَوْ
٢٠ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ بيان لجنس الفدية وامّا قدرها فقد روى انّه عم قال لكعب بن عُجْرة لعلّك آذاك هوامّك
قال نعم يا رسول اللّه قال احلق وصُمْ ثلاثة ايّام او تصدّق بفَرَق على ستّة مساكين او انسك شاة
والفَرَق ثلاثة أَصْوُع فَإِذَآ أَمِنتُمْ الاحصارَ او كنتم فى حال أَمْن وسعة فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فمن
استمتع وانتفع بالتقرّب الى اللّه بالعمرة قبل الانتفاع بتقرّبه بالحجّ فى اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلّل
من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يُحْرِم بالحجّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ فعليه دمٌ استيسره
٢٥ بسبب التمتّع فهو دمُ جُبْران يذبحه اذا احرم بالحجّ ولا يأكل منه وقال ابو حنيفة انّه دمُ نُسُك فهو
كالأُضْحِيَة فَمَن لَّمْ يَجِدْ الهَدْى فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ فى ايّام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلّل
وقال ابو حنيفة فى اشهره بين الاحرامَيْن والاحبّ ان يصوم سابع ذى الحجّة وثامنه وتاسعه ولا يجوز
صوم يوم النحر وايّام التشريق عند الاكثر وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ الى اهليكم وهو احد قولى الشافعىّ رضه

جزء ٢ او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله الثانى ومذهب ابى حنيفة رضه ' وقرئ سَبْعَةً بالنصب عطفا على
ركوع ٨ محلّ ثلثة ايّام تِلْكَ عَشَرَةٌ فذلكة الحساب وفائدتُها أن لا يُتوهّم انّ الواو بمعنى او كقولك جالِس
الحسنَ وابنَ سيرين وأنْ يُعْلَم العدد جملةً كما علم تفصيلا فانّ اكثر العرب لم يُحْسنوا الحساب وانّ
المراد بالسبعة هو العدد دون الكثرة فانّه يُطْلَق لهما كَامِلَةٌ صفةٌ موكّدةٌ تُفيد المبالغة فى محافظة
العدد او مبيّنةٌ كمالَ العشرة فانّه اوّلُ عددٍ كاملٍ اذ به ينتهى الآحاد ويتمّ مَراتبها او مقيّدةٌ تُفيد ٥
كمال بدليّتها من الهَدْى ذٰلِكَ اشارة الى الحكمِ المذكور عندنا والتمتّع عند ابى حنيفة اذ لا مِتْعة ولا
قِران لحاضرى المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دمُ جِنايةٍ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِى
ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وهو من كان من الحرم على مسافة القَصْر عندنا فانّ من كان على اقلّ فهو مُقيم الحرم
او فى حُكْمه ومَنْ مَسْكَنُه وراء الميقات عنده واهل الحلّ عند طاوُوس وغير المكّىّ عند مالك
وَٱتَّقُوا ٱللّٰهَ فى المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا فى الحجّ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللّٰهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ لمن لم يتّقه ١٠
ركوع ٩ كى يصدّكم العلمُ به عن العصيان (١٩٣) ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ اى وقته كقولك البَرْدُ شهرانِ مَعْلُومَاتٌ معروفات
وهى شوّال وذو القعدة وتسعُ ذى الحجّة بليلة النحر عندنا والعَشْرُ عند ابى حنيفة رضه وذو الحجّة كلّه
عند مالك رضه وبناء الخلاف على انّ المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن
فيه غيره من المناسك مطلقا فانّ مالكا كره العمرة فى بقيّة ذى الحجّة وابو حنيفة وإن صحّح الاحرام به
قبل شوّال فقد استكرهه وانّما سُمّى شهرانِ وبعضُ شهر اشهرا اقامةً للبعض مقام الكلّ او اطلاقا للجمع ١٥
على ما فوق الواحد فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهنّ عندنا وبالتلبية او
سَوْق الهدى عند ابى حنيفة وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعىّ رضه وانّ من احرم بالحجّ لزمه الاتمام
فَلَا رَفَثَ فلا جِماع او فلا فحش من الكلام وَلَا فُسُوقَ ولا خروج عن حدود الشرع بالسيّئات وارتكاب
المحظورات وَلَا جِدَالَ ولا مِراء مع الخدم والرُفْقة فِى ٱلْحَجِّ فى ايّامه نفى الثلاثة على قصد النهى للمبالغة
والدلالة على انّها حقيقة بأن لا تكون وما كانت منها مستقبَحة فى انفسها ففى الحجّ اقبحُ كلُبْس ٢٠
الحرير فى الصلوة والتطريب بقراءة القران لانّه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة ' وقرأ
ابن كثير وابو عمرو الأوّلين بالرفع على معنى لا يكوننّ رفثٌ ولا فسوقٌ والثالثَ بالفتح على معنى
الاخبار بانتفاء الخلاف فى الحجّ وذلك انّ قريشا كانت تُخالف سائرَ العرب فتقف بالمَشْعَر الحرام فارتفع
الخلاف بأن أُمروا ان يقفوا ايضا بعرفة وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللّٰهُ حثٌّ على الخير عقّب به النهى عن
الشرّ ليُسْتبدل به ويُسْتعمل مكانه وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَى وتزوّدوا لمعادكم التقوى فانّه خيرُ ٢٥
زادٍ وقيل نزلت فى اهل اليمن كانوا يحجّون ولا يتزوّدون ويقولون نحن متوكّلون فيكونون كَلًّا
على الناس فأُمروا ان يتزوّدوا ويتّقوا الابرامَ فى السؤال والتثقيلَ على الناس وَٱتَّقُونِ يَا أُولِى ٱلْأَلْبَابِ فانّ

قضيّة اللبّ خشية اللّه وتقواه حثّهم على التقوى ثمّ امرهم بان يكون المقصود بها هو اللّهَ فيتبرّءوا عن كلّ شيء سواه وهو مقتضى العقل المعرّى عن شوائب الهوى فلذلك خصّ اولى الالباب بهذا الخطاب (١٩٤) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا اى فى أن تبتغوا اى تطلبوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة وقيل كان عُكاظ ومَجَنّة وذو المجاز اسواقهم فى الجاهليّة يُقيمونها مَواسِم الحجّ وكانت معايشهم منها فلمّا جاء الاسلام تأثّموا منه فنزلت فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ دفعتم منها بكثرة من افضتُ الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذفَ المفعول كما حذف فى دفعت من البصرة ، وعرفات جمعٌ سمّى به كأذْرِعات وانّما نُوّن وكُسر وفيه العلميّة والتأنيث لانّ تنوين الجمع تنوينُ مقابلة لا تنوينُ تمكّن ولذلك يجمع مع اللام وذهابُ الكسرة تبعُ ذهاب التنوين من غير عوَض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لانّ التأنيث إمّا ان يكون بالتاء المذكورة وهى ليست تاء تأنيث وانّما هى مع الالف التى قبلها علامة جمع المؤنّث او بتاء مقدّرة كما فى سُعاد ولا يصحّ تقديرها لانّ المذكورة تمنعه من حيث انّها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنّث كتاء بنتٍ ، وانّما سمّى الموقف عرفة لانّه نُعت لابرٰهيم عم فلمّا ابصره عرفه او لانّ جبريل كان يدور به فى المشاعر فلمّا اراه ايّاه قال قد عرفتَ او لانّ آدم وحوّاء التقيا فيه فتعارفا او لانّ الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة فى ذلك وهى من الاسماء المرتجلة الّا أن تُجعَل جَمْعَ عارف وفيه دليل على وجوب الوقوف بها لانّ الافاضة لا تكون الّا بعده وهى مأمور بها بقوله تعالى ثمّ افيضوا او مقدّمة للذكر المأمور به وفيه نظرٌ اذ الذكر غير واجب بل مستحبّ وعلى تقديرِ انّه واجب فهو واجب مقيّد لا واجب مطلق حتّى تجب مقدّمته والامر به غير مطلق

فَاذْكُرُوا اللّٰهَ بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العِشائَيْن عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ جبل يقف عليه الإمام ويسمّى قُزَح وقيل ما بين مَأْزِمَىْ عرفة ووادى مُحَسِّرٍ ويؤيّد الاوّل ما روى جابر انّه عم لمّا صلّى الفجر يعنى بالمزدلفة بغَلَس ركب ناقته حتّى اتى المشعر الحرام فدعا وكبّر وهلّل ولم يزل واقفا حتّى اسفر وانّما سمّى مشعرا لانّه مَعْلَم العبادة ووُصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام ممّا يليه ويقرب منه فانّه افضل والّا فالمزدلفة كلّها موقف إلّا وادى محسّر وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ كما علّمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها ، ومَا مصدريّة او كافّة وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ اى الهدى لَمِنَ الضَّالِّينَ الجاهلين بالايمان والطاعة ، وإنْ هى المخفّفة واللام هى الفارقة وقيل إنْ نافية واللام بمعنى إلّا كقوله تعالى وإن نظنّك لمن الكاذبين (١٩٥) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ اى من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجَمْع وسائرُ الناس بعرفة ويرون ذلك ترفّعا عليهم فأمروا ان يساووهم وثُمّ لتفاوتِ ما بين الإفاضتين كما فى قولك أَحْسِنْ الى الناس ثمّ لا تُحْسِنْ الى غير كريمٍ وقيل من المزدلفة الى مِنًى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عامّ ، وقرئ الناسِ بالكسر اى الناسى يريد آدم من قوله تعالى فنسىَ ، والمعنى انّ الافاضة من عرفة شرعٌ قديمٌ فلا تغيّروه وَاسْتَغْفِرُوا اللّٰهَ من جاهليّتكم فى تغيير المناسك ونحوه إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه

جزء ٢ (١٩٦) فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فاذا قضيتم العبادات الحجّيّة وفرغتم منها فَاذْكُرُوا ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ
ركوع ٩ فأكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر آبائكم فى المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم
وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مَفاخر آبائهم ومحاسن ايّامهم أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا إمّا مجرور
معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا اللّه ذكرا كذكركم آباءكم
او كذكر اشدّ منه وابلغ او على ما اضيف اليه على ضعف بمعنى او كذكر قوم اشدّ منكم ذكرا ٥
وامّا منصوب بالعطف على آباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشدّ مذكوريّة
من آبائكم او بمضمر دلّ عليه المعنى تقديره او كونوا اشدّ ذكرا للّه منكم لآبائكم فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَقُولُ
تفصيل للذاكرين الى مُقِلّ لا يطلب بذكر اللّه تعالى الّا الدنيا ومُكْثِر يطلب به خير الدارين والمراد
الحثّ على الاكثار والارشاد اليه رَبَّنَا آتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا اجعل ايتاءنا ومنحتنا فى الدنيا وَمَا لَهُ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ
خَلَاقٍ اى نصيب وحظّ لانّ همّه مقصور بالدنيا او من طَلَب خلاق (١٩٧) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا ١٠
فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً يعنى الصحّة والكفاف وتوفيق الخير وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً يعنى الثواب والرحمة وَقِنَا عَذَابَ
ٱلنَّارِ بالعفو والمغفرة وقول علىّ رضه الحسنة فى الدنيا المرأة الصالحة وفى الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة
السوء وقول الحسن الحسنة فى الدنيا العلم والعبادة وفى الآخرة الجنّة وقنا عذاب النار معناه احفظنا
من الشهوات والذنوب المؤدّية الى النار امثلةٌ للمراد بها (١٩٨) أُولَٰئِكَ اشارة الى الفريق الثانى وقيل اليهما
لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا اى من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله ممّا خطيئاتهم أُغرقوا او ممّا دعوا ١٥
به نعطيهم منه ما قدّرناه فسمّى الدعاء كسبا لانّه من الاعمال وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ يحاسب العباد على
كثرتهم وكثرة اعمالهم فى مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات
واكتساب الحسنات (١٩٩) وَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ كبّروه فى أدبار الصلوات وعند ذبح القرابين
ورمى الجمار وغيرها فى ايّام التشريق فَمَنْ تَعَجَّلَ فمن استعجل النفر فِي يَوْمَيْنِ يوم القرّ والّذى بعده اى
فمن نفر فى ثانى ايّام التشريق بعد رمى الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عنده فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ باستعجاله ٢٠
وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ومن تأخّر فى النفر حتّى رمى فى اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة رضه
يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفى الاثم بالتعجّل والتأخّر التخيير بينهما والردّ على اهل الجاهليّة
فانّ منهم من أثّم المتعجّل ومنهم من اثّم المتأخّر لِمَنِ ٱتَّقَىٰ اى الّذى ذُكر من التخيير او من
الأحكام لمن اتّقى لانّه الحاجّ على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتّى لا يتضرّر بترك ما يهمّه منهما
وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ فى مجامع اموركم ليعبأ بكم وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر ٢٥
الجمع وضمّ المتفرّق (٢٠٠) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ يروقك ويعظم فى نفسك والتعجّب حيرة تعرض
للانسان لجهله بسبب المتعجّب منه فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا متعلّق بالقول اى ما يقوله فى امور

الدنيا واسباب المعاش او فى معنى الدنيا فانّها مرادة من ادّعاء المحبّة واظهار الايمان او يعجبك اى جزء ٢
يعجبك قوله فى الدنيا حلاوةً وفصاحةً ولا يعجبك فى الآخرة لما يعتريه من الدهشة والحُبْسة او لانّه لا ركوع ٩
يؤذن له فى الكلام وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ يحلف ويستشهد اللّه على انّ ما فى قلبه موافق لكلامه
وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خَصْم
٥ كصَعْب وصعاب بمعنى اشدّ الخصوم خصومةً قيل نزلت فى الاخنس بن شريق الثقفىّ وكان حسن
المنظر حُلْو المنطق يوالى رسول اللّه صلعم ويدّعى الاسلام وقيل فى المنافقين كلّهم (٢٠١) وَإِذَا تَوَلَّىٰ أدبر
وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ كما فعله
الاخنس بثقيف اذ بيّتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله وُلاة السوء بالقتل والاتلاف او
بالظلم حتّى يمنع اللّه بشؤمه القطْرَ فيُهلك الحرثَ والنسلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ لا يرتضيه فاحذروا غضبه
١٠ عليه (٢٠٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ حملته الانفة وحميّة الجاهليّة على الاثم الذى يؤمر
باتّقائه لجاجا من قولك اخذتُه بكذا اذا حملتَه عليه والزمتَه ايّاه فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ كفته جزاءً وعذابا،
وجَهَنَّمُ عَلَمٌ لدار العقاب وهو فى الاصل مُرادِف للنار وقيل معرّب وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ جوابُ قسمٍ مقدّر
والمخصوص بالذمّ محذوف للعلم به، والمِهاد الفراش وقيل ما يوطّأ للجَنْب (٢٠٣) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى
نَفْسَهُ يبيعها اى يبذلها فى الجهاد او يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتّى يُقْتَل ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ
١٥ طلبا لرضاه وقيل انّها نزلت فى صُهَيْب بن سِنان الرومىّ اخذه المشركون وعذّبوه ليرتدّ فقال انّى
شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضرّكم ان كنت عليكم فخلّونى وما انا عليه وخُذوا مالى فقبلوه
منه وأتى المدينةَ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ حيث ارشدهم الى مثل هذا الشراء وكلّفهم بالجهاد فعرّضهم لثواب
الغُزاة والشهداء (٢٠٤) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً السِّلْم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة
ولذلك يطلق فى الصُلْح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائىّ وكسره الباقون، وكافّةً اسم للجملة
٢٠ لانّها تكفّ الاجزاء من التفرّق حال من الضمير او السلم لانّها تؤنّث كالحرب قال

السلمُ تأخذُ منها ما رضيتَ به والحربُ يكفيك من أنفاسها جُرَعُ

والمعنى استسلموا للّه وأطيعوه جملةً ظاهرا وباطنا والخطابُ للمنافقين او ادخلوا فى الاسلام بكلّيّته ولا
تخلطوا به غيره والخطابُ لمؤمنى اهل الكتاب فانّهم بعد اسلامهم عظّموا السبت وحرّموا الابل وألبانها
او فى شرائع اللّه كلّها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطابُ لاهل الكتاب او فى شُعَب الاسلام وأحكامه
٢٥ كلّها فلا تُخِلّوا بشىء والخطابُ للمسلمين وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ بالتفرّق والتفريق إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ
مُّبِينٌ ظاهر العداوة (٢٠٥) فَإِن زَلَلْتُم عن الدخول فى السلم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ الآيات والحُجج

جزء ٢ الشاهدة على انه الحق فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ لا يعجزه الانتقام حَكِيمٌ لا ينتقم الّا بحق (٢٠٦) هَلْ يَنظُرُونَ
ركوع ٩ استفهام فى معنى النفى ولذلك جاء بعده الّا إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ اى يأتيهم امره او بأسه كقوله تعالى او يأتى
امرُ ربّك فجاءها بأسنا او يأتيهم الله ببأسه فحذف المأتى به للدلالة عليه بقوله انّ الله عزيز حكيم
فِى ظُلَلٍ جمع ظُلّة كقُلّة وقُلَل وهى ما اظلّك وقرئ ظِلَال كقِلال مِّنَ ٱلْغَمَامِ السحاب الابيض وانّما يأتيهم
العذاب فيه لانّه مظنّة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لانّ الشرّ اذا جاء من حيث لا يُحتسب ٥
كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ فانّهم الواسطة فى اتيان امره او الآتون
على الحقيقة ببأسه وقرئ بالجرّ عطفا على ظلل او الغمام وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ أُتِمّ امرُ اهلاكهم وفرغ منه وضع
الماضى موضع المستقبل لدنوّه وتيقّن وقوعه وقرئ وَقَضَآءُ ٱلْأَمْرِ عطفا على الملائكة وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ
قراءة ابى كثير ونافع وابى عمرو وعاصم على انّه من الرَّجْع وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتأنيث
ركوع ١٠ غير يعقوب على انّه من الرُّجُوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول (٢٠٧) سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ امر للرسول ١٠
عم او لكلّ احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ معجزة ظاهرة او آية فى الكتب
شاهدة على الحقّ والصواب على ايدى الانبياء ، وكَمْ خبريّة او استفهاميّة مقرّرة ومحلّها النصب على
المفعوليّة او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميّزها ومِنْ للفصل وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ
اى آياته فانّها سبب الهدى الّذى هو اجلّ النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف
والتأويل الزائغ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ من بعد ما وصلت اليه وتمكّن من معرفتها وفيه تعريض بانّهم ١٥
بدّلوها من بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدّلوها ومن يبدّل فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ فيعاقبه اشدّ
عقوبة لانّه ارتكب اشدّ جريمة (٢٠٨) زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا حُسّنت فى اعينهم وأُشربت محبّتها
فى قلوبهم حتّى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزيّن فى الحقيقة هو الله اذ ما من شىء الّا وهو فاعله
ويدلّ عليه قراءة زَيَّنَ على البناء للفاعل وكلٌّ من الشيطان والقوّة الحيوانيّة وما خلق الله فيها من
الامور البهيّة والاشياء الشهيّة مزيّنٌ بالعَرَض وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمّار ٢٠
وصُهَيْب اى يسترذلونهم ويستهزءون بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ، ومِنْ للابتداء كانّهم
جعلوا السخريّة مبتدأة منهم وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لانّهم فى علّيّين وهم فى اسفل السافلين او
لانّهم فى كرامة وهم فى مذلّة او لانّهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم فى الدنيا ،
وانّما قال والّذين اتّقوا بعد قوله من الّذين آمنوا ليدلّ على انّهم متّقون وانّ استعلاءهم للتقوى
وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ فى الدارين بِغَيْرِ حِسَابٍ بغير تقدير فيوسّع فى الدنيا استدراجا تارةً وابتلاءً اخرى ٢٥
(٢٠٩) كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً متّفقين على الحقّ فيما بين آدم وادريس او نوح او بعد الطوفان او متّفقين
على الجهالة والكفر فى فترة ادريس او نوح فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ اى فاختلفوا فبعث الله

واتّما حُذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه ، وعن كعب الّذى علمتُه من عدد الانبياء مائة واربعة جزء ٢
وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر والمذكور فى القران باسم العَلَم ثمانية وعشرون، ركوع ١٠
وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ يريد به الجنس ولا يريد به انّه انزل مع كلّ واحد كتابا يخصّه فانّ اكثرهم لم يكن
لهم كتاب يخصّهم وانّما كانوا يأخذون بكُتُب من قَبْلهم بِٱلْحَقِّ حال من الكتاب اى ملتبسا بالحقّ
٥ شاهدا به لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ اى اللّه او النبىّ المبعوث او كتابه فِيمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ فى الحقّ الّذى اختلفوا
فيه او فيما التبس عليهم وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ فى الحقّ او الكتاب إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ اى الكتاب المنزل لازالة
الخلاف اى عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ
بَغْيًا بَيْنَهُمْ حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا لِمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ اى للحقّ
الّذى اختلف فيه من اختلف مِنَ ٱلْحَقِّ بيان لما اختلفوا فيه بِإِذْنِهِ بأمره او بارادته ولطفه وَٱللَّهُ
١٠ يَهْدِى مَنْ يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ لا يضلّ سالكه (٢١٠) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ خاطب به النبىّ
صلعم والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجىء الآيات تشجيعا لهم على الثبات
مع مخالفتهم ، وأَمْ منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار وَلَمَّا يَأْتِكُمْ ولم يأتكم واصلُ لمّا لَمْ زيدت عليها مَا
وفيها توقّع ولذلك جُعِل مقابل قَدْ مَثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ حالهم التى هى مَثَلٌ فى الشدّة
مَسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ بيان له على الاستيناف وَزُلْزِلُوا وأُزعِجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد
١٥ حَتَّى يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ لتناهى الشدّة واستطالة المدّة بحيث تقطّعت حبال الصبر ، وقرأ
نافع يقولُ بالرفع على انّه حكاية حال ماضية كقولك مرض حتّى لا يرجونه مَتَى نَصْرُ ٱللَّهِ استبطاء له
لتأخّره أَلَا إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ استيناف على ارادة القول اى فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طِلْبتهم من عاجل
النصر وفيه اشارة الى انّ الوصول الى اللّه تعالى والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذّات ومكابدة
الشدائد والرياضات قال عم حُفّت الجنّة بالمكاره وحُفّت النار بالشهوات (٢١١) يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ
٢٠ عن ابن عبّاس انّ عمرو بن الجموح الانصارىّ كان شيخا ذا مال عظيم فقال يا رسول اللّه ما ذا ننفق من
اموالنا واين نضعها فنزلت قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَامَى وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ
سُئل عن المنفَق فأُجيبَ ببيان المَصْرِف لانّه اهمّ فانّ اعتداد النفقة باعتباره ولانّه كان فى سؤال عمرو
وان لم يكن مذكورا فى الآية واقتصر فى بيان المنفَق على ما تضمّنه قوله ما انفقتم من خير
وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فى معنى الشرط فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ جوابه اى ان تفعلوا خيرا فانّ اللّه يعلم كنهه
٢٥ ويوفّى ثوابه ، وليس فى الآية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به (٢١٢) كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ
شاقّ عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نُعت به للمبالغة او فُعْل بمعنى مفعول كالخُبْز وقرئ بالفتح على

جزء ٢ انّه لغة فيه كالضُعْف والضَعْف او بمعنى الاكراه على المجاز كانّهم أُكْرِهوا عليه لشدّته وعظم مشقّته

ركوع ١٠ كقوله تعالى حملته امّه كرها ووضعته كرها (٢١٣) وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وهو جميع ما كُلّفوا به فانّ الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وهو جميع ما نُهوا عنه فانّ النفس تحبّه وتهواه وهو يُفضي بها الى الردى وانّما ذكر عسى لانّ النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها وَاللَّهُ يَعْلَمُ ما هو خير لكم وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ذلك وفيه دليل على انّ الاحكام ٥

ركوع ١١ تتبع المصالح الراجحة وان لم يُعْرَف عينها (٢١٤) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ روى انّه عم بعث عبد اللّه ابن جحش ابن عمّته على سريّة فى جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصّد عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد اللّه الحضرمىّ وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف وكان ذلك غرّة رجب وهم يظنّونه من جمادى الآخرة فقالت قريش استحلّ محمّد الشهرَ الحرامَ شهرا يأمن فيه الخائف ويَبْذَعِرّ فيه الناس الى معايشهم وشقّ ذلك على اصحاب السريّة وقالوا ما نبرح حتّى تنزل توبتنا وردّ رسول اللّه ١٠ العيرَ والاسارى وعن ابن عبّاس لمّا نزلت اخذ رسول اللّه صلعم الغنيمة وهى اوّل غنيمة فى الاسلام ، والسائلون هم المشركون كتبوا اليه فى ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السريّة قِتَالٍ فِيهِ بدل اشتمال من الشهر وقرئ عَنْ قِتَالٍ بتكرير العامل قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ اى ذنب كبير والاكثر على انّه منسوخ بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاصّ بالعامّ وفيه خلاف والأَولى منْع دلالة الآية على حرمة القتال فى الشهر الحرام مطلقا فانّ قتالٌ فيه نكرة فى حيّز مُثْبت فلا يعمّ ١٥ وَصَدٌّ صرف ومنع عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ اى الاسلام او ما يوصل العبدَ الى اللّه تعالى من الطاعات وَكُفْرٌ بِهِ اى باللّه وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ على ارادة المضاف اى وصدّ المسجد الحرام كقول ابى دُؤاد

اكلّ امرئٍ تحسبين امرأً   ونارٍ توقّد بالليل نارا

ولا يحسن عطفه على سبيل اللّه لانّ عطف قوله وَكُفْرٌ به على وَصَدٌّ مانع منه اذ لا يتقدّم العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء فى به فانّ العطف على الضمير المجرور انّما يكون باعادة الجارّ ٢٠ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ اهل المسجد الحرام وهم النبىّ والمؤمنون أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ممّا فعلته السريّة خطاء وبناء على الظنّ وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش ، وأَفعل من يستوى فيه الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ اى ما ترتكبونه من الاخراج والشرك افظع ممّا ارتكبوه من قتل الحضرمىّ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ اخبار عن دوام عداوة الكفّار لهم وانّهم لا ينفكّون عنها حتّى يردّوهم عن دينهم ، وحتّى للتعليل كقولك أعبد اللّه حتّى أدخلَ الجنّة إِنِ اسْتَطَاعُوا ٢٥ وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوّته على قِرْنه إنْ ظفرتَ بى فلا تُبْقِ علىّ وايذانٌ بانّهم لا يردّونهم وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ قيّد الردّة بالموت عليها فى احباط

جزء ٢ ركوع ١١

الاعمال كما هو مذهب الشافعيّ والمراد بها الاعمال النافعة ، وقرئ حَبَطَتْ بالفتح وهو لغة فيه فِي ٱلدُّنْيَا لبطلان ما تخيّلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيويّة وَٱلْآخِرَةِ لسقوط الثواب وَأُولٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ كسائر الكفرة (٢١٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا نزلت ايضا فى السريّة لما ظُنّ بهم انّهم إن سَلِموا من الاثم فليس لهم اجر وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ ٱللّٰهِ كرّر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد

٥ كانّهما مستقلّان فى تحقيق الرجاء أُولٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللّٰهِ ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا بانّ العمل غير موجِب ولا قاطع فى الدلالة سيّما والعِبْرة بالخواتم وَٱللّٰهُ غَفُورٌ لما فعلوا خطاء وقلّة احتياط رَحِيمٌ باجزال الاجر والثواب (٢١٦) يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ روى انّه نزل بمكّة قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتّخذون منه سكرا فأخذ المسلمون يشربونها ثمّ انّ عمر ومُعاذا ونفرا من الصحابة قالوا أفْتِنا يا رسول اللّه فى الخمر فانّها مُذْهِبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثمّ

١٠ دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فأمّ احدهم فقرأ قل يا ايّها الكافرون أَعْبُدُ ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتّى تعلموا ما تقولون فقلّ مَنْ يشربها ثمّ دعا عِتْبان ابن مالك سعدَ بن ابى وقّاص فى نفر فلمّا سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاريّ بلَحْيِ بعير فشجّه فشكا الى رسول اللّه صلعم فقال عمر اللّهمّ بيّنْ لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت انّما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا ربّ ، والخَمْر فى الاصل مصدرُ

١٥ خَمَرَه اذا ستره سمّى بها عصير العنب والتمر اذا اشتدّ وغلى كانّه يخمر العقل كما سمّى سَكَرا لانّه يُسْكِره اى يحجزه وهى حرام مطلقا وكذا كلّ ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة رحمه اللّه نقيع الزبيب والتمرِ اذا طُبخ حتّى ذهب ثُلُثاه ثمّ اشتدّ حَلّ شُرْبُه ما دون السُّكْر ، والمَيْسِر ايضا مصدر كالموعد سمّى به القمار لانّه اخذُ مال الغير بيُسْر او سلبُ يساره ، والمعنى يسألونك عن تعاطيهما لقوله قُلْ فِيهِمَا اى فى تعاطيهما إِثْمٌ كَبِيرٌ من حيث انّه يؤدّى الى الانتكاب عن المأمور وارتكاب المحظور ، وقرأ

٢٠ حمزة والكسائىّ كَثِيرٌ بالثاء وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفى الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروّة وتقوية الطبيعة وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا اى المفاسد التى تنشأ منهما اعظم من المنافع المتوقّعة منهما ولهذا قيل انّها المحرّمة للخمر فانّ المفسدة اذا ترجّحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهرُ انّه ليس كذلك لما مرّ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سأل اوّلا عن المُنْفَق والمَصْرِف ثمّ سأل عن كيفيّة الانفاق (٢١٧) قُلِ ٱلْعَفْوَ العفو نقيض

٢٥ الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو ان ينفق ما تيسّر له بَذْلُه ولا يبلغ منه الجهد قال

خذى العفو منّى تستديمى مودّتى

جزء ٢ وروى انّ رجلا اتى النبىّ صلعم ببيضة من ذهب اصابها فى بعض المغانم فقال خذها منّى صدقة فأعرض
ركوع ١١ عنه حتّى كرّر عليه مرارا فقال هم هاتها مُغضبا فاخذها فحذفها حذفا لو اصابه لشجّه ثمّ قال يأتى
احدكم بماله كلّه يتصدّق به ويجلس يتكفّف الناس انّما الصدقة عن ظهْرِ غنًى ، وقرأ ابو عمرو برفع
الواو كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللّٰهُ لَكُمُ ٱلْآيَاتِ اى مثل ما بيّن انّ العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام
٥ والكاف فى موضع النصب صفة لمصدر محذوف اى تبيينا مثل هذا التبيين وانّما وحّد العلامة والمخاطَب
به جمعٌ على تأويل القبيل والجمع لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فى الدلائل والاحكام (٢١٨) فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فى امور
الدارَيْن فتأخذون بالاصلح والانفع فيهما وتجتنبون عمّا يضرّكم ولا ينفعكم او يضرّكم اكثر ممّا ينفعكم
وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَامَىٰ لمّا نزلت إِنَّ ٱلَّذِينَ يأكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم
والاهتمامَ بأمرهم فشقّ ذلك عليهم فذُكر لرسول اللّه صلعم فنزلت قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ اى مداخلتهم
١٠ لاصلاحهم او اصلاح اموالهم خير من مجانبتهم (٢١٩) وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ حثٌّ على المخالطة اى
انّهم اخوانكم فى الدين ومن حقّ الاخ أن يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة وَٱللّٰهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ
مِنَ ٱلْمُصْلِحِ وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح اى يعلم امره فيجازيه عليه وَلَوْ شَاءَ ٱللّٰهُ لَأَعْنَتَكُمْ
اى ولو شاء اللّه إعناتكم لأعنتكم اى كلّفكم ما يشقّ عليكم من العَنَت وهى المشقّة ولم يجوّز لكم
مداخلتهم إِنَّ ٱللّٰهَ عَزِيزٌ غالب يقدر على الإعنات حَكِيمٌ يحكم ما تقتضيه الحكمة وتتّسع له الطاقة
١٥ (٢٢٠) وَلَا تَنْكِحُوا ٱلْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ اى ولا تتزوّجوهنّ وقرئ بالضمّ اى ولا تزوّجوهنّ من
المسلمين ، والمشركات تعمّ الكتابيّات لانّ اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن
اللّه وقالت النصارى المسيح ابن اللّه الى قوله سبحانه عمّا يشركون ولكنّها خُصّت عنها بقوله والمحصنات
من الّذين اوتوا الكتاب روى انّه عم بعث مَرْثَدا الغَنَوِىّ الى مكّة ليُخرِج منها اناسا من المسلمين
فأتته عناق وكان يهواها فى الجاهليّة فقالت ألا تخلو فقال انّ الاسلام حالَ بيننا فقالت هل لك ان
٢٠ تتزوّج بى فقال نعم ولكن أستأمرُ رسولَ اللّه فأستأمَرَه فنزلت وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ اى ولامرأة
مؤمنة حرّةً كانت او مملوكةً فانّ الناس عبيد اللّه وإماؤه وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ بحسنها وشمائلها والواو
للحال وَلَوْ بمعنى إنْ وهو كثير وَلَا تُنْكِحُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ولا تزوّجوا منهم المؤمنات حتّى
يؤمنوا وهو على عمومه وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ تعليلٌ للنهى عن مواصلتهم وترغيبٌ
فى مواصلة المؤمنين (٢٢١) أُولَٰئِكَ اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ اى
٢٥ الكفر المؤدّى الى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم وَٱللّٰهُ اى واولياؤه يعنى المؤمنين حذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامَه تفخيما لشأنهم يَدْعُو إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ اى الاعتقاد والعمل الموصلَيْن اليهما

هم الاحقّاء بالمواصلة بِإِذْنِهِ اى بتوفيق اللّه وتيسيره او بقضائه وارادته وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ جزء ٢
لكى يتذكّروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكّر لما رُكِز فى العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى ركوع ١١
(٢٢٢) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ روى انّ اهل الجاهليّة كانوا لا يساكنون الحُيَّض ولا يؤاكلونها كفعل ركوع ١٢
اليهود والمجوس واستمرّ ذلك الى ان سأل ابو الدحداح فى نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت ، والمحيض
٥ مصدر كالمجيء والمبيت ، ولعلّه سبحانه وتعالى انّما ذكر يسألونك بغير واو ثلاثا ثمّ بها ثلاثا لانّ
السؤالات الأوَل كانت فى اوقات متفرّقة والثلاثة الاخيرة كانت فى وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع
قُلْ هُوَ أَذًى اى الحيض مستقذر مؤذٍ من يقربه نفرةً منه فَٱعْتَزِلُوا ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِ فاجتنبوا مجامعتهنّ
لقوله عم انّما أُمرتم ان تعتزلوا مجامعتهنّ اذا حِضْن ولم يأمركم باخراجهنّ من البيوت كفعل الاعاجم
وهو الاقتصاد بين إفراط اليهود وتفريط النصارى فانّهم كانوا يجامعونهنّ ولا يبالون بالحيض ، وانّما
١٠ وصفه بانّه اذى ورتّب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانّه العِلّة وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ تأكيد للحكم
وبيان لغايته وهو أن يغتسلن بعد الانقطاع ويدلّ عليه صريحًا قراءة حمزة والكسائىّ وعاصم فى رواية ابن
عيّاش يَطَّهَّرْنَ اى يتطهّرن بمعنى يغتسلن والتزامًا قوله فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ فانّه يقتضى تأخّر جواز
الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة اذا طهرت لاكثر الحيض جاز قِربانها قبل الغسل مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ
اى المأتى الّذى امركم اللّه به وحلّله لكم إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّابِينَ من الذنوب وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ المتنزّهين
١٥ عن الفواحش والأقذار كمجامعة الحائض والاتيان فى غير المأتى (٢٢٣) نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ مواضع حرث
لكم شبّهن بها تشبيها لما يُلقى فى ارحامهنّ من النُطَف بالبذور فَأْتُوا حَرْثَكُمْ اى فأتوهنّ كما تأتون
المحارثَ وهو كالبيان لقوله فأتوهنّ من حيث امركم اللّه أَنَّى شِئْتُمْ من أىّ جهة شئتم روى انّ
اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من دُبرها فى قُبُلها كان ولدها احول فذُكِر ذلك لرسول اللّه
صلعم فنزلت وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ما يدّخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطىْ
٢٠ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ بالاجتناب عن معاصيه وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ فتزوّدوا ما لا تفتضحون به وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
الكاملين فى الايمان بالكرامة والنعيم الدائم امر الرسول صلعم ان ينصحهم ويبشّر من صدّقه وامتثل امره
منهم (٢٢٤) وَلَا تَجْعَلُوا ٱللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ ٱلنَّاسِ نزلت فى الصدّيق رضه
لمّا حلف ان لا يُنفق على مِسْطَح لافترائه على عائشة رضها او فى عبد اللّه بن رَواحة حلف ان لا يكلّم
خَتَنَه بشير بن النعمان ولا يُصلح بينه وبين اخته ، والعرضة فُعْلة بمعنى المفعول كالقُبْضة تطلق لما
٢٥ يُعرّض دون الشيء وللمعرَّض للامر ومعنى الآية على الاوّل ولا تجعلوا اللّه حاجزا لما حلفتم عليه من
انواع الخير فيكون المراد بالأيمان الامور المحلوف عليها كقوله عم لابن سَمُرة اذا حلفت على يمين فرأيت
غيرها خيرا منها فأتِ الّذى هو خير وكفّر عن يمينك وأنْ مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة
عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان تكون للتعليل ويتعلّق أنْ بالفعل او بعرضة اى ولا تجعلوا

جزء ٢ اللّه عرضة لأن تبرّوا لاجل ايمانكم به وعلى الثانى ولا تجعلوه معرّضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به
ركوع ١٢ ولذلك ذمّ الحلّاف بقوله ولا تطع كلّ حلّاف مهين وان تبرّوا علّة للنهى اى انهاكم عنه ارادة برّكم
وتقواكم واصلاحكم بين الناس فانّ الحلّاف مجترئ على اللّه والمجترئ عليه لا يكون برّا متّقيا ولا موثوقا
به فى اصلاح ذات البين وَٱللّٰهُ سَمِيعٌ لايمانكم عَلِيمٌ بنيّاتكم (٢٢٥) لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللّٰهُ بِٱللَّغْوِ فِى أَيْمَانِكُمْ اللغو
٥ الساقط الّذى لا يعتدّ به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلّم
به جاهلا لمعناه كقول العرب لا واللّه وبلى واللّه لمجرّد التأكيد لقوله وَلٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ
والمعنى لا يؤاخذكم اللّه بعقوبة ولا كفّارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم
من الأيمان وواطأت فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو أن يحلف الرجل بناء على ظنّه الكاذب
والمعنى لا يعاقبكم بما اخطأتم فيه من الأيمان ولكن يعاقبكم بما تعمّدتم الكذب فيها وَٱللّٰهُ غَفُورٌ حيث لم
١٠ يؤاخذكم باللغو حَلِيمٌ حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجدّ تربّصا للتوبة (٢٢٦) لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ
مِنْ نِسَائِهِمْ اى يحلفون على ان لا يجامعوهنّ والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لمّا ضمّن هذا القسم
معنى البعد عدّى بمن تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مبتدأ ما قبله خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق ،
والتربّص الانتظار والتوقّف اضيف الى الظرف على الاتّساع اى للمولى حقّ التلبّث فى هذه المدّة ولا يطالب
بفىء ولا طلاق ولذلك قال الشافعىّ لا ايلاء الّا فى اكثر من اربعة اشهر ويؤيّده فَإِنْ فَآءُوا رجعوا من
١٥ اليمين بالحنث فَإِنَّ ٱللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ للمولى اثم حنثه اذا كفّر او ما توخّى بالايلاء من ضرار المرأة ونحوه
بالفيئة الّتى هى كالتوبة (٢٢٧) وَإِنْ عَزَمُوا ٱلطَّلَاقَ اى وان صمّموا قصده فَإِنَّ ٱللّٰهَ سَمِيعٌ لطلاقهم عَلِيمٌ
بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة الايلاء فى اربعة اشهر فما فوقها وحكمه انّ المولى ان فاء فى المدّة بالوطئ
ان قدر والوعد ان عجز صحّ الفىء ولزم الواطئ أن يكفّر والّا بانت بعدها بتطليقه وعندنا يطالب بعد
المدّة باحد الامرين فان ابى عنهما طلّق عليه الحاكم (٢٢٨) وَٱلْمُطَلَّقَاتُ يريد بها المدخول بهنّ من
٢٠ ذوات الاقراء لما دلّت عليه الآيات والاخبار انّ حكم غيرهنّ خلاف ما ذكر يَتَرَبَّصْنَ خبر فى معنى الامر
وتغيير العبارة للتأكيد والاشعار بانّه ممّا يجب ان يسارع الى امتثاله فكأنّ المخاطب قصد ان يمتثل
الامر فيخبر عنه كقولك فى الدعاء رحمك اللّه وبناؤه على المبتدأ يزيده فضل تأكيد بِأَنْفُسِهِنَّ تهييج
وبعث لهنّ على التربّص فانّ نفوس النساء طوامح الى الرجال فأمرن ان يقمعنها ويحملنها على التربّص
ثَلَاثَةَ قُرُوٓءٍ نصب على الظرف او المفعول به اى يتربّصن مضيّها ، وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله
٢٥ عم دعى الصلوة ايّام اقرائك وللطهر الفاصل بين حيضتين كقول الاعشى

لما ضاع فيها من قروء نسائكا

واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به فى الآية لانّه الدالّ على براءة الرحم لا الحيض كما قاله
الحنفيّة لقوله تعالى فطلّقوهنّ لعدّتهنّ اى وقت عدّتهنّ والطلاق المشروع لا يكون فى الحيض واما قاله
عم طلاق الامة تطليقتان وعدّتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان فى قصّة ابن عمر رضى اللّه عنهما

مُرْه فليراجعها ثمّ ليمسكها حتّى تطهر ثمّ تحيض ثمّ تطهر ثمّ ان شاء امسك بَعْدُ وان شاء طلّق قبل ان جزء ٢
يمسّ فتلك العدّة الّتى امر اللّه تعالى ان يطلّق لها النساء   وكان القياس ان يذكر بصيغة القلّة ركوع ١٢
الّتى هي الأقراء لكنّهم يتّسعون فى ذلك فيستعملون كلّ واحد من البنائيْن مكانَ الآخر ولعلّ الحكم لمّا
عمّ المطلّقات ذوات الاقراء تضمّن معنى الكثرة فحسن بناؤها وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ
٥ من الولد او الحيض استعجالا فى العدّة وابطالا لحقّ الرجعة وفيه دليل على انّ قولها مقبول فى ذلك
إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ليس المراد منه تقييد نفي الحلّ بايمانهنّ بل التنبيه على انّه ينافى
الايمان وانّ المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغى له ان يفعل وَبُعُولَتُهُنَّ اى ازواج المطلّقات أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ الى
النكاح والرجعة اليهنّ ولكن اذا كان الطلاق رَجْعيًّا للآية الّتى تتلوها فالضمير اخصّ من المرجوع
اليه ولا امتناعَ فيه كما لو كرّر الظاهر وخصّصه ، والبعولة جمع بعل والتاء لتأنيث الجمع كالعمومة
١٠ والخؤولة او مصدر من قولك بعلَ حسنُ البعولة نُعت به او أُقيم مقام المضاف المحذوف اى واهل
بعولتهنّ ، وأَفْعَلُ ههنا بمعنى الفاعل فِي ذٰلِكَ اى فى زمان التربّص إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا بالرجعة لا اضرارَ المرأة
وليس المراد منه شرطيّته قصدَ الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي
عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ اى ولهنّ حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهنّ فى الوجوب واستحقاق المطالبة عليها
لا فى الجنس وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ زيادة فى الحقّ وفضل فيه لانّ حقوقهم فى انفسهنّ وحقوقهنّ المهر
١٥ والكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانّهم قُوّام عليهنّ وحُرّاس لهنّ يشاركونهنّ فى غرض
الزواج ويختصّون بفضيلة الرعاية والانفاق وَٱللَّهُ عَزِيزٌ يقدر على الانتقام ممّن خالف الاحكام حَكِيمٌ
يشرعها لحِكَم ومصالح (٢٢٩) ٱلطَّلَاقُ مَرَّتَانِ اى التطليق الرجعىّ اثنان لما روى انّه عم سُئل اين الثالثة ركوع ١٣
فقال او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعىّ تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت
الحنفيّة الجمع بين التطليقتين والثلاث بدعة فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيّد المعنى
٢٠ الاوّل أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ بالطلقة الثالثة او بأن لا يراجعها حتّى تَبِينَ وعلى المعنى الاخير حكم مبتدأ
وتخيير مطلق عقّب به تعليمهم كيفيّة التطليق وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا اى
من الصدُقات روى انّ جميلة بنت عبد اللّه بن أُبَيّ ابن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس
فأتت رسولَ اللّه صلعم وقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء واللّه ما اعيبه فى دين ولا خُلُق
ولكن اكره الكفر فى الاسلام ما اطيقه بغضا انّى رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل فى عدّة فاذا هو اشدّهم
٢٥ سوادا واقصرهم قامةً واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة أَصْدَقَها والخطاب مع الحكّام واسناد
الاخذ والايتاء اليهم لانّهم الآمرون بهما عند الترافع وقيل انّه خطاب للازواج وما بعده خطاب للحكّام
وهو يشوّش النظم على القراءة المشهورة إِلَّا أَنْ يَخَافَا اى الزوجان وقرئ يُخَافَا وهو يؤيّد تفسير الخوف
بالظنّ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ بترك اقامة احكامه من مواجب الزوجيّة ، وقرأ حمزة ويعقوب يُخَافَا على

جزء ۲ البناء للمفعول وابدال أَنْ بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تَخافا وتُقيما بناء الخطاب فَإِنْ خِفْتُمْ
ركوع ۱۳ ايها الحكّام أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ على الرجل فى اخذ ما فدت به
نفسها واختلعت وعلى المرأة فى اعطائه تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ اشارة الى ما حدّ من الأحكام فَلَا تَعْتَدُوهَا فلا
تتعدّوها بالمخالفة وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ تعقيب للنهى بالوعيد مبالغة فى
٥ التهديد ، واعلم انّ ظاهر الآية يدلّ على انّ الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق
الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيّد ذلك قوله عم ايّما امرأة سألت زوجها طلاقا من غير بأس فحرامٌ
عليها رائحة الجنّة وما روى انّه عم قال لجميلة اتردّين عليه حديقته فقالت اردّها وازيد عليها فقال عم
امّا الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفّذوه فانّ المنع عن العقد لا يدلّ على فساده وانّه يصحّ بلفظ
المفاداة فانّه سمّاه افتداء واختُلف فى انّه اذا جرى بغير لفظ الطلاق فسخٌ او طلاق ومَنْ جعله فسخا
١٠ احتجّ بقوله (۲۳۰) فَإِن طَلَّقَهَا فانّ تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضى ان يكون طلقة رابعة لو
كان الخلع طلاقا والاظهر انّه طلاق لانّه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلّقها
متعلّق بقوله الطلاق مرّتان او تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالةً على
انّ الطلاق يقع مجّانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلّقها بعد الثنتين فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ من بعد
ذلك الطلاق حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ حتّى تتزوّج غيره والنكاح يُسنَد الى كلّ منهما كالتزوّج وتعلّق
١٥ بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيّب واتّفق الجمهور على انّه لا بدّ من الاصابة لما روى أنّ امرأة
رفاعة قالت لرسول اللّه صلعم انّ رفاعة طلّقنى فبتّ طلاقى وانّ عبد الرحمن بن الزبير تزوّجنى وانّ ما
معه مثل هُدبة الثوب فقال رسول اللّه صلعم أتريدين ان ترجعى الى رفاعة قالت نعم قال لا حتّى تذوقى
عُسَيْلته ويذوق عسيلتك فالآية مُطلَقة قيّدتها السنّة ويحتمل ان يفسّر النكاح بالاصابة ويكون
العقد مستفادا من لفظ الزوج ، والحكمة فى هذا الحكم الردع عن التسرّع الى الطلاق والعَود الى المطلّقة
٢٠ ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوّزه ابو حنيفة مع الكراهة وقد
لعن رسول اللّه صلعم المحلّل والمحلّل له فَإِن طَلَّقَهَا الزوج الثانى فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ ان يرجع
كلّ من المرأة والزوج الاوّل الى الآخر بالزواج إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ان كان فى ظنّهما انّهما يقيمان
ما حدّه اللّه وشرعه من حقوق الزوجيّة وتفسير الظنّ بالعلم ههنا غير سديد لانّ عواقب الامور
غيّب تُظنّ ولا تُعلم ولانّه لا يقال علمت أنْ يقومَ زيد لانّ أَنْ الناصبة للتوقّع وهو ينافى العلمَ
٢٥ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ اى الاحكام المذكورة يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ يفهمون ويعملون بمقتضى العلم
(۲۳۱) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ اى آخر عدّتهنّ والأَجَل يطلق للمدّة ولمنتهاها فيقال لعمر
الانسان وللموت الذى به ينتهى قال

جزء ٢

كلّ حيّ مستكمل مدّة العمـــــــــر ومودٍ اذا انتهى اجلهْ ،

ركوع ١٣

والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد يقال للدنوّ منه على الاتّساع وهو المراد في الآية ليصحّ أن يرتّب عليه
فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهنّ من غير
ضرار او خلّوهنّ حتّى تنقضي عدّتهنّ من غير تطويل وهو اعادة للحكم في بعض صوره للاهتمام به
٥ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا ولا تراجعوهنّ ارادة الاضرار بهنّ كان المطلّق يترك المعتدّة حتّى تشارف الاجل ثمّ
يراجعها ليطوّل العدّة عليها فنهى عنه بعد الامر بضدّه مبالغة ، ونصب ضرارا على العلّة او الحال بمعنى
مضارّين لِتَعْتَدُوا لتظلموهنّ بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلّقة بالضرار اذ المراد تقييده
وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ بتعريضها للعقاب وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ ٱللّٰهِ هُزُوًا بالاعراض عنها والتهاون
في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجدّ في الامر انّما انت هازئ كانّه نهى عن الهزء واراد به الامر
١٠ بضدّه وقيل كان الرجل يتزوّج ويطلّق ويعتق ويقول كنتُ ألعبُ فنزلت وعنه عم ثلاثٌ جِدّهنّ
جِدّ وهزلهنّ جِدّ النكاح والطلاق والعتاق وَٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللّٰهِ عَلَيْكُمْ التي من جملتها الهداية وبعثة
محمّد صلعم بالشكر والقيام بحقوقها وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَٱلْحِكْمَةِ القران والسنّة افردهما بالذكر
اظهارا لشرفهما يَعِظُكُمْ بِهِ بما انزل عليكم وَٱتَّقُوا ٱللّٰهَ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ تأكيد وتهديد

ركوع ١٤

(٢٣٢) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ اى انقضت عدّتهن وعن الشافعيّ رضه دلّ سياق الكلامين
١٥ على افتراق البلوغين فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ المخاطب به الاولياء لما روى انّها نزلت في
مَعْقِل بن يسار حين عضل اخته جُمَيْلاء ان ترجع الى زوجها الاوّل بالاستيناف فيكون دليلا على انّ
المرأة لا تزوّج نفسها اذ لو تمكّنت منه لم يكن لعضل الوليّ معنى ولا يعارَض باسناد النكاح اليهنّ لانّه
بسبب توقّفه على اذنهنّ وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضيّ العدّة ولا يتركونهنّ يتزوّجن
عدوانا وقسرا لانّه جوابُ قوله واذا طلّقتم وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس كلّهم والمعنى لا يوجدْ
٢٠ فيما بينكم هذا الامر فانّه اذا وُجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له ، والعضل الحبس
والتضييق ومنه عضّلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ اى الخطّاب والنساء
وهو ظرف لأن ينكحن او لا تعضلوهنّ بِٱلْمَعْرُوفِ بما يعرفه الشرع وتستحسنه المروءة حال عن الضمير
المرفوع او صفة مصدر محذوف اى تراضيا كائنا بالمعروف ، وفيه دلالة على انّ العضل عن التزوّج من
غير كفؤ غير منهيّ ذٰلِكَ اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجمع على تأويل القبيل او كلّ واحد او
٢٥ انّ الكاف لمجرّد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول عم على طريقة
قوله يا ايّها النبيّ اذا طلّقتم للدلالة على انّ حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوّره كلّ احد يُوعَظ

بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ لانّه المتّعظ به والمنتفع ذٰلِكُمْ اى العمل بمقتضى ما ذكر
أَزْكَىٰ لَكُمْ انفع وَأَطْهَرُ من دنس الآثام وَاللّٰهُ يَعْلَمُ ما فيه من النفع والصلاح وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ لقصور
علمكم (۲۳۳) وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ امرٌ عُبّر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب
فيخصّ بما اذا لم يرتضع الصبيّ الّا من امّه او لم توجد له ظئرٌ او عجز الوالد عن الاستيجار ، والوالدات
يعمّ المطلّقات وغيرهنّ وقيل يختصّ بهنّ اذ الكلام فيهنّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ أكّد بصفة الكمال لانّه ممّا ۵
يتسامح فيه لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ بيان للمتوجّه اليه الحكم اى ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة او
متعلّق بيرضعن فانّ الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والامّ ترضع له ، وهو دليل على انّ اقصى مدّة
الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانّه يجوز ان يُنْقَص عنه وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ اى الّذى يولد له يعنى الوالد
فانّ الولد يُولَد له ويُنْسَب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضى لوجوب الارضاع ومون المرضعة
عليه رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ اجرة لهنّ واختلف فى استيجار الامّ فجوّزه الشافعيّ ومنعه ابو حنيفة ما دامت ۱۰
زوجةً او معتدّةً نكاح بِالْمَعْرُوفِ حسب ما يراه الحاكم ويفى به وُسْعه لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا تعليلٌ
لايجاب المون والتقييد بالمعروف ودليلٌ على انّه تعالى لا يكلّف العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه
لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ تفصيل له وتقريب اى لا يكلّف كلّ منهما الآخر ما ليس فى
وسعه ولا يضارّه بسبب الولد ، وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تُضارُّ بالرفع بدلا عن قوله لا تكلّف
واصله على القراءتين تضارِر بالكسر على البناء للفاعل او الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاوّل يجوز ۱۵
ان يكون بمعنى تُضِرّ والباء من صلته اى لا يُضِرّ الوالدان بالولد فيفرّط فى تعهّده ويقصّر فيما ينبغى
له وقرئ لا تُضَارْ بالسكون مع التشديد على نيّة الوقف وبه مع التخفيف على انّه من ضاره يضيره ،
واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انّه حقيق بأن يتّفقا على استصلاحه
والاشفاق فلا ينبغى ان يُضرّا به او يتضارّا بسببه وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذٰلِكَ عطف على قوله وعلى المولود له
رزقهنّ وكسوتهنّ وما بينهما تعليلٌ معترضٌ ، والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبيّ اى مون المرضعة ۲۰
من ماله اذا مات الاب وقيل الباقى من الابوين من قوله عم واجعله الوارث منّا وكلا القولين يوافق
مذهب الشافعيّ رضه اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولادة وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابى ليلى
وقيل وارثه المَحْرَم منه وهو مذهب ابى حنيفة وقيل عَصَباته وبه قال ابو زيد ، وذلك اشارة الى ما وجب
على الاب من الرزق والكسوة فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ اى فصالا صادرا عن تراض منهما
وتشاورٍ بينهما قبل الحولين ، والتشاور والمشاورة والمَشْوَرة والمَشُورة استخراج الرأى من شُرْتُ العسلَ ۲۵
اذا استخرجته فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فى ذلك وانّما اعتبر تراضيهما مراعاةً لصلاح الطفل وحذرا ان يُقْدِم
احدهما على ما يضرّ به لغرض او غيره وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ اى تسترضعوا المراضعَ اولادكم
يقال أرضعت المرأة الطفلَ واسترضعتها ايّاه كقولك أنجح اللّه حاجتى واستنجحته ايّاها فحذف المفعول

الاوّل للاستغناء عنه فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهِ واطلاقه يدلّ على انّ للزوج ان يسترضع الولد ويمنع الزوجة جزء ٢
من الارضاع اِذَا سَلَّمْتُمْ الى المراضع مَا آتَيْتُمْ ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرأ ابن ركوع ١٤
كثير مَا أَتَيْتُمْ من أتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ أُوتِيتُمْ اى ما آتاكم الله واقدركم عليه من
الاجرة بِالْمَعْرُوفِ صلة سلّمتم اى بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دلّ عليه ما
٥ قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الأَولى والاصلح للطفل وَاتَّقُوا اللَّهَ مبالغة
فى المحافظة على ما شرع فى امر الاطفال والمراضع وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ حثّ وتهديد

(٢٣٤) وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا اى وازواج الذين او
والذين يتوفّون منكم ويذرون ازواجا يتربّصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم ، وقرئ يَتَوَفَّوْنَ
بفتح الياء اى يستوفون آجالهم ، وتأنيث العشر باعتبار الليالى لانّها غرر الشهور والايام ولذلك لا
١٠ يستعملون التذكير فى مثله قطّ ذهابا الى الايام حتّى انّهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله تعالى
ان لبثتم الّا عشرا ثمّ ان لبثتم الّا يوما ، ولعلّ المقتضى لهذا التقدير انّ الجنين فى غالب الامر يتحرّك
لثلثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الأجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ
ربّما تضعف حركته فى المبادى فلا يحسّ بها وعموم اللفظ يقتضى تساوى المسلمة والكتابية فيه كما
قال الشافعىّ والحرّة والامة كما قال الاصمّ والحامل وغيرها لكنّ القياس اقتضى تنصيف المدّة للامة والاجماع
١٥ خصّ الحامل عنه لقوله تعالى وأولات الاحمال اجلهنّ ان يضعن حملهنّ وعن علىّ وابن عبّاس انّها تعتدّ
باقصى الاجلين احتياطا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ اى انقضت عدّتهنّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ايها الائمة والمسلمون
جميعا فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ من التعرّض للخطّاب وسائر ما حرّم عليها للعدّة بِالْمَعْرُوفِ بالوجه الذى
لا ينكره الشرع ومفهومه انّهنّ لو فعلن ما ينكره فعليهم ان يكفّوهنّ فان قصّروا فعليهم الجناح
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فيجازيكم عليه (٢٣٥) وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ
٢٠ التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لأسلّم عليك
والكناية هى الدلالة على الشىء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد
للمضياف ، والخطبة بالضمّ والكسر اسم الحالة غير انّ المضمومة خصّت بالموعظة والمكسورة بطلب المرأة ،
والمراد بالنساء المعتدّات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها انّك جميلة او نافقة ومن غرضى أن
اتزوّج ونحو ذلك أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ او اضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا
٢٥ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ ولا تصبرون على السكوت عنهنّ وعن الرغبة فيهنّ وفيه نوع توبيخ
وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا استدراك عن محذوف دلّ عليه ستذكرونهنّ اى فاذكروهنّ ولكن لا تواعدوهنّ
نكاحا او جماعا عبّر بالسرّ عن الوطئ لانّه يسرّ ثمّ عن العقد لانّه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهنّ
فى السرّ على انّ المعنى بالمواعدة فى السرّ المواعدة بما يستهجن إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وهو ان تعرّضوا

جزء ٢ ولا تصرّحوا والمستثنى منه محذوف اى لا تواعدوهنّ مواعدة الّا مواعدة معروفة او الّا مواعدة بقول
ركوع ١٤ معروف وقيل انّه استثناء منقطع من سرّا وهو ضعيف لأدائه الى قولك لا تواعدوهنّ الّا التعريض وهو
غير موعود ' وفيه دليل حرمة تصريح خِطْبة المعتدّة وجوازِ تعريضها ان كانت معتدّة وفاةٍ واختلف
فى مُعتدّة الفراق البائن والاظهرُ جوازه (٢٣٦) وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ ذكر العزم مبالغة فى النهىَ عن
العقد اى ولا تعزموا عَقْدَ عُقْدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح فانّ اصل العزم القطع ٥
حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَابُ أَجَلَهُ حتّى ينتهى ما كُتب من العدّة وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ من العزم
على ما لا يجوز فَٱحْذَرُوهُ ولا تعزموا وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ لمن عزم ولم يفعل خشيةً من الله حَلِيمٌ لا
ركوع ١٥ يعاجلكم بالعقوبة (٢٣٧) لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ لا تَبِعَةَ مِنْ مَهْر وقيل مِنْ وِزْر لانّه لا بدعةَ فى الطلاق قبل
المسيس وقيل كان النبىّ صلعم يُكْثِر النهى عن الطلاق فظُنّ انّ فيه حرجا فنُفِى إِنْ طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَاءَ
مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ اى تجامعوهنّ وقرأ حمزة والكسائىّ تُمَاسُّوهُنَّ بضمّ التاء ومدّ الميم فى جميع القران ١٠
أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً الّا ان تفرضوا او حتّى تفرضوا او وتفرضوا ' والفرض تسمية المهر ' وفريضةً نصب
على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفيّة الى الاسميّة ويحتمل المصدر والمعنى
انّه لا تَبِعَةَ على المطلِّق من مطالبة المهر اذا كانت المطلّقة غير ممسوسة ولم يُسَمِّ لها مهرا اذ لو كانت
ممسوسة فعليه المسمّى او مهر المِثْل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمّى لها فلها نصفه فمنطوقُ الآية
ينفى الوجوب فى الصورة الاولى ومفهومُها يقتضى الوجوب على الجملة فى الاخيرتين وَمَتِّعُوهُنَّ عطف على ١٥
مقدّر اى فطلّقوهنّ ومتّعوهنّ والحكمة فى ايجاب المتْعة جَبْرُ ايحاش الطلاق وتقديرُها مفوّض الى رأى
الحاكم ويؤيّده قوله عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُ اى على كلّ مِن الّذى له سعة والمقتِرِ الضيق
الحال ما يطيقه ويليق به ويدلّ عليه قوله عم لأنصارىّ طلّق امرأته المفوّضة قبل ان يمسّها مَتِّعْها
بِقَلَنْسُوَتِك وقال ابو حنيفة هى دِرْع ومِلْحفة وخِمار على حَسَب الحال الّا أنْ يَقِلّ مَهْرُ مِثْلها من ذلك
فلها نصفُ مهر المثل ومفهومُ الآية يقتضى تخصيص ايجاب المتعة للمفوّضة الّتى لم يمسّها الزوج وألحق ٢٠
بها الشافعىّ فى احد قوليه الممسوسةَ المفوّضةَ وغيرَها قياسا وهو مُقدَّم على المفهوم ' وقرأ حمزة والكسائىّ
وحفص وابن ذكوان بفتح الدال مَتَاعًا تمتيعا بِٱلْمَعْرُوفِ بالوجه الّذى يستحسنه الشرع والمروءة حَقًّا
صفة لمتاعا او مصدر مؤكّد اى حَقّ ذلك حقّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ الّذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة
الى الامتثال او الى المطلّقات بالتمتيع وسمّاهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا (٢٣٨) وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً لمّا ذكر حكمَ المفوّضة اتبعه حكمَ قسيمها ٢٥
فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ اى فلهنّ او فالواجب نصف ما فرضتم لهنّ وهو دليل على انّ الجناح المنفىّ ثَمّ تبعة
المهر وأنّ لا متْعةَ مع التشطير لانّه قسيمها إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ اى المطلّقات فلا يأخذن شيئا والصيغة

جزء ٢ لمحصّل التذكير والتأنيث والفرق انّ الواو في الاوّل ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون
ركوع ١٥ ضمير والفعل مبنيّ ولذلك لم يؤثّر فيه أنْ ههنا ونُصِبَ المعطوف عليه أَوْ يَعْفُوَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ
اي الزوج المالك لعقده وحلّه عمّا يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كملا وهو مُشْعِر بانّ الطلاق
قبل المسيس مُخيِّرٌ للزوج غيرُ مشطِّر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفيّة وقيل الوليّ الّذي يلي
٥ عَقْدَ نكاحهنّ وذلك اذا كانت المرأة صغيرة وهو قول قديم للشافعيّ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى يؤيّد
الوجه الاوّل وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهرٌ وعلى الوجه الآخر عبارةٌ عن الزيادة على الحقّ وتسميتها
عفوا امّا على المشاكلة وامّا لانّهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوّج فمن طلّق قبل المسيس استحقّ
استردادَ النصف فاذا لم يستردّه فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم انّه تزوّج امرأة وطلّقها قبل الدخول
فاكمل لها الصداق وقال انا احقّ بالعفو وَلَا تَنْسَوُا ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ اي ولا تنسوا أنْ يتفضّل بعضكم
١٠ على بعض إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ لا يضيع تفضّلكم واحسانكم (٢٣٩) حَافِظُوا عَلَى ٱلصَّلَوَاتِ بالاداء
لوقتها والمداومة عليها ولعلّ الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلّا يُلهيهم الاشتغال بشأنهم
عنها وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ اي الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا وهي صلوة العصر لقوله عم يومَ الأحزاب
شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها
واجتماع الملائكة وقيل صلوة الظهر لانّها في وسط النهار وكانت اشقّ الصلوات عليهم فكانت افضل
١٥ لقوله عم أفضلُ العبادات أحمزُها وقيل الفجر لانّها بين صلاتي الليل والنهار والواقعة في الحدّ المشترك
بينهما ولانّها مشهودة وقيل المغرب لانّها المتوسّطة بالعدد ووترُ النهار وقيل العشاء لانّها بين جهريّتين
واقعتين طرفي الليل وعن عائشة انّه عم كان يقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر فتكون صلوةً من الاربع
خُصّت بالذكر مع العصر لانفرادها بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص والمدح وَقُومُوا لِلَّهِ في الصلوة
قَانِتِينَ ذاكرين له في القيام والقنوتُ الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيّب المراد به القنوت
٢٠ في الصبح (٢٤٠) فَإِنْ خِفْتُمْ من عدوّ او غيره فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فصلّوا راجلين او راكبين ورجال جمع
راجل او رَجُل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة حالَ المسايفة واليه ذهب الشافعيّ
رضه وقال ابو حنيفة لا يصلّي حالَ المشي والمسايفة ما لم يُمْكِن الوقوف فَإِذَا أَمِنْتُمْ وزال خوفكم
فَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ صلّوا صلوة الامن او اشكروه على الامن كَمَا عَلَّمَكُمْ ذكرا مثلَ ما علّمكم من الشرائع
وكيفيّة الصلوة حالتي الخوف والامن او شكرا يوازيه وما مصدريّة او موصولة مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ
٢٥ مفعول علّمكم (٢٤١) وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ قرأها بالنصب ابو عمرو وابن
عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والّذين يتوفّون منكم يوصون وصيّةً او ليوصوا وصيّةً او
كتب الله عليهم وصيّةً او الزم الّذين يتوفّون وصيّة ويؤيّد ذلك قراءة كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْوَصِيَّةُ لِأَزْوَاجِكُمْ
مَتَاعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ مكانه وقرأ الباقون بالرفع على تقدير ووصيّةُ الّذين يتوفّون او حكمهم وصيّةٌ او

جزء ٢ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ اهل وصيّة او كُتِبَ عليهم وصيّةً او عليهم وصيّةٌ وقرئ مَتَاعٌ بدلها مَتَاعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ

ركوع ١٥ نصب بيوصون إن أضمرت وإلّا فبالوصيّة وبمتاعٌ على قراءة من قرأ به لانّه بمعنى التمتيع غَيْرَ إِخْرَاجٍ بدل
منه او مصدر موكّد كقولك هذا القول غيرَ ما تقول او حال من ازواجهم اى غير مُخرَجات والمعنى
انّه يجب على الّذين يُتَوَفَّوْنَ ان يوصوا قبل ان يُحتضَروا لازواجهم بأن يُمتَّعن بعدهم حولا بالسكنى
والنفقة وكان ذلك اوّل الاسلام ثمّ نسخت المدّة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وإن كان متقدّما في ٥
التلاوة متأخّر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعدُ ثابتة عندنا خلافا
لابى حنيفة فَإِنْ خَرَجْنَ عن منزل الازواج فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ايها الائمّة فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنْفُسِهِنَّ كالتطيّب
وترك الحِداد مِنْ مَعْرُوفٍ ممّا لم ينكره الشرع وهذا يدلّ على انّه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن
الزوج والحداد عليه وانّما كانت مخيّرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ينتقم
ممّن خالفه منهم حَكِيمٌ يراعى مصالحهم (٢٤٢) وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ اثبت ١٠
المتعة للمطلّقات جميعا بعد ما اوجبها لواحدة منهنّ وافراد بعض العامّ بالحكم لا يخصّصه الّا اذا
جوّزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكلّ مطلّقة وأوّل غيره بما يعمّ التمتيع
الواجب والمستحبّ وقال قومٌ المراد بالمتاع نفقة العدّة ويجوز ان يكون اللام للعهد والتكرير للتأكيد
او لتكرّر القضيّة (٢٤٣) كَذَٰلِكَ اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدّة يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وعد
بانّه سيبيّن لعباده من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ لعلّكم تفهمونها ١٥

ركوع ١٦ فتستعملون العقل فيها (٢٤٤) أَلَمْ تَرَ تعجيب وتقرير لمن سمع بقصّتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ
وقد يخاطب به من لم يَرَ ولم يسمع فانّه صار مَثَلا في التعجيب إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ يريد اهل
داوَرْدانَ قرية قِبَل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم اللّه ثمّ احياهم ليعتبروا ويتيقّنوا انّ
لا مَفَرّ من قضاء اللّه وقَدَرِه او قوما من بنى اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففرّوا حذرَ الموتِ فاماتهم
اللّه ثمانية ايّام ثمّ احياهم وَهُمْ أُلُوفٌ اى الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل ٢٠
متألّفون جمع آلِف او آلِف كقاعد وقعود والواو للحال حَذَرَ ٱلْمَوْتِ مفعول له فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا
اى قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انّهم ماتوا ميتةَ رجلٍ واحدٍ من غير علّة بأمر اللّه
تعالى ومشيّته وقيل ناداهم به ملك وانّما أُسند الى اللّه تخويفا وتهويلا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ قيل مرّ حزقيل على
اهل داوَرْدانَ وقد عَرِيت عظامهم وتفرّقت اوصالهم فتعجّب من ذلك فأوحى اليه نادِ فيهم أَنْ قوموا
باذن اللّه فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللّهمّ وبحمدك لا اله الّا انت وفائدة القصّة تشجيعُ المسلمين ٢٥
على الجهاد والتعرّض للشهادة وحثّهم على التوكّل والاستسلام للقضاء إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ
حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقصّ عليكم حالهم لتستبصروا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ [illegible]

يشكرونه كما ينبغى ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار (٢٤٥) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لمّا بيّن انّ جزء ٢ الفرار عن الموت غير مخلّص وانّ المقدّر لا محالة واقعٌ أمَرَهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففى سبيل الله والّا ركوع ١٦ فالنصر والثواب وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ لما يقوله المتخلّف والسابق عَلِيمٌ بما يُضمرانه وهو من وراء الجزاء (٢٤٦) مَنْ ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ مَنْ استفهاميّة مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والّذى صفة ذا او

٥ بدله ، واقراض الله مَثَلٌ لتقديم العمل الّذى يطلب به ثوابه قَرْضًا حَسَنًا اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مُقرَضا حلالا طيّبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق فى سبيل الله فَيُضَاعِفَهُ لَهُ فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرأ عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فانّ من ذا الّذى يقرض الله فى معنى أيُقرض اللهَ احدٌ وقرأ ابن كثير فيضعّفه بالرفع والتشديد وابن عامر ويعقوب بالنصب أَضْعَافًا كَثِيرَةً كثرة لا يقدرها الّا الله وقيل الواحد بسبعمائة وأضعافا

١٠ جمع ضِعْف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثانى لتضمّن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على انّ الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ يقتر على بعض ويوسّع على بعض حسبما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسّع عليكم كيلا يبدّل حالكم وقرأ نافع والكسائىّ والبزّى وابو بكر بالصاد ومثله فى الاعراف فى قوله تعالى فى الخلق بَسْطة وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ فيجازيكم على ما قدّمتم (٢٤٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الملأ جماعة يجتمعون للتشاور لا واحد له كالقوم ، ومِن للتبعيض

١٥ مِنْ بَعْدِ مُوسَى اى من بعد وفاته ومن للابتداء إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ هو يوشع او شمعون او اشمويل ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَقِمْ لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبّر امره ونصدر فيه عن رأيه ، وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انّه حال اى ابعثه لنا مقدّرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى أتوقّعُ جُبنكم عن القتال ان كُتب عليكم فادخل هل على فعل التوقّع مستفهما

٢٠ عمّا هو المتوقّع عنده تقريرا وتثبيتا ، وقرأ نافع عَسِيتُمْ بكسر السين قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا اى اىّ غرض لنا فى ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحثّ عليه من الاخراج عن الأوطان والإفراد عن الاولاد وذلك انّ جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بنى اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر

٢٥ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّالِمِينَ وعيد لهم على ظلمهم فى ترك الجهاد (٢٤٨) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا طالوت عَلَمٌ عِبرىّ كداود وجَعْله فَعَلوتا من الطول تعسّفٌ يدفعه مَنْعُ صرفه ، روى انّ نبيّهم عم لمّا دعا الله ان يملّكهم أُتى بعصًا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الّا طالوت قَالُوا أَنَّى

جزء ٢ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا من أين يكون له ذلك ويستأهله وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ
ركوع ٢١ والحال انّا احقّ بالملك منه وراثةً ومكنةً وانّه فقير لا مال له يعتضد به وانّما قالوا ذلك لانّ طالوت كان
فقيرا راعيا او سقّاء او دبّاغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوّة والملك وانّما كانت النبوّة فى اولاد
لاوى بن يعقوب والملك فى اولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ
بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُ مَنْ يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ لمّا استبعدوا تملّكه لفقره وسقوط ٥
نسبه ردّ عليهم ذلك اوّلا بأنّ العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا
بأنّ الشرط فيه وفور العلم ليتمكّن به من معرفة الامور السياسيّة وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا
فى القلوب واقوى على مقاومة العدوّ ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل
القائم يمدّ يده فينال رأسه وثالثا بأنّه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا بأنّه
واسع الفضل يوسّع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب وغيره (٢٤٩) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ١٠
لمّا طلبوا منه حجّة على انّه سبحانه وتعالى اصطفى طالوت وملّكه عليهم إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ
الصندوق فعلوت من التوب لانّه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول لقلّة نحو سلس وقلق
ومن قرأ بالهاء فلعلّه ابدله منه كما أبدل من تاء التأنيث لاشتراكهما فى الهمس والزيادة يريد به
صندوق التورية وكان من خشب الشمشاد مموّها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع فى ذراعين
فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ الضمير للاتيان اى فى اتيانه سكون لكم وطمأنينة او للتابوت اى مودع فيه ما ١٥
تسكنون اليه وهو التورية وكان موسى اذا قاتل قدّمه فتسكن نفوس بنى اسرائيل ولا يفرّون وقيل
صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرّة وذنبها وجناحان فتئنّ فيزفّ التابوت
نحو العدوّ وهم يتبعونه فاذا استقرّ ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صُوَر الانبياء من آدم الى محمّد
عليهم الصلوة والسلام وقيل التابوتُ هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير
قلبه مقرّ العلم والوقار بعد ان لم يكن وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هٰرُونَ رضاض الالواح وعصا موسى ٢٠
وثيابه وعمامة هرون ، وآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شأنهما او انبياء بنى اسرائيل
لانّهم ابناء عمّهما تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَائِكَةُ قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل
كان بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتّى افسدوا فغلبهم الكفّار عليه وكان فى ارض جالوت الى ان
ملّك الله طالوت فاصابهم ببلاء حتّى هلكت خمس مدائن فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين
فساقتهما الملائكة الى طالوت إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ يحتمل ان يكون من تمام كلام النبىّ ٢٥
ركوع ١٧ صلعم وان يكون ابتداء خطاب من الله سبحانه وتعالى (٢٥٠) فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ انفصل بهم عن
بلده لقتال العمالقة وأصله فصل نفسه عنه ولكن لمّا كثر حذف مفعوله صار كاللازم روى انّه قال لهم
لا يخرج معى الّا الشابّ النشيط الفارغ فاجتمع عليه ممّن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا

فسلكوا مفازة وسألوا ان يجرى اللّه لهم نهرا قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ معاملكم معاملة المختبر بما جزء ٢
اقترحتموه فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي فليس من اشياعى او ليس بمتحد معى وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي ركوع ١٧
اى من لم يذقه من طَعِمَ الشيء اذا ذاقه مأكولا او مشروبا قال

وإنْ شئتُ لم أطْعَمْ نُقاخا ولا بَرْدا

٥ وانّما علم ذلك بالوحى ان كان نبيّا كما قيل او باخبار النبيّ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ استثناء من
قوله فمن شرب وانّما قدّمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدّم والصابئون على الخبر فى قوله إنّ
ٱلّذين آمنوا وٱلّذين هادوا والمعنى الرخصة فى القليل دون الكثير ، وقرأ ابن عامر والكوفيّون غُرْفَةً بضمّ
الغين فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ اى فكرعوا فيه اذ الاصل فى الشرب منه ان لا يكون بوسط وتعميم
الاوّل ليتّصل الاستثناء او افرطوا فى الشرب منه الّا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فانّ قوله
١٠ فشربوا منه فى معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقيل ثلثة آلاف وقيل الفا روى
انّ من اقتصر على الغرفة كفتّه لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عليه عطشه واسودّت شفته ولم يقدر
ان يمضى وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ اى القليل الّذين لم يخالفوه
قَالُوا اى بعضهم لبعض لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ لكثرتهم وقوّتهم قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو ٱللَّهِ
اى قال الخُلّص منهم الّذين تيقّنوا لقاء اللّه وتوقّعوا ثوابه او علموا انّهم يستشهدون عمّا قريب فيلقون
١٥ اللّه وقيل هم القليل الّذين ثبتوا معه والضمير فى قالوا للكثير المنخزلين عنه اعتذارا فى التخلّف
وتخذيلا للقليل وكانّهم تقاولوا به والنهر بينهما كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ بحكمه
وتيسيره ، وكم يحتمل الخبر والاستفهام ، ومن مبيّنة او مزيدة ، والفئة الفرقة من الناس من فأوت
رأسه اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها فعة او فلة وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ بالنصر والاثابة (٢٥١) وَلَمَّا بَرَزُوا
لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ اى ظهروا لهم ودنوا منهم قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنْصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ
٢٠ ٱلْكَافِرِينَ التجأوا الى اللّه بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا اوّلا افراغ الصبر فى قلوبهم الّذى هو
ملاك الامر ثمّ ثباتَ القدم فى مَداحض الحرب المسبّبَ عنه ثمّ النصرَ على العدوّ المرتّبَ عليهما غالبا
(٢٥٢) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ ٱللَّهِ فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره ايّاهم اجابة لدعائهم وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ
قيل كان ايشى فى عسكر طالوت مع ستّة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم
فأوحى الى نبيّهم انّه الّذى يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد كلّمه فى الطريق ثلاثة احجار وقالت
٢٥ له انّك بنا تقتل جالوت فحملها فى مخلاته ورماه بها فقتله ثمّ زوّجه طالوت بنته وَآتَاهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ اى
ملك بنى اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على مَلِك وَٱلْحِكْمَةَ النبوّة وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ كالسرد وكلام
الدوابّ والطير وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ولولا

جزء ۲ انّه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفّار ويكفّ بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا فى
ركوع ۱۷ الارض او لفسدت الارض بشؤمهم ، وقرأ نافع هنا وفى الحجّ دفاع اللّٰه (۲۵۳) تِلْكَ آيَاتُ ٱللّٰهِ اشارة الى ما
قصّ من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نَتْلُوهَا عَلَيْكَ
بِٱلْحَقِّ بالوجه المطابق الّذى لا يشكّ فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ لمّا اخبرت
جزء ۳ بها من غير تعرّف واستماع (۲۵۴) تِلْكَ ٱلرُّسُلُ اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها فى السورة او المعلومة ٥
ركوع ۱ للرسول عم او جماعة الرسل واللام للاستغراق فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ بأن خصصناه بمنقبة ليست لغيره
مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ ٱللّٰهُ تفضيل له وهو موسى عم وقيل موسى ومحمّد عليهما السلام كلّم اللّٰه موسى ليلة
الحيرة وفى الطور ومحمّدا ليلة المعراج حين كان قابَ قَوْسَيْنِ او ادنى وبينهما بَوْنٌ بعيدٌ ، وقرئ كَلَّمَ
ٱللّٰهَ وكَالَمَ ٱللّٰهَ بالنصب فانّه كلّم اللّٰه كما انّ اللّٰه كلّمه ولذلك قيل كليم اللّٰه بمعنى مُكالِمه
وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ بأن فضّله على غيره من وجوه متعدّدة وبمراتب متباعدة وهو محمّد صلعم فانّه ١٠
خصّه بالدعوة العامّة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرّة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل
العلميّة والعمليّة الفائتة للحصر والابهامُ لتفخيم شأنه كانّه العَلَم المتعيّن لهذا الوصف المستغنى عن
التعيين وقيل ابرٰهيم خصّه بالخُلّة الّتى هى اعلى المراتب وقيل ادريس لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليّا
وقيل اولو العزم من الرسل وَآتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ خصّه بالتعيين لافراط
اليهود والنصارى فى تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانّها آيات واضحة ومعجزات عظيمة ١٥
لم يستجمعها غيره وَلَوْ شَآءَ ٱللّٰهُ هُدَى الناس جميعا مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ من بعد الرسل
مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ المعجزات الواضحة لاختلافهم فى الدين وتضليل بعضهم بعضا وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا
فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بتوفيقه التزام دين الانبياء تفضّلا وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ لاعراضه عنه بخذلانه وَلَوْ شَآءَ ٱللّٰهُ مَا
ٱقْتَتَلُوا كرّره للتأكيد وَلَٰكِنَّ ٱللّٰهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ فيوفّق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية
دليل على انّ الانبياء متفاوتة الاقدام وانّه يجوز تفضيل بعضهم على بعض لكن بقاطع لانّ ٢٠
اعتبار الظنّ فيما يتعلّق بالعمل وانّ الحوادث بيد اللّٰه تابعة لمشيئته خيرا كان او شرّا ايمانا او كفرا
ركوع ۲ (۲۵۵) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ ما اوجب عليكم انفاقه مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ
وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ من قبل ان يأتى يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فرّطتم والخلاص من عذابه اذ لا
بيع فيه فتحصّلوا ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خُلّة حتّى يعينكم عليه اخلّاؤكم او
يسامحوكم به ولا شفاعة الّا لمن اذن له الرحمن ورضى له قولا حتّى تتّكلوا على شفعاء تشفع لكم فى حطّ ٢٥
ما فى ذممكم وانّما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لانّها فى التقدير جواب هل فيه بيع او خلّة او شفاعة
وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل وَٱلْكَافِرُونَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ يريد والتاركون الزكوة

هم الّذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال فى غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكانَ ومن لم يحجّ وايذانا بانّ ترك الزكوة من صفات الكفّار كقوله وويل للمشركين الّذين لا يؤتون الزكوة (٢٥٦) اَللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ مبتدأ وخبر والمعنى انّه المستحقّ للعبادة لا غير وللنحاة خلاف فى انّه هل يضمر للا خبرٌ مثلُ فى الوجود او يصحّ ان يوجد اَلْحَيُّ الّذى يصحّ ان يعلم ويقدر وكلّ ما يصحّ له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوّة والامكان اَلْقَيُّومُ الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه وقرئ اَلْقَيَّامُ وَاَلْقَيِّمُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ السِنة فتور يتقدّم النومَ قال ابن الرقاع

وَسْنانَ أَقْصَدَه النعاسُ فرنّقتْ ... فى عينه سِنَةٌ وليس بنائم

والنوم حال يعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواسّ الظاهرة عن الاحساس رأسا وتقديم السنة عليه وقياسُ المبالغة عكسُه على ترتيب الوجود والجملة نفىٌ للتشبيه وتأكيدٌ لكونه حيّا قيّوما فانّ من اخذه نعاس او نوم كان مأوف الحيوة قاصرا فى الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفى الجمل الّتى بعده لَهُ مَا فِي ٱلسَّمٰوٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ تقرير لقيّوميّته واحتجاج على تفرّده فى الالوهيّة ، والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا فى حقيقتهما او خارجا عنها متمكّنا فيهما فهو ابلغ من قوله له السموات والارض وما فيهنّ مَنْ ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ بيان لكبرياء شأنه وانّه لا احد يساويه او يدانيه يستقلّ بأن يدفع ما يريده شفاعةً واستكانةً فضلاً ان يعاوقه عنادا ومناصبةً يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانّك مستقبل المستقبَل ومستدبر الماضى او امور الدنيا وامور الآخرة او عكسه او ما يحسّونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه ، والضمير لما فى السموات والارض لانّ فيهما العقلاء او لما دلّ عليه مَنْ ذا من الملائكة والانبياء وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِهِ من معلوماته إِلَّا بِمَا شَآءَ ان يعلموه وعطفه على ما قبله لانّ مجموعهما يدلّ على تفرّده بالعلم الذاتىّ التامّ الدالّ على وحدانيّته وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضَ تصوير لعظمته وتمثيل مجرّدٌ كقوله وما قدروا اللّه حقّ قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويّات بيمينه ولا كرسىّ فى الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيّه مجاز عن علمه او ملكه مأخوذ من كرسىّ العالِم والملِك وقيل جسم بين يدى العرش ولذلك سمّى كرسيّا محيطٌ بالسموات السبع لقوله هم ما السموات السبع والارضون السبع من الكرسىّ الّا كحلقة فى فلاة وفضل العرش على الكرسىّ كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعلّه الفلك المشهور بفلك البروج وهو فى الاصل اسم لما يُقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكأنّه منسوب الى الكِرْس وهو الملبّد وَلَا يَؤُدُهُ ولا يُثقله مأخوذ من الأَوْد وهو الاعوجاج حِفْظُهُمَا اى حفظه السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ المتعالى عن الانداد والاشباه ٱلْعَظِيمُ المستحقَر بالاضافة اليه كلّ ما سواه ، وهذه الآية مشتملة على امّهات المسائل

جزء ٣ الالهيّة فانّها دالّة على انّه تعالى موجود واحد فى الالهيّة متّصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجِد
ركوع ٢ لغيره اذ القيّوم هو القائم بنفسه المُقيم لغيره منزّه عن التحيّز والحلول مبرّأ عن التغيّر والفتور لا يناسب
الاشباح ولا يعتريه ما يعترى الارواح مالك المُلْك والمَلَكوت ومُبْدِع الاصول والفروع ذو البطش الشديد
الّذى لا يشفع عنده الّا من اذن له عالِم الاشياء كلّها جليّها وخفيّها كلّيّها وجزئيّها واسعُ الملك
والقدرة كلّ ما يصحّ ان يُمْلَك ويُقْدَر عليه لا يؤده شاقّ ولا يشغله شأن متعالٍ عمّا يدركه وَهْمٌ عظيم ٥
لا يحيط به فَهْمٌ ولذلك قال عم انّ اعظم آية فى القران آية الكرسىّ من قرأها بعث اللّه مَلَكا يكتب من
حسناته ويمحو من سيّئاته الى الغد من تلك الساعة وقال من قرأ آية الكرسىّ فى دُبُرِ كلّ صلوة مكتوبة
لم يمنعه من دخول الجنّة الّا الموت ولا يواظب عليها الّا صدّيق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه
آمنه اللّه على نفسه وجاره وجارِ جارهِ والابياتِ حوله (٢٥٧) لَا إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ اذ الاكراه فى الحقيقة الزام
الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن قَدْ تَبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ تميّز الايمان من الكفر بالآيات ١٠
الواضحة ودلّت الدلائل على انّ الايمان رشد يوصل الى السعادة الابديّة والكفر غىٌّ يؤدّى الى الشقاوة
السرمديّة والعاقلُ متى تبيّن له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى
الاكراه والالجاء وقيل اخبار فى معنى النهى اى لا تُكْرِهوا فى الدين وهو امّا عامّ منسوخ بقوله جاهِد
الكفّارَ والمنافقين وَاغْلُظْ عليهم او خاصّ باهل الكتاب لما روى انّ انصاريّا كان له ابنان تنصّرا قبل
المبعث ثمّ قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال واللّه لا ادعكما حتّى تُسْلِما فأبيا فاختصموا الى الرسول صلعم ١٥
فنزلت فَمَنْ يَكْفُرْ بِٱلطَّاغُوتِ بالشيطان او الاصنام او كلّ ما عُبِد من دون اللّه او صدّ عن عبادة اللّه
فَعَلُوت من الطُغيان قُلبت عينه ولامه وَيُؤْمِنْ بِٱللَّهِ بالتوحيد وتصديق الرسل فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ
طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهى مستعارة لمتمسّك المُحِقّ من النظر
الصحيح والرأى القويم لَا ٱنْفِصَامَ لَهَا لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته وَٱللَّهُ سَمِيعٌ بالاقوال
عَلِيمٌ بالنيّات ولعلّه تهديد على النفاق (٢٥٨) ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مُحبّهم او متولّى امورهم والمراد بهم ٢٠
من اراد ايمانه وثبت فى علمه انّه يؤمن يُخْرِجُهُمْ بهدايته وتوفيقه مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ ظلمات الجهل واتّباع
الهوى وقبول الوساوس والشُبَه المؤدّية الى الكفر إِلَى ٱلنُّورِ الى الهُدَى الموصل الى الايمان والجملة خبر
بعد خبر او حال من المستكنّ فى الخبر او من الموصول او منهما او استيناف مبيّن او مقرّر للولاية
(٢٥٩) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ ٱلطَّاغُوتُ اى الشياطين او المُضِلّات من الهوى والشيطان وغيرهما
يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَاتِ من النور الّذى مُنحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك ٢٥
فى الشهوات او من نور البيّنات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت فى قوم ارتدّوا عن الاسلام ،
واسنادُ الاخراج الى الطاغوت باعتبار التسبّب لا يأبى تعلّق قدرته تعالى وارادته به أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ
ركوع ٣ فِيهَا خَالِدُونَ وعيد وتحذير ولعلّ عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشأنهم (٢٦٠) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَاجَّ

جزء ٣ ابرٰهيم في ربه تعجيب من محاجة نمرود وحماقته أن آتاه الله الملك لأن آتاه اى ابطره ايتاء الملك وحمله
ركوع ٣ على المحاجة او حاجّ لاجله شكرا له على طريقة العكس كقولك عاديتنى لانى احسنت اليك او وقته
أن آتاه الله الملك ، وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة اذ قال ابرٰهيم ظرف لحاجّ او
بدل من آتاه على الوجه الثانى ربى الذى يحيى ويميت بخلق الحيوة والموت فى الاجساد ، وقرأ حمزة ربّ
٥ بحذف الياء قال أنا أحيى وأميت بالعفو عن القتل والقتل ، وقرأ نافع أنا بالالف قال ابرٰهيم فإنّ الله
يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب اعرض ابرٰهيم عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى
الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو فى الحقيقة عدول عن مثال خفىّ الى
مثال جلىّ من مقدوراته التى يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعلّ نمرود زعم انه يقدر
ان يفعل كلّ جنس يفعله الله فنقضه ابرٰهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد الحلول
١٠ وقيل لما كسر ابرٰهيم الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذى تدعو اليه وحاجّه فيه
فبهت الذى كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهَت اى فغلب ابرٰهيم الكافر والله لا يهدى القوم الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او
طريق الجنة يوم القيمة (٢٦١) أو كالذى مرّ على قرية تقديره او ارأيت مثل الذى فحذف لدلالة الم تر
عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لانّ المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يُحصى بخلاف
١٥ مدّعى الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذى حاجّ او الذى مرّ وقيل انه عطف
محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذى حاجّ او كالذى مرّ وقيل انه من كلام ابرٰهيم ذكره جوابا
لمعارضته وتقديره او ان كنت تحيى فأحيى كاحياء الله الذى مرّ وهو عزير بن شرخيا او الخضر او
كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصّر وقيل القرية التى خرج
منها الالوف وقيل غيرها واشتقاقها من القرى وهو الجمع وهى خاوية على عروشها خالية ساقطة حيطانها
٢٠ على سقوفها قال أنّى يحيى هذه الله بعد موتها اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما
لقدرة المحيى ان كان القائل مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا ، وأنّى فى موضع نصب على الظرف بمعنى متى
او على الحال بمعنى كيف فأماته الله مائة عام فألبثه ميتا مائة عام اى اماته فلبث ميتا مائة عام ثم بعثه
بالاحياء قال كم لبثت القائل هو الله وساغ ان يكلمه وان كان كافرا لانه آمن بعد البعث او شارف
الايمان وقيل ملك او نبىّ قال لبثت يوما أو بعض يوم كقول الظانّ وقيل انه مات ضحى وبعث بعد
٢٥ المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال او بعض يوم على
الاضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنّه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من
السنة والهاء اصلية ان قدرت لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن من الحمأ
المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضّى البازى وانما افرد الضمير لانّ الطعام والشراب

جزء ٣ كالجنس الواحد قيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكلّ على حاله ، وقرأ
ركوع ٣ حمزة والكسائىّ لَمْ يَتَسَنَّ بغير الهاء فى الوصل وَٱنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ كيف تفرّقت عظامه او انظر اليه سالما فى
مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغيّر والاوّل ادلّ على الحال
واوفق لما بعده وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ اى وفعلنا ذلك لنجعلك آية روى انّه اتى قومه على حماره وقال انا
عزير فكذّبوه فقرأ التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن اللّه وقيل لمّا ٥
رجع الى منزله كان شابّا واولاده شيوخا فاذا حدّثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وَٱنْظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ
يعنى عظام الحمار او الاموات ٱلّذين تعجّب من احيائهم كَيْفَ نُنْشِزُهَا كيف نحييها او نرفع بعضها
الى بعض ونركّبه عليه وكيف منصوب بننشز والجملة حال من العظام اى انظر اليها مُحْياةً ، وقرأ ابن
كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب نُنْشِرُهَا من انشر اللّه الموتى وقرئ نَنْشُرُهَا من نشر بمعنى انشر ثُمَّ نَكْسُوهَا
لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ فاعل تبيّن مُضْمَر يفسّره ما بعده تقديره فلمّا تبيّن له انّ اللّه على كلّ شىء قدير ١٠
قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فحذف الاوّل لدلالة الثانى عليه او ما قبله اى فلمّا تبيّن له ما
اشكل عليه ، وقرأ حمزة والكسائىّ قَالَ ٱعْلَمْ على الامر وَالآمِرُ مخاطِبُه او هو نفسه خاطَبَها به على طريقة
التبكيت (٢٦٢) وَإِذْ قَالَ إِبْرٰهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي ٱلْمَوْتَى انّما سأل ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لمّا
قال نمرود انا احيى واميت قال له انّ احياء اللّه بردّ الروح الى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر
ان يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر ثمّ سأل ربّه ان يريه ليطمئنّ قلبه على الجواب ان سُئل عنه مرّة اخرى ١٥
قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ بأنّى قادر على الاحياء باعادة التركيب والحيوة قال له ذلك وقد علم انّه أَعْرَقُ الناس
فى الايمان ليجيب بما اجاب فيَعْلَمَ السامعون غرضه قَالَ بَلَى وَلٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي اى بلى آمنت ولكن
سألت لازيد بصيرةً وسكونَ قلب بمضامّة العيان الى الوحى او الاستدلال قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ ٱلطَّيْرِ قيل
طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه ايماء الى انّ احياء النفس الحيوة
الابديّة انّما يتأتّى باماتة حبّ الشهوات والزخارف ٱلّذى هو صفة الطاوس والصولةِ المشهور بها الديك ٢٠
وخسّة النفس وبُعْد الامل المتّصف بهما الغراب والترفّع والمسارعة الى الهوى الموسوم بهما الحمام وانّما
خصّ الطير لانّه اقرب الى الانسان واجمع لخواصّ الحيوان والطيرُ مصدر سمّى به او جمع كصَحْب
فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ فأَمِلْهنّ وٱضممْهن اليك لتتأمّلها وتعرف شياتها لئلّا تلتبس عليك بعد الاحياء وقرأ حمزة
ويعقوب فَصِرْهُنَّ بالكسر وهما لغتان قال

٢٥ ولكنّ أطراف الرِماح تَصُورُها.

وقال

وفَرْعٍ يَصِير الجِيدَ وَحْفٍ كأنّه على الليث قِنْوانُ الكروم الدوالح

وقرئ فَصُرِّهُنَّ بضمّ الصاد وكسرها مشدّدة الراء من صرّه يصُرّه ويصِرّه اذا جمعه وفَصَرِّهِنَّ من التصرية

وفى الجمع ايضا ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا اى ثم جزّئهن وفرّق اجزاءهن على الجبال ٱلَّتى جزء ٣
بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل سبعة ، وقرأ ابو بكر جُزُؤًا وجُزُوٌ بضمّ الزاى حيث وقع ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ قل ركوع ٣
لهنّ تعالين باذن الله تعالى يَأْتِينَكَ سَعْيًا ساعيات مُسْرِعات طيرانا او مَشْيا روى انه أُمِرَ بأن يذبحها
وينتف ريشها ويقطّعها فيمسك رؤوسها ويخلط سائر اجزائها ويوزّعها على الجبال ثمّ يناديهنّ ففعل ذلك
٥ فجعل كلّ جزء يطير الى الآخر حتّى صارت جثثا ثمّ اقبلن فانضممن الى رؤوسهنّ وفيه اشارة الى انّ من
اراد احياء نفسه الحيوة الابديّة فعليه ان يُقْبِل على القُوَى البدنيّة فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتّى
تنكسر سَوْرتها فيُطاوعنه مُسْرِعات متى دعاهنّ بداعية العقل او الشرع ، وكفى لك شاهدا على فضل
ابرهيم عم ويُمن الضراعة فى الدعاء وحُسْن الادب فى السؤال انّه تعالى اراه ما اراد ان يُريه فى الحال على
ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته مائة عام وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ لا يعجز عمّا يريده حَكِيمٌ ذو حكمة
١٠ بالغة فى كلّ ما يفعله ويذره (٢٦٣) مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ اى مثل نفقتهم ركوع ٤
كمثل حبّة او مثلهم كمثل باذر حبّة على حذف مضاف أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ
اسند الانبات الى الحبّة لمّا كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمُنْبِت على الحقيقة هو الله
تعالى والمعنى انّه يخرج منها ساق يتشعّب منها سبع شعب لكلّ منها سنبلة فيها مائة حبّة وهو تمثيل
لا يقتضى وقوعه وقد يكون فى الذرة والدُخْن وفى البرّ فى الاراضى المُغِلّة وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ تلك المضاعفة
١٥ لِمَن يَشَآءُ بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجله تفاوتت الاعمال فى مقادير الثواب
وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ لا يضيق عليه ما يتفضّل به من الزيادة عَلِيمٌ بنيّة المنفق وقدر انفاقه (٢٦٤) ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ
أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى نزلت فى عثمان رضه فانّه جهّز جيش العُسْرة
بالف بعير بأَقْتابها وأَحْلاسها وعبد الرحمن بن عوف فانّه اتى النبىّ صلعم باربعة آلاف درهم صدقة ،
والمَنّ ان يعتدّ باحسانه على من احسن اليه ، والأَذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه ، وثمّ
٢٠ للتفاوت بين الانفاق وترك المنّ والاذى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ لعلّه لم
يدخل الفاء فيه وقد تضمّن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانّهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف
بهم اذا فعلوا (٢٦٥) قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ردّ جميل وَمَغْفِرَةٌ وتجاوز عن السائل والحاحه او نيل مغفرة من الله
بالردّ الجميل او عفو من السائل بأن يعذر ويغتفر ردّه خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى خبر عنهما وانّما
صحّ الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة وَٱللَّهُ غَنِىٌّ عن انفاق بمنّ وايذاء حَلِيمٌ عن معاجلة من يمنّ
٢٥ ويؤذى بالعقوبة (٢٦٦) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ لا تحبطوا اجر كلّ
واحد منهما كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ كابطال المنافق الذى يرائى

جزء ۳ ركوع ۴

بانفاقه لا يريد به رضاء الله ولا ثواب الآخرة او مماثلين الذى ينفق رئاء الناس فالكاف فى محل النصب على المصدر او الحال ، ورئاء نصب على المفعول له او الحال بمعنى مرائيا او المصدر اى انفاق رئاء فَمَثَلُهُ فمثل المرائى بانفاقه كَمَثَلِ صَفْوَانٍ كمثل حجر املس عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ مطر عظيم القطر فَتَرَكَهُ صَلْدًا املس نقيا من التراب لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذى ينفق باعتبار المعنى لانّ المراد به الجنس او الجمع كما فى قوله ۵

إنّ الذى حانت بفلج دماؤهم   هم القوم كلّ القوم يا أمّ خالد

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ الى الخير والرشاد وفيه تعريض بانّ الرئاء والمنّ والاذى على الانفاق من صفة الكفّار ولا بدّ للمؤمن ان يجتنب عنها (۲۶۷) وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان فانّ المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبّت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبّتها كلّها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدئا من اصل انفسهم ۱۰ وفيه تنبيه على انّ حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحبّ المال كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ اى ومثل نفقة هؤلاء فى الزكاء كمثل بستان بموضع مرتفع فانّ شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا ، وقرأ ابن عامر وعاصم بِرَبْوَةٍ بالفتح وقرئ بالكسر وثلاثتها لغات فيها أَصَابَهَا وَابِلٌ مطر عظيم القطر فَآتَتْ أُكُلَهَا ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون للتخفيف ضِعْفَيْنِ مثلى ما كانت تثمر ب الوابل والمراد بالضعف المثل كما يراد بالزوج الواحد فى قوله من كلّ زوجين اثنين وقيل اربعة ۱۵ امثاله ونصبه على الحال اى مضاعفا فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ اى فيصيبها او فالذى يصيبها طلّ او فطلّ يكفيه لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى انّ نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضمّ اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنّة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين فى زلفاهم بالوابل والطلّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ تحذير عن الرئاء وترغيب فى الاخلاص (۲۶۸) أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ الهمزة فيه للانكار ۲۰ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جعل الجنّة منهما مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثمّ ذكر انّ فيها من كلّ الثمرات ليدلّ على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ اى كبر السنّ فانّ الفاقة والعالة فى الشيخوخة اصعب ، والواو للحال او للعطف حملا على المعنى فكانّه قيل ايودّ احدكم لو كانت له جنّة واصابه الكبر وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ صغار لا قدرة لهم على الكسب ۲۵ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ عطف على اصابه او تكون باعتبار المعنى ، والاعصار ريح عاصف تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود ، والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضمّ اليها ما يحبطها

كرماد وايذاء فى الحسرة والاسف فاذا كان يوم القيمة واشتدّ حاجته اليها وجدها محبطة بحال مَنْ جزء ٣
هذا شأنه واشبههم به من جال بسرّه فى عالم الملكوت وترقّى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه ركوع ٤
الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللّٰهُ لَكُمُ ٱلْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ
تَتَفَكَّرُونَ اى تتفكرون فيها فتعتبرون بها (٢٦٩) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ من ركوع ٥
٦ حلاله او جياده وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ ٱلْأَرْضِ اى ومن طيّبات ما اخرجنا لكم من الحبوب والثمر
والمعادن فحذف المضاف لتقدّم ذكره وَلَا تَيَمَّمُوا ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ ولا تقصدوا الردئ منه اى من المال او ممّا
اخرجنا وتخصيصه بذلك لانّ التفاوت فيه اكثر، وقرئ ولا تأمّموا ولا تُيمّموا بضمّ التاء تُنْفِقُونَ حال
مقدّرة من فاعل تيمّموا ويجوز ان يتعلّق مِنْهُ به ويكون الضمير للخبيث والجملة حالا منه (٢٠٠) وَلَسْتُمْ
بِآخِذِيهِ اى وحالكم انّكم لا تأخذونه فى حقوقكم لرداءته إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ الّا ان تتسامحوا فيه مجاز
١٠ من اغمض بصره اذا غضّه وقرئ تُغَمِّضُوا اى تُحْمَلوا على الاغماض او تُوجَدوا مُغمِضين وعن ابن عبّاس
كانوا يتصدّقون بحشف التمر وشراره فنُهوا عنه وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللّٰهَ غَنِيٌّ عن انفاقكم وانّما يأمركم به
لانتفاعكم حَمِيدٌ بقبوله واثابته (٢٠١) ٱلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ فى الانفاق والوعد فى الاصل شائع فى الخير
والشرّ وقرئ الفقر بالضمّ والسكون وبضمّتين وفتحتين وَيَأْمُرُكُمْ بِٱلْفَحْشَاءِ ويُغريكم على البخل والعرب
تسمّى البخيل فاحشا وقيل المعاصى وَٱللّٰهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ اى يعدكم فى الانفاق مغفرة لذنوبكم
١٥ وَفَضْلًا خَلَفًا افضل ممّا انفقتم فى الدنيا او فى الآخرة وَٱللّٰهُ وَاسِعٌ واسع الفضل لمن انفق عَلِيمٌ بانفاقه
(٢٠٢) يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ تحقيق العلم واتقان العمل مَنْ يَشَاءُ مفعول اوّل أُخّر للاهتمام بالمفعول الثانى
وَمَنْ يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ بناؤه للمفعول لانّه المقصود وقرأ يعقوب بالكسر اى ومن يؤته اللّٰه فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا
اى اىّ خير كثير اذ حيز له خير الدارين وَمَا يَذَّكَّرُ وما يتّعظ بما قصّ من الآيات او وما يتفكّر فانّ
المتفكّر كالمتذكّر لما اودع اللّٰه فى قلبه من العلوم بالقوّة إِلَّا أُولُو ٱلْأَلْبَابِ ذوو العقول الخالصة عن شوائب
٢٠ الوهم والركون الى متابعة الهوى (٢٠٣) وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ قليلة او كثيرة سرّا او علانية فى حقّ او
باطل أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ بشرط او بغير شرط فى طاعة او معصية فَإِنَّ ٱللّٰهَ يَعْلَمُهُ فيجازيكم عليه وَمَا لِلظَّالِمِينَ
الذين ينفقون فى المعاصى وينذرون فيها او يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذور مِنْ أَنْصَارٍ من ينصرهم
من اللّٰه ويمنعهم من عقابه إِنْ تُبْدُوا ٱلصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ فنعم شيئا ابداؤها وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائىّ بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرأ ابو عمرو وابو بكر وقالون بكسر النون وسكون
٢٥ العين وروى عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين وهو أقيس وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَاءَ اى
تعطوها مع الاخفاء فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ فالاخفاء خير لكم وهذا فى التطوّع ولمن لم يُعرف بالمال فانّ ابداء

جزء ۳ الفرض لغيره افضل لنفى التهمة عن ابن عبّاس رضه صدقة السرّ فى التطوّع تفضُل علانيتها سبعين ضعفا
ركوع ٥ وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرّها بخمسة وعشرين ضعفا وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّـآتِكُمْ قرأ ابن عامر وعاصم فى رواية حفص بالياء اى واللّٰه يكفّر او الاخفاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم فى رواية ابن عيّاش ويعقوب بالنون مرفوعا على انّه جملة فعليّة مبتداأة او اسميّة معطوفة على ما بعد الفاء اى ونحن
٥ نكفّر وقرأ نافع وحمزة والكسائىّ به مجزوما على محلّ الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات وَٱللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ترغيب فى الاسرار (۲۷۴) لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديّين وانّما عليك الارشاد والحثّ على المحاسن والنهى عن المقابح كالمنّ والاذى والفاق الخبيث وَلٰكِنَّ ٱللّٰهَ يَهْدِى مَنْ يَشَآءُ صريح بانّ الهداية من اللّٰه وبمشيئته وانّها تخصّ بقوم دون قوم وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ من نفقة معروفة فَلِأَنْفُسِكُمْ فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنّوا عليه ولا تنفقوا
١٠ الخبيث وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللّٰهِ حال وكأنّه قال وما تنفقوا من خير فلأنفسكم غيرَ منفقين الّا لابتغاء وجه اللّٰه وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اى وليست نفقتكم الّا لابتغاء وجهه فما بالكم تمنّون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفى فى معنى النهى وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ثوابه أضعافا مضاعفة فهو تأكيد للشرطيّة السابقة او ما يُخْلَف للمنفق استجابةً لقوله عم اللّهمّ اجعلْ لمُنْفِق خَلَفا ولمُمْسِك تَلَفا روى انّ ناسا من المسلمين كانت لهم أصهار ورضاع فى اليهود وكانوا ينفقون
١٥ عليهم فكرهوا لمّا اسلموا ان ينفعوهم فنزلت وهذا فى غير الواجب امّا الواجبُ فلا يجوز صَرْفه الى الكافر وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ اى لا تُنْقَصون ثوابَ نفقاتكم لِلْفُقَرَآءِ متعلّق بمحذوف اى اعْمِدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا فِى سَبِيلِ ٱللّٰهِ احصرهم الجهاد لَا يَسْتَطِيعُونَ لاشتغالهم به ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل الصُفّة كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صُفّة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلّم والعبادة وكانوا يخرجون فى كلّ سريّة
٢٠ بعثها رسول اللّه يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ بحالهم وقرأ ابن عامر وحمزة وعاصم بفتح السين أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ من اجل تعفّفهم عن السؤال تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ من الضعف ورثاثة الحال والخطابُ للرسول صلعم او لكلّ احد لَا يَسْأَلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا الحاحا وهو ان يلازم المسؤل حتّى يعطيه من قولهم لَحَفَنى مِنْ فَضْلِ لحافه اى اعطانى من فضل ما عنده والمعنى انّهم لا يسألون وإن سألوا عن ضرورة لم يُلحّوا وقيل هو نفى للامرين كقوله

٢٥ على لاحِبٍ لا يُهْتَدَى بمناره

ونصبه على المصدر فانّه كنوع من السؤال او على الحال وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللّٰهَ بِهِ عَلِيمٌ ترغيب فى
ركوع ٦ الانفاق وخصوصا على هؤلاء (۲۷۵) ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً اى يعمّون الاوقات

والاحوال بالخير نزلت فى ابى بكر الصدّيق رضه تصدّق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار جزء ٣
وعشرة بالسرّ وعشرة بالعلانية وقيل فى علىّ رضه لم يملك الّا اربعة دراهم فتصدّق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ركوع
ودرهم سرّا ودرهم علانية وقيل فى ربط الخيل فى سبيل اللّه والانفاق عليها فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ خبر الّذين ينفقون والفاء للسببيّة وقيل للعطف والخبر محذوف اى
٥ ومنهم الّذين ولذلك جوّز الوقف على وعلانية (٢٧٦) اَلَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبٰوا اى الآخذون له وانّما
ذكر الاكل لانّه اعظم منافع المال ولانّ الربوا شائع فى المطعومات وهو زيادة فى الأجل بأن يباع مطعومٌ
بمطعوم او نقدٌ بنقد الى اجل او فى العوض بأن يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانّما كُتب بالواو
كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لَا يَقُومُونَ اذا بُعثوا من قبورهم
إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ الّا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون انّ الشيطان
١٠ يخبط الانسان فيصرع والخبط ضربٌ على غير اتّساق كخبط العشواء مِنَ الْمَسِّ اى الجنون وهذا
ايضا من زعماتهم انّ الجنّىّ يمسّه فيختلط عقله ولذلك قيل جُنّ الرجل وهو متعلّق بلا يقومون اى
لا يقومون من المسّ الّذى بهم بسبب اكل الربوا او بيقوم او بيتخبّط فيكون نهوضهم وسقوطهم
كالمصروعين لا لاختلال عقولهم ولكن لانّ اللّه أربى فى بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم
ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبٰوا اى ذلك العقاب بسبب انّهم نظموا الربوا والبيع فى سلك واحد
١٥ لافضائهما الى الربح فاستحلّوه استحلاله وكان الاصل انّما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانّهم
جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بيّنٌ فانّ من اعطى درهمين بدرهم ضيّع درهما ومن اشترى
سلعة تساوى درهما بدرهمين فلعلّ مساس الحاجة اليها او توقّع رواجها يجبر هذا الغبن وَأَحَلَّ اللّٰهُ الْبَيْعَ
وَحَرَّمَ الرِّبٰوا انكارٌ لتسويتهم وابطالٌ للقياس بمعارضة النصّ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فمن بلغه وعظٌ من
اللّه وزجرٌ كالنهى عن الربوا فَانْتَهَىٰ فاتّعظ وتبع النهى فَلَهُ مَا سَلَفَ تقدّم أخذه التحريم ولا يُسترد
٢٠ منه ومَا فى موضع الرفع بالظرف ان جعلت مَنْ موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطيّة على رأى سيبويه
اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وَأَمْرُهُ إِلَى اللّٰهِ يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق
النيّة وقيل يحكم فى شأنه ولا اعتراض لكم عليه وَمَنْ عَادَ الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه
فَأُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ لانّهم كفروا به (٢٧٧) يَمْحَقُ اللّٰهُ الرِّبٰوا يذهب ببركته ويهلك
المال الّذى يدخل فيه وَيُرْبِى الصَّدَقَاتِ يضاعف ثوابها ويبارك فيما أُخرجت منه وعنه عم انّ اللّه يقبل
٢٥ الصدقة ويربّيها كما يربّى احدكم مُهرَه وعنه عم ما نقصت زكوةٌ من مال قطّ وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ لا يرضى
ولا يحبّ محبّته للتوّابين كُلَّ كَفَّارٍ مُصِرّ على تحليل المحرّمات أَثِيمٍ منهمك فى ارتكابه إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا باللّه
ورسوله وبما جاءهم منه وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَآتَوُا الزَّكٰوةَ عطفهما على ما يعمّهما لانافتهما

جزء ٣ على سائر الاعمال الصالحة لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ من آتٍ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ على فائتٍ
ركوع ٦ (٢٧٨) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبٰوا واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من
الربوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بقلوبكم فانّ دليله امتثال ما أُمرتم به روى انّه كان لثقيف مال على بعض قريش
فطالبوهم عند المَحِلّ بالمال والربوا فنزلت (٢٧٩) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ فاعلموا
٥ بها من أَذِن بالشيء اذا علم به وقرأ حمزة وعاصم في رواية ابن عيّاش فَآذِنوا اى فأَعْلِموا بها غيرَكم
من الأَذَن وهو الاستماع فانّه من طُرُق العلم ، وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضى ان يقاتَل المُرْبى
بعد الاستتابة حتّى يفيء الى امر اللّه كالباغى ولا يقتضى كُفْرَه روى انّها لمّا نزلت قالت ثقيف لا
يَدَىْ لنا بحرب اللّه ورسوله وَإِنْ تُبْتُمْ من الارتباء واعتقاد حِلّه فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ بأخذ
الزيادة وَلَا تُظْلَمُونَ بالمَطْل والنقصان ويُفْهَم منه انّهم ان لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم وهو سديد
١٠ على ما قلناه اذ المصرّ على التحليل مرتدّ وماله فيء (٢٨٠) وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ
ذا عُسْرَةٍ اى وان كان الغريم ذا عسرة فَنَظِرَةٌ فالحُكْم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهى الانظار
وقرئ فَنَاظِرُهُ على الخبر اى فالمستحِقّ ناظِرُهُ بمعنى منتظِرُهُ او صاحبُ نَظِرَتِه على طريق النسب وفَنَاظِرْهُ
على الامر اى فسامحه بالنظرة إِلَى مَيْسَرَةٍ يَسار وقرأ نافع وحمزة بضمّ السين وهما لغتان كمَشْرَقة ومَشْرُقة
وقرئ بهما مُضافَيْن بحذف التاء عند الاضافة كقوله

١٥ وأَخْلَفوكَ عِدَ الأَمرِ الّذى وَعَدوا

وَأَنْ تَصَدَّقُوا بالابراء وقرأ عاصم بتخفيف الصاد خَيْرٌ لَكُمْ اكثر ثوابا من الانظار اوخير ممّا تأخذون
لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدّق الانظار لقوله عم لا يحلّ دَيْنُ رجل مسلم فيؤخّره الّا كان
له بكلّ يوم صدقة إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل (٢٨١) وَٱتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ
فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ يوم القيمة او يوم الموت فتأهّبوا لمصيركم اليه وقرأ ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم
٢٠ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ جزاء ما عملت من خير او شرّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ بنقص ثواب وتضعيف
عقاب وعن ابن عبّاس انّها آخِرُ آية نزل بها جبريل عم وقال ضعها فى رأس المائتين والثمانين من البقرة
وعاش رسول اللّه صلعم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايّام وقيل ثلاث
ركوع ٧ ساعات (٢٨٢) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ اذا داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته
نَسيئةً مُعْطيا او آخِذا وفائدة ذكر الدين ان لا يُتوهّم من التداين المجازاة ويُعْلَم تنوّعه الى المؤجّل
٢٥ والحالّ وأنّه الباعث على الكتبة ويكون مرجعَ ضمير فاكتبوه إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى معلوم بالايّام والاشهر لا
بالحصاد وقُدوم الحاجّ فَٱكْتُبُوهُ لانّه أَوْثَق وأَدْفَع للنزاع والجمهور على انّه استحباب وعن ابن عبّاس انّ
المراد به السَّلَم وقال لمّا حرّم اللّه الربوا اباح السَّلَف وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِٱلْعَدْلِ من يكتب بالسويّة

جزء ٣ لا يزيد ولا ينقص وهو فى الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دَيِّن حتّى يجيء مكتوبه موثوقا
ركوع ٧ به معدّلا بالشرع وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ ولا يمتنع احد من الكتّاب أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ مثل ما علّمه اللّه
من كتبة الوثائق او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه اللّه بتعليمها كقوله واحسنْ كما احسن
اللّه اليك فَلْيَكْتُبْ تلك الكتابة المعلّمة امر بها بعد النهى عن الاباء عنها تأكيدا ويجوز ان يتعلّق
٥ الكاف بالامر فيكون النهى عن الامتناع منها مطلقة ثمّ الامر بها مقيّدة وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ
وليكن الملى من عليه الحقّ لانّه المقرّ المشهود عليه والاملال والاملاء واحد وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُ اى المملى
او الكاتب وَلَا يَبْخَسْ ولا ينقص مِنْهُ شَيْئًا اى من الحقّ او ممّا املى عليه فَإِنْ كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا
ناقص العقل مبذّرا أَوْ ضَعِيفًا صبيّا او شيخا مختلّا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ او غير مستطيع للاملاء
بنفسه لخرس او جهل باللغة فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِٱلْعَدْلِ اى الّذى يلى امره ويقوم مقامه من قيّم ان كان صبيّا
١٠ او مختلّ العقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة فى الاقرار ولعلّه
مخصوص بما تعاطاه القيّم او الوكيل وَٱسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ واطلبوا ان يشهد على الدَّين شاهدان
مِنْ رِجَالِكُمْ من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامّة العلماء وقال ابو
حنيفة تسمع شهادة الكفّار بعضهم على بعض فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فان لم يكن الشهيدان رجلين
فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ فليشهد او فليستشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود
١٥ والقصاص عند ابى حنيفة مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَاءِ لعلمكم بعدالتهم أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا
ٱلْأُخْرَىٰ علّة اعتبار العدد اى لاجل انّ احداهما ان ضلّت الشهادة بان نسيتها ذكّرتها الاخرى والعلّة
فى الحقيقة التذكير ولكن لمّا كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح أَنْ يجيء
عدوّ فادفعه وكانّه قيل ارادة أن تذكر احداهما الاخرى ان ضلّت وفيه اشعار بنقصان عقلهنّ وقلّة
ضبطهنّ وقرأ حمزة إِنْ تَضِلَّ على الشرط فَتُذَكِّرُ بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فَتُذْكِرَ من
٢٠ الاذكار وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا لاداء الشهادة او التحمّل وسمّوا شهداء قبل التحمّل تنزيلا لما
يشارف منزلة الواقع وما مزيدة وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ ولا تملّوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين
او الحقّ او الكتاب وقيل كنى بالسأم عن الكسل لانّه صفة المنافق ولذلك قال عم لا يقول المؤمن
كسلت صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا صغيرا كان الحقّ او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا إِلَىٰ أَجَلِهِ الى وقت
حلوله الّذى اقرّ به المديون ذَٰلِكُمْ اشارة الى ان تكتبوه أَقْسَطُ عِنْدَ ٱللَّهِ اكثر قسطا وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ واثبت
٢٥ لها واعون على اقامتها وهما مبنيّان من أقسط وأقام على غير قياس او من قاسط بمعنى ذى قسط
وقويم وانّما صحّت الواو فى اقوم كما صحّت فى التعجّب لجموده وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا واقرب من ان لا تشكّوا فى

جزء ٣ جنس الدين وقدره وأَجَله والشهود ونحو ذلك إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ
ركوع ٧ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا استثناء من الامر بالكتابة ، والتجارة الحاضرة تعمّ المبايعة بدَيْن او عَيْن وادارتها
بينهم تعاطيهم ايّاها يدا بيد اى الّا ان تتبايعوا يدا بيد فلا بأس ان لا تكتبوا لبعده عن التنازع
والنسيان ، ونصب عاصم تِجَارَةً على انّه الخبر والاسمُ مضمرٌ تقديره الّا ان تكون التجارةُ تجارةً حاضرةً
كقوله ٥

بَنِى اسدٍ هَلْ تعلمون بَلاءنا   اذا كان يوما ذا كواكبَ أَشْنَعا

ورفعها الباقون على انّه الاسم والخبر تديرونها او على كان التامّة وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ هذا التبايعَ او
مطلقا لانّه أَحْوَط ، والاوامر الّتى فى هذه الآية للاستحباب عند اكثر الائمّة وقيل انّها للوجوب ثمّ
اختُلف فى إِحكامها ونَسْخها وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ يحتمل البنائَيْن ويدلّ عليه انّه قرئ ولا يُضَارِرْ
بالكسر والفتح وهو نَهْيُهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير فى الكتبة والشهادة او النهى عن ١٠
الضرار بهما مثل ان يُعْجَلا عن مُهِمّ ويكلّفا الخروجَ عمّا حُدّ لهما ولا يعطى الكاتبُ جُعْلَه والشهيدُ مؤنة
مجيئه حيث كان وَإِن تَفْعَلُوا الضرارَ او ما نُهيتم عنه فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ خروج عن الطاعة لاحقٌ بكم
وَاتَّقُوا اللَّهَ فى مخالفة امره ونهيه وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ أحكامَه المتضمّنة لمَصالحكم وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ كرّر لفظ
اللّه فى الجُمَل الثلاث لاستقلالها فانّ الاولى حثّ على التقوى والثانية وَعْد بانعامه والثالثة تعظيم لشأنه
ولانّه ادخل فى التعظيم من الكناية (٢٨٣) وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ اى مسافرين وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ١٥
فالّذى يستوثق به رهان او فعليكم رهان او فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر فى
الارتهان كما ظنّه مُجاهد والضحّاك لانّه عم رَهَنَ دِرْعَه فى المدينة من يهوديّ بعشرين صاعا من شعير
اخذه لاهله بل لاقامة التوثّق بالارتهان مقامَ التوثّق بالكتب فى السفر الّذى هو مَظِنّة اعوازه والجمهور
على اعتبار القبض فيه غير مالك ، وقرأ ابن كثير وابو عمرو فَرُهُنٌ كسُقُف وكلاهما جمع رَهْن بمعنى
مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا اى بعض الدائنين بعضَ المديونين ٢٠
واستغنى بامانته عن الارتهان فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ اى دَيْنه سمّاه امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان
به ، وقرئ الَّذِى ايتُمِنَ بقلب الهمزة ياء وَالَّذِى اتُّمِنَ بادغام الياء فى التاء وهو خطأ لانّ المنقلبة عن
الهمزة فى حكمها فلا تدغم وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ فى الخيانة وانكار الحقّ وفيه مبالغات وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ
ايّها الشهود او المديونون والشهادة شهادتهم على انفسهم وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ اى يأثم قلبه او
قلبه يأثم والجملة خبرُ انّ واسناد الاثم الى القلب لانّ الكتمان مُقْتَرَفُه ونظيره العين زانية والاذن ٢٥
زانية او للمبالغة فانّه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانّه قيل تمكّن الاثم فى نفسه واخذ
اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه ، وقرئ قَلْبَهُ بالنصب كحَسَنٌ وَجْهَهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ تهديد

ركوع ٨ (٢٨٤) لِلَّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ خلقا وملكا وَإِن تُبْدُوا مَا فِى أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يعنى ما فيها من

السوء والعزم عليه لترتّب المغفرة والعذاب عليه يُحَاسِبْكُمْ بِهِ ٱللَّهُ يوم القيمة وهو حجّة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَآءُ مغفرته وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَآءُ تعذيبه وهو صريح فى نفى وجوب التعذيب، وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستيناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلا منه بدل البعض من الكلّ او الاشتمال كقوله

مَتَى تأْتِنا تُلْمِمْ بنا فى ديارنا تَجِدْ حَطَبا جزْلا ونارا تأجّجا

وادغام الراء فى اللام لحنٌ اذ الراء لا يدغم الّا فى مثله وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر على الاحياء والمحاسبة (٢٨٥) آمَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ شهادة وتنصيص من اللّه تعالى على صحّة ايمانه والاعتداد به وانّه جازم فى امره غير شاكّ فيه وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا يخلو من ان يُعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الّذى ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين او يُجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصحّ وقوع كلّ بخبره خبر المبتدأ ويكون افراد الرسول بالحكم امّا لتعظيمه او لانّ ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال، وقرأ حمزة والكسائىّ وَكِتَابِهِ يعنى القرآن او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انّه شائع فى وُحدان الجنس والجمع فى جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ اى يقولون لا نفرّق وقرأ يعقوب لا يُفرّق بالياء على انّ الفعل لكلّ وقرئ لا يُفرّقون حَمْلا على معناه لقوله تعالى وكلٌّ اتوه داخرين، وأحدٌ فى معنى
١٥ الجمع لوقوعه فى سياق النفى كقوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بَيْنَ، والمراد نَفْى الفرق بالتصديق والتكذيب وَقَالُوا سَمِعْنَا اجبنا وَأَطَعْنَا أَمْرك غُفْرَانَكَ رَبَّنَا اغفر لنا غفرانك او نطلب غفرانك وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث (٢٨٦) لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا الّا ما تسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مَدَى طاقتها بحيث يتّسع فيه طوقها ويتيسّر عليها كقوله تعالى يريد اللّه بكم اليُسْرَ وهو يدلّ على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدلّ على امتناعه
٢٠ لَهَا مَا كَسَبَتْ من خير وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ من شرّ لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرّر بمعاصيها غيرها، وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشرّ لانّ الاكتساب فيه اعتمال والشرّ تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت أَجَدّ فى تحصيله واعمل بخلاف الخير رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا اى لا تؤاخذنا بما ادّى بنا الى نسيان او خطأ من تفريط وقلّة مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا فانّ الذنوب كالسموم فكما انّ تناولها يؤدّى الى الهلاك وان كان خطأ فتعاطى الذنوب لا يبعد ان يفضى
٢٥ الى العقاب وان لم يكن عزيمة لكنّه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيّد ذلك مفهوم قوله عم رُفع عن امّتى الخطأ والنسيان رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا عِبأً ثقيلا يأصر صاحبه اى يحبسه مكانه يريد به التكاليف الشاقّة، وقرئ وَلَا تُحَمِّلْ بالتشديد للمبالغة

جزء ٣ كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا حملا مثل حملك اياه على من قبلنا او مثل الذى حملته اياهم فيكون صفة
ركوع ٨ لِإِصْرًا والمراد به ما كلّف به بنى اسرائيل مِنْ قتلِ الانفس وقطعِ موضع النجاسة وخمسين صلوة فى اليوم
والليلة وصرف رُبْعِ المال للزكوة او ما اصابهم من الشدائد والمحن رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ
من البلاء والعقوبة او من التكاليف التى لا تفى بها الطاقة البشريّة وهو يدلّ على جواز التكليف بما
لا يُطاق والّا لَما سئِل التخلّصُ عنه ، والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثانٍ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱمْحُ ٥
ذنوبنا وَٱغْفِرْ لَنَا وٱسْتُرْ عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وَٱرْحَمْنَا وتعطّفْ بنا وتفضّلْ علينا أَنْتَ مَوْلَانَا سيّدنا
فَٱنْصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ فانّ مِنْ حقّ المولى ان ينصر مواليَه على الاعداء والمراد به عامّة الكفرة ، روى
انّه عم لمّا دعا بهذه الدعوات قيل له فعلتُ ، وعنه عم انزل اللّه آيتيْن من كنوز الجنّة كتبهما الرحمن
بيده قبل ان يخلق الخلق بألفَيْ سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عم
من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه وهو يردّ قولَ من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ١٠
ينبغى ان يقال السورة التى يذكر فيها البقرة كما قال عم السورة التى يذكر فيها البقرة فسطاطُ
القران فتعلّموها فانّ تعلّمها بركة وتركها حَسْرة ولن يستطيعها البَطَلة قيل وما البطلة قال السَحَرة .

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

مدنيّة وآيها مائتان آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١٥

ركوع ٩ (١) آلم ٱللَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ انّما فتح الميم فى المشهور وكان حقّها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة
عليها ليدلّ على انّها فى حُكْم الثابت لانّها اسقطت للتخفيف لا للدرج فانّ الميم فى حكم الوقف كقولهم
واحد آثْنان بالقاء حركة الهمزة على الدال لا لالتقاء الساكنين فانّه غير محذور فى باب الوقف ولذلك
لم تحرّك فى لامْ وقرئ بكسرها على توهّم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ ابو بكر بسكونها والابتداء بما
بعدها على الاصل ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ روى انّه عم قال انّ اسم اللّه الاعظم فى ثلاث سور فى البقرة اللّه ٢٠
لا اله الّا هو الحيّ القيّوم وفى آل عمران اللّه لا اله الّا هو الحيّ القيّوم وفى طٰه وعنت الوجوه للحىّ القيّوم
(٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ القران نجوما بِٱلْحَقِّ بالعدل او بالصدق فى اخباره او بالحجج المحقّقة انّه من
عند اللّه وهو فى موضع الحال مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ من الكتب وَأَنْزَلَ ٱلتَّوْرٰيةَ وَٱلْإِنْجِيلَ جملةً على موسى
وعيسى ، واشتقاقهما من الوَرْى والنجل ووزنهما بتَفْعَلة وإفْعيل تعسّف لانّهما اعجميّان ويؤيّد ذلك
انّه قرئ الأَنجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العربيّة وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان والكسائىّ التورٰية ٢٥
بالامالة فى جميع القران ونافع وحمزة بين اللفظين الّا قالون فانّه يقرأ بالفتح كقراءة الباقين مِنْ قَبْلُ من

جزء ٣ ركوع ٩

قبل تنزيل القران هدًى للناس على العموم ان قلنا انّا متعبّدون بشرع من قبلنا والّا فالمراد به قومهما
وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ يريد به جنس الكتب الالهيّة فانّها فارقة بين الحقّ والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب
الثلاثة ليعمّ ما عداها كأنّه قال وانزل سائر ما يفرق به بين الحقّ والباطل او الزبور او القران وكرّر
ذكره بما هو نعتٌ له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انّه يشاركهما في كونه وحيا منزلا
ويتميّز بانّه معجز يفرق به بين الحقّ والمبطل او المعجزات (٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ ٱللَّهِ من كتبه
المنزلة وغيرها لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بسبب كفرهم وَٱللَّهُ عَزِيزٌ غالب لا يمنع من التعذيب ذُو ٱنْتِقَامٍ لا يقدر
على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به
بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوّة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه
(٤) إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ اى شيء كائن في العالم كلّيّا كان او جزئيّا
ايمانا او كفرا فعبّر عنه بالسماء والارض اذ الحسّ لا يتجاوزهما وانّما قدّم الارض ترقّيا من الادنى الى الاعلى
ولانّ المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيّا وقوله هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ
كَيْفَ يَشَاءُ اى من الصور المختلفة كالدليل على القيّوميّة والاستدلال على انّه عالم باتقان فعله في خلق
الجنين وتصويره • وقرئ تَصَوَّرَكُمْ اى صوّركم لنفسه وعبادته لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ اذ لا يعلم غيره جملة ما
يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته • فمن هذا حاجّ
على من زعم انّ عيسى كان ربّا فانّ وفد نجران لمّا حاجّوا فيه رسول الله صلعم نزلت السورة من اوّلها الى
نيف وثمانين آية تقريرا لما احتجّ به عليهم واجاب عن شبههم (٥) هُوَ ٱلَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ
مُحْكَمَاتٌ احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَابِ اصله يردّ اليها غيرها والقياس
امّهات فافرد على تأويل كلّ واحدة او على انّ الكلّ بمنزلة آية واحدة وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ محتملات لا يتّضح
مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الّا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان
يجتهدوا في تدبّرها وتحصيل العلوم المتوقّف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح في
استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات واما قوله تعالى الر كِتَابٌ احكمت
آياته فمعناه انّها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه
انّه يشبه بعضه بعضا في صحّة المعنى وجزالة اللفظ • وأُخَر جمع اخرى وانّما لم ينصرف لانّه
وصف معدول عن الآخر ولا يلزم منه معرفته لانّ معناه انّ القياس ان يعرّف ولم يعرّف لا انّه في معنى
المعرّف او عن آخر من فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ عدول عن الحقّ كالمبتدعة فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ
فيتعلّقون بظاهره او بتأويل باطل ٱبْتِغَاءَ ٱلْفِتْنَةِ طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس
ومناقضة المحكم بالمتشابه وَٱبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وطلب ان يأوّلوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي الى
الاتّباع مجموع الطلبتين او كلّ منهما على التعاقب والاوّل يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل

جزء ٣ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ ٱلَّذِى يجب ان يحمل عليه إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّاسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ اى الذين ثبتوا وتمكّنوا فيه
ركوع ٩ ومن وقف على الّا اللّه فسّر المتشابه بما استأثر اللّه بعلمه كمدّة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواصّ
الاعداد كعدد الزبانية او بما دلّ القاطع على انّ ظاهره غير مراد ولم يدلّ على ما هو المراد يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ
استيناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدأ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا اى كلّ من
المتشابه والمحكم من عنده وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو ٱلْأَلْبَابِ مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر ٥
واشارة الى ما استعدّوا به للاهتداء الى تأويله وهو تجرّد العقل عن غواشى الحسّ ، واتّصال الآية بما قبلها
من حيث انّها فى تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها فى تصوير الجسد وتسويته او انّها جواب عن
تشبّث النصارى بنحو قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انّه جواب عن قولهم لا اب
له غير اللّه فتعيّن ان يكون هو اباه بانّه تعالى مصوّر الأجنّة كيف يشاء فيصوّر من نطفة اب ومن
غيرها وبانّه صوّره فى الرحم والمصوّر لا يكون ابا المصوّر (٦) رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا من مقال الراسخين ١٠
وقيل استيناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحقّ الى اتّباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه قال عم قلب
ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحقّ وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا ببلايا
يزيغ فيها قلوبنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا الى الحقّ او الايمان بالقسمين من المحكم والمتشابه ، وبعد نصب على
الظرف واذ فى موضع الجرّ باضافته اليه وقيل انّه بمعنى أنْ وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً تزلفنا اليك ونفوز
بها عندك او توفيقا للثبات على الحقّ او مغفرة للذنوب إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْوَهَّابُ لكلّ سؤل ، وفيه دليل على ١٥
انّ الهدى والضلال من اللّه وانّه متفضّل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شىء (٧) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ
ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لحساب يوم او لجزائه لَا رَيْبَ فِيهِ فى وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء نبّهوا به على انّ
معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلّق بالآخرة فانّها المقصد والمآل إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ فانّ الالهيّة
تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لوّن الخطاب ، واستدلّ به الوعيديّة وأجيب بانّ وعيد الفسّاق
ركوع ١٠ مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا (٨) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عامّ فى ٢٠
الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركو العرب لَنْ تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ ٱللَّهِ
شَيْئًا اى من رحمته او طاعته على معنى البدليّة او من عذابه وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ حطبها وقرئ بالضمّ
بمعنى اهل وقودها (٩) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ متّصل بما قبله اى لن تغنى عنهم كما لم تغن عن اولئك او
توقد بهم كما توقد باولئك او استيناف مرفوع المحلّ تقديره دأب هؤلاء كدأبهم فى الكفر والعذاب
وهو مصدر دَأَبَ فى العمل اذا كَدَحَ فيه فنقل الى معنى الشأن وَٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ عطف على آل فرعون ٢٥
وقيل استيناف كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ حال باضمار قد او استيناف بتفسير حالهم او
خبر ان ابتدأت بالذين من قبلهم وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة

جزء ٣ ركوع ١٠

(١٠) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ اى قل لمشركى مكة ستغلبون يعنى يوم بدر وقيل لليهود فانّه عم جمعهم بعد بدر فى سوق بنى قَيْنُقاع فحذّرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يَغُرَّنَّكَ أَنَّك اصبت أَغمارا لا عِلْمَ لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمتَ انّا نحن الناس فنزلت وقد صدق اللّه وعده بقتل قريظة واجلاء بنى النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوّة ، وقرأ حمزة والكسائىّ بالياء فيهما على انّ الامر بأن يحكى لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه وَبِئْسَ الْمِهَادُ تمام ما يقال لهم او استيناف وتقديره بئس المهاد جهنّم او ما مهّدوه لانفسهم (١١) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمؤمنين فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا يوم بدر فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ يرى المشركون المؤمنين مثلَى عدد المشركين وكان قريبا من الف او مثلَى عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعد ما قلّلهم فى اعينهم حتّى اجترءوا عليهم وتوجّهوا اليهم فلمّا لاقوهم كُثِّروا فى اعينهم حتّى غُلبوا مددا من اللّه للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلَى المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقّنوا بالنصر الّذى وعدهم اللّه به فى قوله فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيّده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقُرئ بهما على البناء للمفعول اى يُريهم اللّه او يُريكم ذلك بقدرته وفئةٍ بالجرّ على البدل من فِئَتَيْنِ والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا رَأْيَ الْعَيْنِ رؤية ظاهرة معاينة وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ نَصْرَهُ كما ايّد اهلَ بدر إِنَّ فِي ذَلِكَ اى التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدّة على الكثير شاكى السلاح وكونُ الوقعة آية ايضا يحتملهما ويحتمل وقوعَ الامر على ما اخبر به الرسول لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ لعظة لذوى البصائر وقيل لمن ابصرهم (١٢) زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ اى المشتهيات سمّاها شهوات مبالغة وايماء الى انّهم انهمكوا فى محبّتها حتّى احبّوا شهوتها كقوله احببت حُبّ الخير ، والمزيّن هو اللّه تعالى لانّه الخالق للافعال والدواعى ولعلّه زيّنه ابتلاء او لانّه يكون وسيلة الى السعادة الاخرويّة اذا كان على وجه يرتضيه اللّه او لانّه من اسباب التعيّش وبقاء النوع وقيل الشيطان فانّ الآية فى معرض الذمّ وفرّق الجبّائىّ بين المباح والمحرّم مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ بيان للشهوات ، والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مَسْك ثور واختلف فى انّه فِعْلال او فَنْعال والمقنطرة مأخوذ منه للتأكيد كقولهم بَدْرة مبدّرة ، والمسوّمة المُعْلَمة من السومة وهى العلامة او المرعيّة من اسام الدابّة وسوّمها او المطهّمة ، والانعام الابل والبقر والغنم ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا اشارة الى ما ذكر وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ اى المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذّات الحقيقيّة الابديّة بالشهوات المُخْدِجة الفانية (١٣) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ يريد به تقرير أنّ ثواب اللّه خير من مستلذّات الدنيا لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

جزء ٣ استيناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلّق اللام بخير ويرتفع جنّات على هو جنّات ويؤيّده قراءة
ركوع ١٠ من جرّها بدلا من خير وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ممّا يستقذر من النساء وَرِضْوَانٌ مِنَ ٱللَّهِ قرأه عاصم فى رواية ابى
بكر فى جميع القران بضمّ الراء ما خلا الحرف الثانى فى المائدة وهو قوله تعالى رِضوانه سُبُلَ السلام بكسر
الراء وهما لغتان وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ اى باعمالهم فيثيب المُحسنَ ويعاقب المُسيء او باحوال الّذين
٥ اتّقوا فلذلك اعدّ لهم جنّات وقد نبّه بهذه الآية على نِعَمِه فأدْناها متاعُ الحيوة الدنيا واعلاها رضوانُ اللّه
لقوله ورضوان من اللّه اكبر واوسطها الجنّة ونعيمها (١٤) ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ صفة للمتّقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع ، وفى ترتيب السؤال على مجرّد الايمان
دليلٌ على انّه كافٍ فى استحقاق المغفرة او الاستعداد لها (١٥) ٱلصَّابِرِينَ وَٱلصَّادِقِينَ وَٱلْقَانِتِينَ وَٱلْمُنْفِقِينَ
وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ حَصْرٌ لمقامات السالك على احسن ترتيب فانّ معاملته مع اللّه امّا توسّل وامّا
١٠ طلب والتوسّل امّا بالنفس وهو مَنْعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبرُ يشملهما وامّا بالبدن
وهو امّا قولىّ وهو الصدق وامّا فعلىّ وهو القنوت الّذى هو ملازمة الطاعة وامّا بالمال وهو الانفاق فى سُبُل
الخير وامّا الطلب فالاستغفار لانّ المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة
على استقلال كلّ واحد منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لانّ الدعاء
فيها اقرب الى الاجابة لانّ العبادة حينئذ اشقّ والنفس اصفى والرُوع اجمع سيّما للمتهجّدين قيل انّهم
١٥ كانوا يصلّون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون (١٦) شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ بيّن وحدانيّته بنصب
الدلائل الدالّة عليها وانزال الآيات الناطقة بها وَٱلْمَلَائِكَةُ بالاقرار وَأُولُو ٱلْعِلْمِ بالايمان بها والاحتجاج عليها
شبّه ذلك فى البيان والكشف بشهادة الشاهد قَائِمًا بِٱلْقِسْطِ مقيما للعدل فى قَسْمه وحُكْمه وانتصابه
على الحال من اللّه تعالى وانّما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيدٌ وعمرٌو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى
ووهبنا له اسحٰق ويعقوب نافلةً او من هو والعاملُ فيها معنى الجملة اى تفرّد او احقّه لانّها حال موكّدة
٢٠ او على المدح او الصفة للمنفىّ وفيه ضعف للفصل وهو مندرج فى المشهود به اذا جعلته صفة او حالا
عن الضمير وقرئ ٱلْقَائِمُ بِٱلْقِسْطِ على البدل من هو او الخبر لمحذوف لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كرّره للتاكيد ومزيد
الاعتناء بمعرفة ادلّة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجّة وليبنى عليه قوله ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ فيُعلم انّه
الموصوف بهما وقدّم العزيز لتقدّم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او
الصفة لفاعل شهد وقد روى فى فضلها انّه عم قال يُجاء بصاحبها يومَ القيمة فيقول اللّه انّ لعبدى
٢٥ هذا عندى عهدا وانا احقّ مَنْ وَفَى بالعهد أَدْخلوا عبدى الجنّةَ وهى دليل على فضل علم اصول الدين
وشرف اهله (١٧) إِنَّ ٱلدِّينَ عِنْدَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَامُ جملة مستأنفة موكّدة للاولى اى لا دين مرضىّ عند اللّه
سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرّع بالشرع الّذى جاء به محمّد صلعم ، وقرأ الكسائىّ بالفتح على انّه

بدل من أنّه بدل الكلّ ان فسّر الاسلام بالايمان او بما يتضمّنه وبدل الاشتمال ان فسّر بالشريعة جزء ٣
وقرئ إنّه بالكسر وأنّ بالفتح على وقوع الفعل على الثانى واعتراض ما بينهما او اجراء شَهِدَ مجرى قالَ ركوع ١٠
تارة وعَلِمَ اخرى لتضمّنه معناها وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ من اليهود والنصارى او من ارباب
الكتب المتقدّمة فى دين الاسلام فقال قوم انّه حقّ وقال قوم انّه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا او
٥ فى التوحيد فثلّث النصارى وقالت اليهود عُزَيْرٌ ابن اللّه وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم
النصارى اختلفوا فى امر عيسى عم إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ اى بعد ما علموا حقيقة الامر وتمكّنوا
من العلم بها بالآيات والحجج بَغْيًا بَيْنَهُمْ حسدا بينهم وطلبا للرئاسة لا لشبهة وخفاء فى الامر
وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ ٱللّٰهِ فَإِنَّ ٱللّٰهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ وعيد لمن كفر منهم (١٨) فَإِنْ حَاجُّوكَ فى الدين او جادلوك
فيه بعد ما اقمت الحجج فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّٰهِ اخلصت نفسى وجملتى له لا اشرك فيها غيره وهو
١٠ الدين القويم الّذى قامت عليه الحجج ودعا اليه الآيات والرسل وانّما عبّر بالوجه عن النفس لانّه
اشرف الاعضاء الظاهرة ومَظْهَر القوى والحواسّ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ عطف على التاء وحَسُنَ للفصل او مفعول معه
(١٩) وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ وَٱلْأُمِّيِّينَ الّذين لا كتاب لهم كمشركى العرب أَأَسْلَمْتُمْ كما اسلمتُ لمّا
وضحت لكم الحجّة ام انتم بَعْدُ على كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة او
المعاندة فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ ٱهْتَدَوْا فقد نفعوا انفسهم بأن اخرجوها من الضلال وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَاغُ
١٥ اى فلم يضرّوك اذ ما عليك الّا ان تبلّغ وقد بلّغتَ وَٱللّٰهُ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ وعد ووعيد (٢٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ ركوع ١١
يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ ٱللّٰهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ هم اهل الكتاب الّذين فى عصره قتل اوّلوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل
النبىّ صلعم والمؤمنين ولكنّ اللّه عصمهم وقد سبق مثله فى سورة البقرة ، وقرأ حمزة وَيُقَاتِلُونَ ٱلَّذِينَ ،
وقد منع سيبويه ادخال الفاء فى خبر إنّ كلَيْتَ ولَعَلَّ ولذلك قيل الخبرُ (٢١) أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ
٢٠ أَعْمَالُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ كقولك زيدٌ فافهم رجلٌ صالحٌ والفرق انّه لا يغيّر معنى الابتداء بخلافهما
وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ تدفع عنهم العذابَ (٢٢) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ ٱلْكِتَابِ اى التورية
او جنس الكتب السماويّة ، ومِنْ للتبعيض او البيان ، وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير
يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ ٱللّٰهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ الداعى محمّد صلعم ، وكتاب اللّه القران او التورية لما روى انّه
عم دخل مِدْراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اىّ دين انت فقال على دين ابرهيم فقالا
٢٥ له إنّ ابرهيم كان يهوديّا فقال هلمّوا الى التورية فانّها بيننا وبينكم فأبيا فنزلت وقيل نزلت فى الرجم ،
وقرئ لِيُحْكَمَ على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم ، وفيه دليل على انّ الادلّة السمعيّة حجّة فى

جزء ٣ الاصول ثمّ يَتَوَلّٰى فَرِيقٌ مِنْهُمْ استبعاد لتوليهم مع علمهم بانّ الرجوع اليه واجب وَهُمْ مُعْرِضُونَ قوم
ركوع ١١ عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانّما ساغ لتخصّصه بالصفة (٢٣) ذٰلِكَ اشارة الى التولّى والاعراض
بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ بسبب تسهيلهم امرَ العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد
الزائغ والطمع الفارغ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ من انّ النار لن تمسّهم الّا ايّاما قلائل او انّ
آباءهم الانبياء يشفعون لهم او انّه تعالى وعد يعقوب عم ان لا يعذّب اولاده الّا تحلّة القسم
(٢٤) فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ استعظام لما يحيق بهم فى الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسّنا
النار الّا ايّاما روى انّ اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفّار راية اليهود فيفضحهم اللّه على رؤس
الاشهاد ثمّ يأمر بهم الى النار وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ جزاء ما كسبت وفيه دليل على انّ العبادة لا
تحبط وانّ المؤمن لا يخلد فى النار لانّ توفية ايمانه وعمله لا تكون فى النار ولا قبل دخولها فانّ ذلك
١٠ بعد الخلاص منها وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ الضمير لكلّ نفس على المعنى لانّه فى معنى كلّ انسان (٢٥) قُلِ ٱللّٰهُمَّ
الميم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخول يا عليه مع لام التعريف
وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا اللّه أمّنا بخير فخفّف بحذف حرف النداء ومتعلّقات الفعل وهمزته
مَالِكَ ٱلْمُلْكِ يتصرّف فيما يمكن التصرف فيه تصرّف الملّاك وهو نداء ثانٍ عند سيبويه فانّ الميم عنده
تمنع الوصفيّة تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ تعطى منه ما تشاء من تشاء وتسترد
١٥ فالملك الاوّل عامّ والآخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوّة ونزعها نقلها من قوم الى قوم
وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ فى الدنيا او فى الآخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان
بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ذكر الخير وحده لانّه المقضىّ بالذات والشرّ مقضىّ بالعرض اذ
لا يوجد شرّ جزئىّ ما لم يتضمّن خيرا كلّيا او لمراعاة الادب فى الخطاب او لانّ الكلام وقع فيه اذ
روى انّه عم لمّا خطّ الخندق وقطع لكلّ عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم
٢٠ يعمل فيها المعاول فوجّهوا سلمانَ الى رسول اللّه صلعم يخبره فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها
وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكأنّ مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبّر وكبّر معه المسلمون
وقال اضاءت لى منها قصور الحيرة كأنّها انياب الكلاب ثمّ ضرب الثانية فقال اضاءت لى منها القصور الحمر
من ارض الروم ثمّ ضرب الثالثة فقال اضاءت لى قصور صنعاء واخبرنى جبريل انّ امّتى ظاهرة على كلّها
فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنّيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انّه يبصر من يثرب قصور الحيرة
٢٥ وانّها تفتح لكم وانتم انّما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت، ونبّه على انّ الشرّ ايضا بيده بقوله انّك على
كلّ شيء قدير (٢٦) تُولِجُ ٱللَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱللَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ
مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ عقّب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة

وسعة فضله دلالةً على انّ من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذلّ والعزّ وايتاء الملك ونزعه ‹ والـولـوج جزء ۳
الدخول في مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما في الآخر بالتعقيب او الزيادة والنقص، واخراج ركوع ۱۱
الحيّ من الميّت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادّها واماتتها او انشاء الحيوان من النطفة والنطفة
منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ‹ وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو وابو بكر
۵ الميت بالتخفيف (۲۷) لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية
ونحوهما حتّى لا يكون حبّهم وبغضهم الّا في الله او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية
مِنْ دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ اشارة الى انّهم الاحقاء بالموالاة وانّ في موالاتهم مندوحةً عن موالاة الكفرة وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ
اى اتّخاذهم اولياء فَلَيْسَ مِنَ ٱللّٰهِ فِي شَيْءٍ اى من ولايته في شيء يصحّ ان يسمّى ولاية فانّ موالاتي
المتعاديين لا تجتمعان قال

۱۰ تودّ عدوّى ثمّ تزعم انّني صديقك ليس النوك عنك بعازب

إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً الّا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتّقاؤه او اتّقاء والفعل معدّى بمن لانّه في
معنى تحذروا وتخافوا وقرأ يعقوب تَقِيَّةً منع عن موالاتهم ظاهرا وباطنا في الاوقات كلّها الّا وقت
المخافة فانّ اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عم كن وسطا وامش جانبا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللّٰهُ نَفْسَهُ
وَإِلَى ٱللّٰهِ ٱلْمَصِيرُ فلا تتعرّضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي
۱۵ المنهيّ في القبح وذكر النفس ليعلم انّ المحذر منه عقابٌ يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة
قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللّٰهُ اى انّه يعلم ضمائركم من ولاية الكفّار وغيرها ان تخفوها
او تبدوها وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ فيعلم سرّكم وعلنكم وَٱللّٰهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر
على عقوبتكم ان لم تنتهوا عمّا نهيتم عنه والآية بيان لقوله ويحذّركم الله نفسه وكانّه قال ويحذّركم
لانّها متّصفة بعلم ذاتي يحيط بالمعلومات كلّها وقدرة ذاتية تعمّ المقدورات باسرها فلا تجسروا
۲۰ على عصيانه اذ ما من معصية الّا وهو مطّلع عليها قادر على العقاب بها (۲۸) يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا
عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا يَوْمَ منصوب بتودّ اى
تتمنّى كلّ نفس يوم تجد صحائف اعمالها او جزاء اعمالها من الخير والشرّ حاضرة لو انّ بينها وبين
ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر، وتودّ حال من الضمير في عملت او خبر لما عملت
من سوء وتجد مقصورٌ على ما عملت من خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تودّ وقرئ ودّت وعلى هذا
۲۵ يصحّ ان تكون شرطية ولكنّ الحمل على الخبر اوقع معنى لانّه حكاية كائن واوفق للقراءة المشهورة
وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللّٰهُ نَفْسَهُ كرّره للتأكيد والتذكير وَٱللّٰهُ رَءُوفٌ بِٱلْعِبَادِ اشارة الى انّه تعالى انّما نهاهم
وحذّرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم او انّه لذو مغفرة وذو عقاب فترجى رحمته ويخشى عذابه
(۲۹) قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ ٱللّٰهَ فَٱتَّبِعُونِي المحبّة ميل النفس الى الشيء لكمال ادركته فيه بحيث يحملها ركوع ۱۲

جزء ۳ ركوع ۱۲

على ما يقرّبها اليه والعبد اذا علم انّ الكمال الحقيقىّ ليس الّا للّه وانّ كلّ ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من اللّه وباللّه والى اللّه لم يكن حبّه الّا للّه وفى اللّه وذلك يقتضى ارادة طاعته والرغبة فيما يقرّبه اليه فلذلك فسّرت المحبّة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتّباع الرسول فى عبادته والحرص على مطاوعته يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ جواب للامر اى يرض عنكم ويكشف الحُجُبَ عن قلوبكم بالتجاوز عمّا فرط منكم فيقرّبكم من جناب عزّه ويبوّئكم فى جوار قدسه عبّر عن ذلك بالمحبّة على طريق ۵
الاستعارة او المقابلة وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ لمن تحبّب اليه بطاعته واتّباع نبيّه روى انّها نزلت لمّا قالت اليهود نحن ابناء اللّه واحبّاؤه وقيل نزلت فى وفد نجران لمّا قالوا انّما نعبد المسيح حبّا للّه وقيل فى اقوام زعموا على عهده صلعم انّهم يحبّون اللّه فأُمروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل قُلْ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا يحتمل المضىّ والمضارعة بمعنى فان تتولّوا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَافِرِينَ
لا يرضى عنهم ولا يُثنى عليهم وانّما لم يقل لا يحبّهم لقصد العموم والدلالة على انّ التولّى كفرٌ وانّه من ۱۰
هذه الحيثيّة ينفى محبّة اللّه وانّ محبّته مخصوصة بالمؤمنين (۳۰) إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ بالرسالة والخصائص الروحانيّة والجسمانيّة ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لمّا اوجب طاعة الرسول وبيّن انّها الجالبة لمحبّة اللّه عقّب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدلّ على فضلهم على الملائكة ، وآل ابرهيم اسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلعم ، وآل عمران
موسى وهرون ابنا عمران بن يَصْهُر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب او عيسى وامّه مريم بنت عمران ۱۵
ابن ماثان بن العازار بن ابى يود بن زربابل بن ساليان بن يوحنّا بن اوشيا بن أمون بن منشكن بن حازقا بن اخاز بن يوثام بن عوزيا بن يورام بن ساقط بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود بن ايشى بن عُويد بن سلمون بن باعر بن نحشون بن عمياد بن رام بن حصروم بن فارص بن يهوذا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ حال او بدل من الآلين او منهما
ومن نوح اى انّهم ذرّيّة واحدة منشعّبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض فى الدين ، والذرّيّة ۲۰
الولد يقع على الواحد والجمع فُعْليّة من الذرّ او فُعُّولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثمّ قلبت الواو ياء وادغمت وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ باقوال الناس واعمالهم فيصطفى من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امرأة عمران عليم بنيّتها (۳۱) إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي فينتصب به اذ وقيل نصبه باضمار اذكرْ ، وهذه حَنّة بنت فاقوذ جدّة عيسى عم وكان لعمران بن يَصْهُر بنت اسمها مريم
اكبر من هرون فظنّ انّ المراد زوجته ويردّه كفالة زكريّاء فانّه كان معاصرا لابن ماثان وتزوّج بنته ۲۵
ايشاع وكان يحيى وعيسى ابنىْ خالة من الاب روى انّها كانت عاقرا عجوزا فبينا هى فى ظلّ شجرة اذ رأت طائرا يُطعم فرخه فحنّت الى الولد وتمنّته فقالت اللّهمّ انّ لك علىّ نذرا إنْ رزقتنى ولدا أنْ اتصدّق به على بيت المقدس فيكون من خَدَمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا عندهم فى الغلمان فلعلّها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا مُحَرَّرًا مُعْتَقًا لخدمته لا اشغله بشىء

جزء ٣ او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال فَتَقَبَّلْ مِنِّي ما نذرته إِنَّكَ أَنْتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ لقولى ونيّتى فَلَمَّا وَضَعَتْهَا
ركوع ١٣ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى الضمير لما فى بطنها وتأنيثه لانّه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه
لانّ تأنيثها عُلم منه فانّ الحال وصاحبها بالذات واحد او على تأويلِ مؤنّث كالنفس والحبلة وانّما قالته
تحسّرا وتحزّنا الى ربّها لانّها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ
٥ اى بالشىء ٱلَّذى وضعت وهو استيناف من اللّه تعالى تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشأنه وقرأ ابن
عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وَضَعْتُ على انّه من كلامها تسلية لنفسها اى ولعلّ للّه سبحانه وتعالى
فيه سرّا او الانثى كانت خيرا وقرئ وَضَعْتِ على خطاب اللّه لها وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنْثَى بيان لقوله
واللّه اعلم اى وليس الذكر ٱلّذى طلبت كالانثى ٱلّتى وُهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون
من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيّان فيما نذرت فيكون اللام للجنس وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ عطف
١٠ على ما قبله من مقالها وما بينهما اعتراض وانّما ذكرت ذلك لربّها تقرّبا اليه وطلبا لأَنْ يعصمها
ويُصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فانّ مريم فى لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على انّ الاسم
والمسمّى والتسمية امور متغايرة وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ أُجيرها بحفظك وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ المطرود
وأصل الرجم الرمى بالحجارة وعن النبىّ صلعم ما من مولود يولد الّا والشيطان يمسّه حين يولد
فيستهلّ من مسّه الّا مريم وابنها ومعناه انّ الشيطان يطمع فى اغواء كلّ مولود بحيث يتأثّر منه الّا
١٥ مريم وابنها فانّ اللّه عصمهما ببركة هذه الاستعاذة (٣٢) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا فرضى بها فى النذر مكانَ الذكر
بِقَبُولٍ حَسَنٍ بوجهٍ حسنٍ يقبل به النذائر وهو اقامتها مقام الذكر او تسلّمها عقيبَ ولادتها قبل ان
تكبر وتصلح للسدانة روى انّ حنّة لمّا ولدتها لفّتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند
الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانّها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فانّ بنى
ماثان كانت رؤوس بنى اسرائيل وملوكهم فقال زكريّاء انا احقّ بها عندى خالتها فأبوا الّا القرعة
٢٠ وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريّاء ورسبت اقلامهم فتكفّلها
ويجوز أن يكون مصدرا على تقديرِ مضاف اى بذى قبول حسن وأن يكون تقبّل بمعنى استقبل
كتقضّى وتعجّل اى فاخذها فى اوّل امرها حين وُلدت بقبول حسن وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا مجاز عن تربيتها
بما يُصلحها فى جميع احوالها وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاءُ شدّد الفاء حمزة والكسائىّ وعاصم وقصروا زكريّا غير
عاصم فى رواية ابن عيّاش على انّ الفاعل هو اللّه وزكريّا مفعول اى جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها
٢٥ وخفّف الباقون ومدّوا زكريّاء مرفوعا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّاءُ ٱلْمِحْرَابَ اى الغرفة الّتى بنى لها او
المسجد او اشرف مواضعه ومقدّمها سمّى به لانّه محلّ محاربة الشيطان كانّها وُضعت فى اشرف موضع
من بيت المقدس وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا جوابُ كلّما وناصبه روى انّه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج
اغلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وبالعكس قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا

جزء ٣ من اين لك هذا الرزق الآتى فى غير اوانه والابوابُ مغلقة عليك وهو دليلٌ جواز الكرامة للاولياء وجعلُ
ركوع ٤ ذلك معجزة زكريّآء يدفعه اشتباهُ الامر عليه قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ فلا تستبعده قيل تكلّمت صغيرة
كعيسى ولم ترضع ثديا قطّ وكان رزقها ينزل عليها من الجنّة إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ
بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاقٍ تفضّلا به وهو يحتمل أن يكون من كلامها وأن يكون من كلام
الله تعالى روى انّ فاطمة رضها اهدت لرسول الله صلعم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال هلمّى ٥
يا بُنيّة فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انّى لك هذا فقالت هو من عند الله انّ
الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الّذى جعلك شبيهةً سيّدة بنى اسرائيل ثمّ جمع عليّا
والحسن والحسين وجميع اهل بيته عليه حتى شبعوا وبقى الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها
(٣٣) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّآءُ رَبَّهُۥ فى ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هُنا وثَمّ وحَيْثُ للزمان لمّا رأى كرامة
مريم ومنزلتها من الله قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً كما وهبتها لحنّة العجوز العاقر وقيل لمّا ١٠
رأى الفواكه فى غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسأل وقال هب لى من لدنك لانّه
لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ مجيبه فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ اى من
جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فانّ المنادى كان جبريل وحده ٭ وقرأ حمزة والكسائىّ فَنَادَاهُ بالامالة
والتذكير وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ اى قائما فى الصلوة ويصلّى صفةُ قائم او خبر او حال آخر او
حال عن الضمير فى قائم (٣٤) أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ اى بأنّ وقرأ نافع وابن عامر بالكسر على ارادة ١٥
القول او لانّ النداء نوع منه ٭ وقرأ حمزة والكسائىّ يَبْشُرُكَ ٭ ويَحْيَى اسم اعجمىّ وإن جُعل عربيّا فمنع
صرفه للتعريف ووَزْنِ الفعل مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ اى بعيسى سمّى بذلك لانّه وُجد بامره تعالى دون
اب فشابَهَ البدعيّات الّتى هى عالم الامر او بكتاب الله سمّى كلمة كما قيل كلمة الحُوَيْدِرة لقصيدته
وَسَيِّدًا يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلّهم فى انّه ما همّ بمعصية وَحَصُورًا مبالغا فى حبس
النفس عن الشهوات والملاهى روى انّه مرّ فى صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خُلقتُ وَنَبِيًّا ٢٠
مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ناشئا منهم او كائنا من عدادِ من لم يأت كبيرة ولا صغيرة (٣٥) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ
استبعادا من حيث العادة او استعظاما وتعجّبا او استفهامـا عن كيفيّة حُدوثه وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ
ادركنى كبر السنّ واثّر فىّ وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ
لا تلد من العقر وهو القطع لانّها ذاتُ عُقْرٍ من الاولاد قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ اى يفعل ما يشاء
من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فانٍ وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك ٢٥
من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك الله مبتدأٌ وخبرٌ اى الله على مثل هذه
الصفة ويفعل ما يشاء بيانٌ له او كذلك خبرُ مبتدا محذوف اى الامر كذلك والله يفعل ما يشاء
بيانٌ له (٣٦) قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً علامةً اعرفُ بها الحَبَلَ لأستقبله بالبشاشة والشكر وتزيحَ مشقّةَ الانتظار

جزء ٣ قال آيتك الّا تكلّم النّاس ثلثة ايّام اى لا تقدر على تكليم الناس ثلاثا وانّما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصّة ليخلص المدّة لذكر اللّه وشكره قضاء لحقّ النعمة وكأنّه قال آيتك ان يحبس لسانك الّا
ركوع ١٢ عن الشكر واحسن الجواب ما اشتقّ من السؤال الّا رمزا اشارة بنحو يد او رأس واصله التحرّك ومنه الراموز للبحر، والاستثناء منقطع وقيل متّصل والمراد بالكلام ما دلّ على الضمير، وقرئ رمزا بفتحتين
٥ كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انّه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله
متى ما تلقنى فردين ترجف روانف أليتيك وتستطارا

واذكر ربّك كثيرا فى ايّام الحبسة وهو مؤكّد لما قبله مبيّن للغرض منه، وتقييد الامر بالكثرة يدلّ على انّه لا يفيد التكرار وسبّح بالعشىّ من الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار
ركوع ١٣ ١٠ (٣٧) واذ قالت الملائكة يا مريم انّ اللّه اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين كلّموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم انّ ذلك معجزة زكريّاء او ارهاصا لنبوّة عيسى فانّ الاجماع على انّه سبحانه لم يستنبئ امرأة لقوله تعالى وما ارسلنا قبلك الّا رجالا وقيل الهموها، والاصطفاء الاوّل تقبّلها من امّها ولم يقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنّة عن الكسب وتطهيرها تطهيرها عمّا يستقذر من النساء والثانى هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنيّة كالولد
١٥ من غير اب وتبرئتها عمّا قذفتها به اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين (٣٨) يا مريم اقنتى لربّك واسجدى واركعى مع الراكعين امرت بالصلوة فى الجماعة بذكر اركانها مبالغة فى المحافظة عليها وقدّم السجود على الركوع امّا لكونه كذلك فى شريعتهم او للتنبيه على انّ الواو لا توجب الترتيب او ليقترن اركعى بالراكعين للايذان بانّ من ليس فى صلاتهم ركوع ليسوا مصلّين، وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله تعالى امّن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة كقوله
٢٠ تعالى وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات (٣٩) ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اى ما ذكرنا من القصص من الغيوب الّتى لم تعرفها الّا بالوحى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم الّتى كانوا يكتبون بها التورية تبرّكا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكّم بمنكريه فانّ طريق معرفة الوقائع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقى ان يكون الاتّهام باحتمال العيان ولا يظنّ به عاقل ايّهم يكفل مريم متعلّق بمحذوف دلّ
٢٥ عليه يلقون اقلامهم اى يلقونها ليعلموا او يقولوا ايّهم يكفل مريم (٤٠) وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا فى كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على انّ وقوع الاختصام والبشارة فى زمان متّسع كقولك لقيته سنة كذا يا مريم انّ اللّه يبشّرك بكلمة منه

جزء ٣ اِسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرّفة كالصدّيق وأصله بالعبريّة مشيحا
ركوع ١٣ ومعناه المبارك وعيسى معرّب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانّه مُسِحَ بالبركة او بما طهّره من الذنوب
او مَسَحَ الارض ولم يُقِمْ فى موضع او مسحه جبريل ومن العَيْس وهو بياض يعلوه حُمْرة تكلّفٌ لا طائل
تحته ، وابن مريم لمّا كانت صفة تميّز تمييزَ الاسماء نظمت فى سلكها ، ولا ينافى تعدُّدُ الخبرِ افرادَ المبتدا
فانّه اسمُ جنس مضاف ويحتمل ان يراد انّ الّذى يعرف به ويتميّز من غيره هذه الثلاثة فانّ الاسم ٥
علامة المسمّى والمميّز له ممّن سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدا محذوف وابن مريم صفته وانّما
قيل ابن مريم والخطابُ لها تنبيها على انّه يولد من غير اب اذ الاولاد تنسب الى الآباء ولا تنسب الى الامّ
الّا اذا فُقِدَ الاب وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ حال مقدّرة من كلمة وهى وان كانت نكرة لكنّها موصوفة
وتذكيره للمعنى والوجاهة فى الدنيا النبوّة وفى الآخرة الشفاعة وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ من اللّه وقيل اشارة الى
علوّ درجته فى الجنّة او رَفْعه الى السماء وصحبة الملائكة (٤١) وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا اى يكلّمهم حال ١٠
كونه طفلا وكهلا كلامَ الانبياء من غير تفاوت ، والمهد مصدر سمّى به ما يمهد للصبىّ من مضجعه
وقيل انّه رُفِعَ شابّا والمراد وكهلا بَعْد نزوله وذكْرُ احواله المختلفة المتنافية ارشادٌ الى انّه بمعزل عن
الالوهيّة وَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ حال ثالثة من كلمة او ضميرها الّذى فى يكلّم (٤٢) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِى وَلَدٌ
وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ تعجّب او استبعاد عادىّ او استفهام عن انّه يكون بتزوّج او غيره قَالَ كَذٰلِكِ ٱللّٰهُ
يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ القائل جبريل او اللّه وجبريل حكى لها قوله تعالى اِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ١٥
اشارة الى انّه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرّجا بأسباب وموادّ يقدر ان يخلقها دفعةً من غير ذلك
(٤٣) وَنُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرٰيةَ وَٱلْإِنْجِيلَ كلام مبتدأ ذُكِرَ تطييبا لقلبها وازاحةً لما همّها من
خوف اللوم لمّا علمتْ انّها تلد من غير زواج او عطف على يبشّرك او وجيها ، والكتاب الكتبة او
جنس الكتب المنزلة وخُصّ الكتابان لفضلهما ، وقرأ نافع وعاصم وَيُعَلِّمُهُ بالياء وَرَسُولًا اِلَى بَنِى اِسْرَآئِيلَ
أَنِّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول أُرْسِلْتُ رسولا بانّى قد جئتكم ٢٠
او بالعطف على الاحوال المتقدّمة مضمّنا معنى النطق فكانّه قال وناطقا بانّى قد جئتكم وتخصيص
بنى اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للردّ على من زعم انّه مبعوث الى غيرهم أَنِّى أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ ٱلطِّينِ
كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ نصب بدل من أنّى قد جئتكم او جرّ بدل من آية او رفع على هى أنّى اخلق والمعنى
أُقدِّر لكم وأصوّر شيئا مثل صورة الطير ، وقرأ نافع إنّى بالكسر فَأَنْفُخُ فِيهِ الضمير للكاف اى فى ذلك
المماثل فَيَكُونُ طَيْرًا بِاِذْنِ ٱللّٰهِ فيصير حيّا طيّارا بامر اللّه نبّه به على انّ احياءه من اللّه لا منه ، وقرأ ٢٥
نافع هنا وفى المائدة طَائِرًا بالالف والهمزة وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ الاكمه الّذى وُلد اعمى او الممسوح
العين روى انّه ربّما كان يجتمع عليه الوف من المرضى مَنْ اطاق منهم اتاه ومن لم يُطِقْ اتاه عيسى

وما يداوون الا بالدعاء وَأُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ كرّر باذن الله دفعا لوهم الالوهيّة فانّ الاحياء ليس
من جنس الافعال البشريّة وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ بالمغيّبات من احوالكم التى لا
تشكّون فيها إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ موفّقين للايمان فانّ غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او
مصدّقين للحقّ غير معاندين (٤٤) وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ عطف على رسولا على الوجهين
او منصوب باضمار فعلٍ دلّ عليه قد جئتكم اى وجئتكم مصدّقا وَلِأُحِلَّ لَكُم مقدّر باضماره او مردود
على قوله انّى قد جئتكم بآية او معطوف على معنى مصدّقا كقولهم جئتك معتذرا ولأطيّب قلبك
بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ اى فى شريعة موسى عم كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل فى
السبت وهو يدلّ على انّ شرعه كان ناسخا لشرع موسى عم ولا يُخلّ ذلك بكونه مصدّقا للتورية كما
لا يعود نسخُ القران بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فانّ النسخ فى الحقيقة بيان وتخصيص فى الازمان
وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ اى جئتكم
بآية اخرى ألهمنيها ربّكم وهو قوله انّ الله ربّى وربّكم فانّه دعوة الحقّ المُجْمَع عليها فيما بين الرسل
الفارقةُ بين النبىّ والساحر او جئتكم بآية على انّ الله ربّى وربّكم وقوله فاتّقوا الله واطيعون اعتراض،
والظاهر انّه تكرير لقوله قد جئتكم بآية من ربّكم اى جئتكم بآية بعد اخرى ممّا ذكرت لكم والاوّل
لتمهيد الحجّة والثانى لتقريبها الى الحكم ولذلك رتّب عليه بالفاء قوله فاتّقوا الله اى لمّا جئتكم بالمعجزات
القاهرة والآيات الباهرة فاتّقوا الله فى المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ثمّ شرع فى الدعوة واشار
اليها بالقول المجمل فقال انّ الله ربّى وربّكم اشارةً الى استكمال القوّة النظريّة بالاعتقاد الحقّ الّذى غايته
التوحيد وقال فاعبدوه اشارةً الى استكمال القوّة العمليّة فانّه بملازمة الطاعة الّتى هى الاتيان بالاوامر
والانتهاء عن المناهى ثمّ قرّر ذلك بأن بيّن انّ الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره
قوله صلعم قل آمنت بالله ثمّ استقم (٤٥) فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ تحقّق كفرهم عنده تحقّق ما
يدرك بالحواسّ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ملتجئا الى الله او ذاهبا او ضامّا اليه ويجوز ان يتعلّق الجارّ
بانصارى مضمّنا معنى الاضافة اى من الّذين يضيفون انفسهم الى الله تعالى فى نصرى وقيل الى ههنا
بمعنى مع او فى او اللام قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ حوارىّ الرجل خالصته من الحَوَر وهو البياض الخالص ومنه
الحواريّات للحضريّات لخلوص الوانهنّ سمّى به اصحاب عيسى عم لخلوص نيّتهم ونقاء سريرتهم وقيل
كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى من اليهود وقيل قصّارين يحوّرون الثياب اى
يبيّضونها نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ اى انصار دينه ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ اشهد لنا يوم القيمة حين
تشهد الرسل لقومهم وعليهم (٤٦) رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ اى مع
الشاهدين بوحدانيّتك او مع الانبياء الّذين يشهدون لأتباعهم او مع امّة محمّد صلعم فانّهم شهداء

جزء ٣ على الناس (٤٧) وَمَكَرُوا اى الذين احسّ منهم الكفر من اليهود بأن وكّلوا عليه من يقتله غيلةً وَمَكَرَ ٱللّٰهُ
ركوع ١٣ حين رفع عيسى والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قُتل والمكر من حيث انّه فى الاصل حيلة
يجلب بها غيره الى مضرّة لا يسند الى الله الّا على سبيل المقابلة والازدواج وَٱللّٰهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ اقواهم
ركوع ١٤ مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب (٤٨) اِذْ قَالَ ٱللّٰهُ ظرف لمكر الله او خير الماكرين
او لمضمر مثل وقع ذلك يَا عِيسَى اِنِّي مُتَوَفِّيكَ اى مستوفى اجلك ومؤخّرك الى اجلك المسمّى عاصما ايّاك ٥
من قتلهم او قابضك من الارض من توفّيت مالى او متوفّيك نائما اذ روى انّه رفع نائما او مميتك عن
الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثمّ رفعه الى السماء واليه
ذهب النصارى وَرَافِعُكَ اِلَيَّ الى محلّ كرامتى ومقرّ ملائكتى وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا من سوء جوارهم او
قصدهم وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا اِلَى يَوْمِ ٱلْقِيٰمَةِ يعلونهم بالحجّة او السيف فى غالب
الامر ومتّبعوه من آمن بنبوّته من المسلمين والنصارى والى الآن لم تُسمع غلبة لليهود عليهم ولم يتّفق ١٠
لهم ملك ودولة ثُمَّ اِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ الضمير لعيسى ومن تبعه وكفر به وغلّب المخاطبين على الغائبين
فَاَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ من امر الدين (٤٩) فَاَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَاُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٥٠) وَاَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ فَنُوَفِّيهِمْ اُجُورَهُمْ تفسير
للحكم وتفصيل له ، وقرأ حفص فَيُوَفِّيهِمْ بالياء وَٱللّٰهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ تقرير لذلك (٥١) ذٰلِكَ اشارة الى
ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نَتْلُوهُ عَلَيْكَ وقوله مِنَ ٱلْآيَاتِ حال من الهاء ويجوز ان ١٥
يكون الخبر ونتلوه حالا على انّ العامل معنى الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسّره
نتلوه وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ المشتمل على الحِكَم او المُحْكَم الممنوع عن تطرّق الخلل اليه يريد به القران
وقيل اللوح (٥٢) اِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ ٱللّٰهِ كَمَثَلِ آدَمَ انّ شأنه الغريب كشأن آدم خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ج
مفسّرة للتمثيل مبيّنة لما به الشبه وهو انّه خُلق بلا اب كما خُلق آدم من التراب بلا اب وامّ شبّه
حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لموادّ الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ اى ٢٠
انشأه بشرا كقوله تعالى ثمّ انشأناه خلقا آخر او قدّر تكوينه من التراب ثمّ كوّنه ويجوز ان يكون ثمّ
لتراخى الخبر لا المُخبَر فَيَكُونُ حكاية حال ماضية (٥٣) ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ خبر محذوف اى هو الحقّ
وقيل الحقّ مبتدأ ومن ربّك خبره اى الحقّ المذكور من الله فَلَا تَكُنْ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ خطاب للنبى صلعم
على طريقة التهييج لزيادة الثبات او لكلّ سامع (٥٤) فَمَنْ حَاجَّكَ من النصارى فِيهِ فى عيسى مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ اى من البيّنات الموجبة للعلم فَقُلْ تَعَالَوْا هلمّوا بالرأى والعزم نَدْعُ اَبْنَاءَنَا وَاَبْنَاءَكُمْ ٢٥

ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم اي يدع كل منا ومنكم نفسه وأعزة أهله وألصقهم بقلبه الى المباهلة [illegible]
ويحمل عليها وانما قدمهم على الانفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم [illegible] أي [illegible]
[illegible] الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة وأصله الترك من [illegible] الناقة اذا [illegible] بلا
صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان روي انهم [illegible] المباهلة قالوا حتى [illegible]
فلما تخالوا قالوا للعاقب [illegible] ما ترى [illegible] والله لقد [illegible]
في امر صاحبكم والله ما [illegible] قوم نبيا الا هلكوا [illegible]
رسول الله [illegible] وقد غدا [illegible] الحسين آخذا بيد الحسن [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ان لا نعبد الا الله [illegible] ولا يتخذ بعضنا بعضا [illegible]
[illegible] ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله [illegible]
[illegible] روي انه
لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله [illegible] يا رسول الله
قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون [illegible] قال هو ذاك فان تولوا عن التوحيد
فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون اي [illegible] الحجة [illegible] مسلمون دونكم او [illegible] كافرون
[illegible] به الكتب [illegible] عليه [illegible] انظر الى ما راعى في هذه القصة من [illegible] الارشاد
وحسن التدرج في الحجاج [illegible] عيسى [illegible] من الاطوار المنافية للالوهية [illegible]

BEIDHAWII

COMMENTARIUS IN CORANUM

EX CODD. PARISIENSIBUS DRESDENSIBUS ET LIPSIENSIBUS

EDIDIT

INDICIBUSQUE INSTRUXIT

H. O. FLEISCHER

DR. THEOL. ET PHILOS. ET LL. OO. P. O. LIPS.

VOLUMEN I.

LIPSIAE, MDCCCXLVI

1846

SUMTIBUS FRIDERICI CHRISTIANI GUILIELMI VOGELII.

TYPIS GUIL. VOGELII, FILII.



المجلد الاول